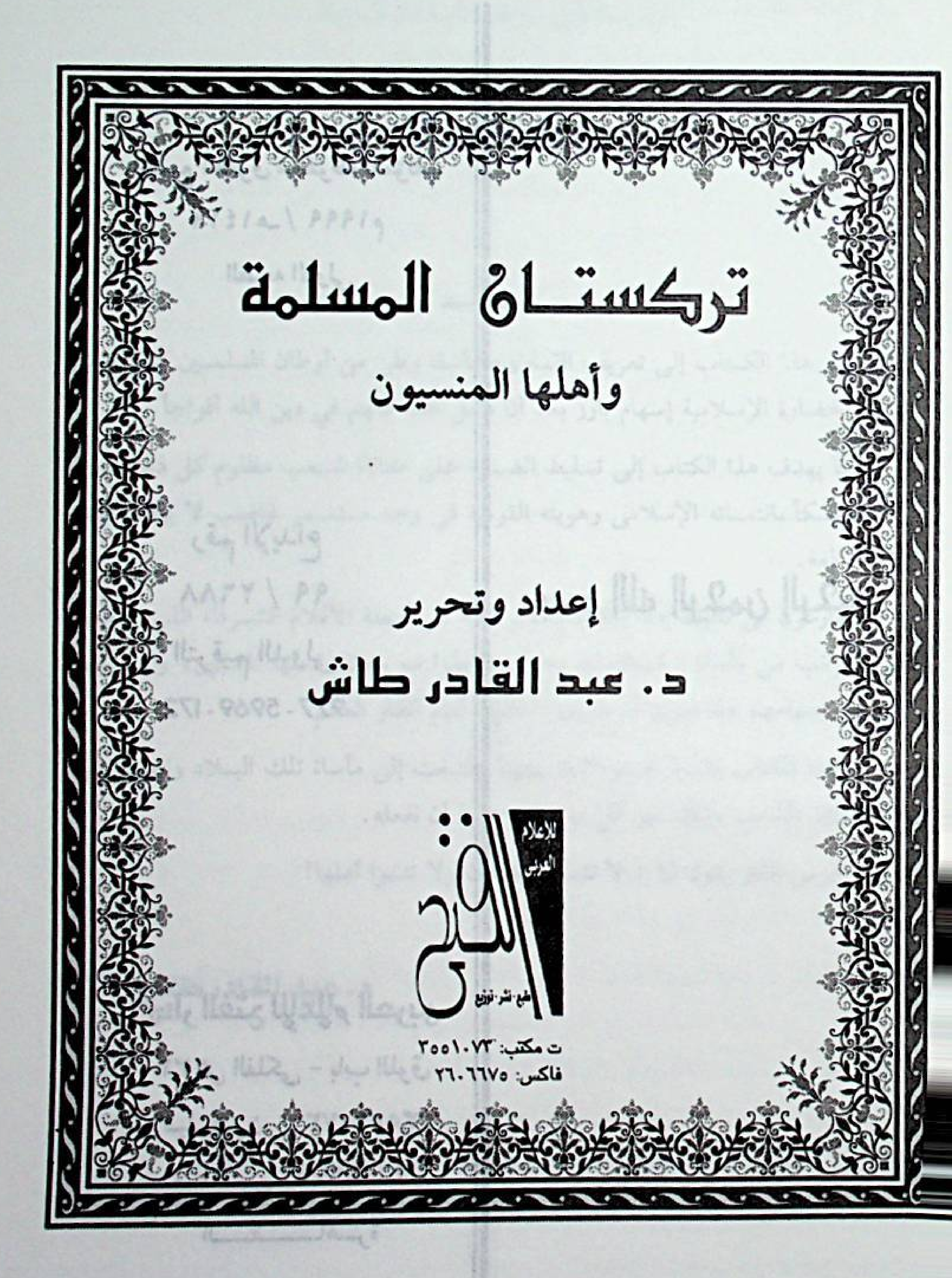


تركستان المسلمة

وأهلها المنسيون

إعداد وتحرير

د. عبد القادر طاش

ت مكتب: ٣٥٥١٠٧٣
فاكس: ٢٦٠٦٦٧٥

١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م
الطبعه الأولى

رقم الإيداع
٢٦٨٨ / ٩٩
الترقيم الدولى
977-5969-172

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الفتح للإعلام العربى
٣٢ ش الفلكى - باب اللوق
تيليفون : ٣٥٥١٠٧٣
فاكس : ٢٦٠٦٦٧٥
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

يهدف هذا الكتاب إلى تعريف القارىء بمأساة وطن من أوطان المسلمين كان له في تاريخ الحضارة الإسلامية إسهام بارز بعد أن دخل أهله كلهم في دين الله أفواجاً.

كما يهدف هذا الكتاب إلى تسليط الضوء على معاناة شعب مظلوم كل ذنبه أنه لا يزال متمسكاً بانتمائه الإسلامي وهويته القوميه في وجه مستعمر غاضب لا يرقب فيهم إلا ولا ذمة.

والمشاركون في تأليف هذا الكتاب هم نخبة من حملة الأقلام الشرفاء الذين اطلعوا على جوانب من مأساة تركستان الجريحة وتفاعلوا مع معاناة شعبها المسكين، وليس لهم دافع في إسهامهم هذا سوى ان يضيعوا الحقيقة أمام أنظار العالم.

إن هذا الكتاب بمثابة جرس انذار ينبهنا لنلتفت إلى مأساة تلك البلاد ونصغى إلى معاناة ذلك الشعب وذلك هو أقل ما يجب علينا أن نفعله.

إنه جرس إنذار يقول لنا : لا تنسوا تركستان ولا تنسوا أهلها!

د. عبد القادرطاش

التركستان الشرقية
دارسة في الجغرافية البشرية
بقلم: د. أحمد شقلية

لقد كان لاتساع رقعة الشعوب الإسلامية والذي يشمل جميع الأراضى المحصورة من قرب وسط الصين الشيوعية شرقًا، وحتى المحيط الأطلسي غربًا، ومن الحوض الشمالي للبحر الأسود شمالاً، وحتى جزر القمر الإسلامية جنوبًا . . . ولقد جاء ترامى أطراف اليابسة الإسلامية الواسعة هذه كنتيجة مباشرة لمختلف الجهود والطرق والوسائل في نشر الدين الإسلامي السمح، والتي اتبعها المسلمون في مختلف عصور دولهم ودويلاتهم التي جاوز عددها الثلاثين دولة ودويلة ، وقد كان لهذا الاتساع أثره الفعال في تعدد مشكلات العالم الإسلامي وتنوعها ولتتراوح بين مشكلات الأجزاء المحررة ومشكلات الأجزاء المستعمرة استعماراً عسكريًا أو اقتصاديًا ومشكلات المناطق التي تنشط منها حركات التنصير والردة عن الإسلام . . . وغيرها من المشكلات التي تعود في أصلها إلى عوامل خارجية أو إلى عوامل داخلية أو إلى الاثنين معًا حتى أثقلت هذه المشاكل في عددها ونوعها كاهل العالم الإسلامي عامة

التعريف بالتركستان الشرقية

تعود تسميتها إلى أصل فارسي، والذي يعنى بلاد الترك وبالذات بلاد الترك الشرقية، إذ يوجد لها قسم آخر ألا وهو بلاد الترك الغربية (التركستان الغربية) التي تضم عدد ١١ من الجمهوريات والولايات التي يغتصبها السوفيت .

والتركستان الشرقية تسمية محببة لدى أهلها وشعبها لأنها تعنى استقلاليتهم عن الصين الشيوعية . . . بينما «سينكيانج» غير محببة بل ومرفوضة لديهم؛ لأنها عن أصل كلمة صينية وتعني المستعمرة الجديدة . وعليه فإننا نناشد الجغرافيين والناطقين بالضاد التمسك بالتسمية الوطنية لهذه البلاد المغتصبة من قبل الصين ومنذ سنة ١٧٦٠م . أي منذ أن كانت الصين دولة رأسمالية، ولتستمر باحتلالها للتركستان الشرقية حتى الآن على الرغم من العديد من مظاهر الاعتراض التركستاني على الاحتلال والتبعية للصين، والتي اتخذت

شكل مقاومة مسلحة، وينجح بعضها نسبيًا ويفشل منها البعض الآخر، ولكن تبقى التركستان الشرقية تحت السيطرة الصينية الرأسمالية منها والشيوعية من بعدها، هذا خاصة بعد اجتياح الجيوش الصينية الشيوعية لها في سنة ١٩٤٩ ، حيث أصبح واقع الاحتلال الصيني الشيوعي لها صعبًا جدًا، هذا على الرغم مما تدعيه حكومة بكين من أنها تمنح البلاد حكمًا ذاتيا منذ سنة ١٩٥٣م . أي بعد احتلالها بأربع سنوات، وهي بهذا تقلد روسيا في سلوكها الإداري الاستعماري الذي اتبعته في التركستان الغربية .

موقعها الجغرافي : تنحصر التركستان الشرقية فلكيًا بين خطى عرض ٣٦ً - ٤٨ً شمالاً أي أنها تقع في نصف الكرة الشمالي، وتتقاسم أراضيها المناخات المعتدلة والمعتدلة الباردة والجافة ، كما أنها تقع بين خطي طول ٧٥-٩٨ً شرقًا، أي أنها تقع في نصف الكرة الشرقي، بل وفي أقصى شرق العالم الإسلامي، بينما تقع في غرب وشمال غرب الصين الشيوعية ، ويحدها من الجنوب كل من التبت وكشمير، ومن الشرق الصين الشيوعية، ومن الشمال جمهورية منغوليا الشيوعية، ومن الغرب جمهوريات : قازقستان ، قيرغيزيا وتاجيكستان (بلاد القازاق وبلاد القرغيز وبلاد التاجيك)، وهي كما يُشاع جمهوريات سوفيتية ذات استقلال ذاتي .

وتحصر هذه الحدود ما مساحته نحو ٢ مليون كم٢، كما نشأ عن هذا الموقع وحدوده المذكورة هذه إحدى مناطق النزاع الهامة بين الشيوعيين في الصين والاتحاد السوفيتي، ذلك أن الحدود بين تركستان الشرقية وجمهوريات التركستان الغربية غير واضحة طبيعيًا، بل هي من صنع الحكومتين المتنازعتين وعلى حساب شعوبنا المسلمة التركية، التي هي من أصل واحد بل ووطن واحد، قد فصلت بينها مصالح وأطماع الاستعمارين الصيني بالشرق والسوفيتي بالغرب ، وإن موقعها الجغرافي هذا قد أعطاها مسؤولية استمرار نشر الإسلام نحو الشرق في القارة الصينية .

السكان : يعتبر التركستانيون الشرقيون قسمًا من الجنس المغولي - النوع الصيني - منه والذين يمتازون ببياض البشرة المائل إلى الصفرة، والشعر الخشن المسترسل الأسود اللون والأنف الأخطى، وبروز الوجنتين، وضيق فتحة العينين، والقامة المتوسطة، والرأس المستدير، وقلة شعر الجسم ،وقدرتهم على الصبر والجلد، وسرعة تجعدات الجلد بعد سن الخمسين . ويتوزع هؤلاء جغرافيًا على المناطق التضاريسية المنبسطة، وفي الأودية وفي مواقع الواحات وفي الأودية النهرية العديدة في هذه المناطق الإسلامية وأشهرها أنهار :

تاريم ، يارقند، أولونكورد ثم قوبدو، وأحيانًا يسكنون السفوح الجبلية خاصة منها جبال تيان شان، ومن أشهر بلدانهم ومدنهم : أوروومجي وهي العاصمة ، كاشغر ، هاي، يارقند، أكسو، تورفان ،خوتان، قول ، كوجار، غولجة، كوما، شاهد الله . ويتكلم التركستاني اللغة التركية بالإضافة إلى إجباره على تعلم اللغة الصينية والتعامل بها كلغة رسمية للبلاد !! .

أما عن المعلومات السكانية الرقمية فهي تكتنف أيضًا بالغموض الذي صنعته وتتبناه السياسة الشيوعية الصينية العامة، والتي تهدف إلى التقليل من شأن السكان المسلمين وقدراتهم في هذا القطر وغيره مما تغتصب من الأقاليم؛ وذلك لتأكدها من الأهمية القصوى للمعلومات السكانية وبالتالي ضرورة طمسها لها؛ مما يضطرنا والباحثين عن جغرافية سكان التركستان الشرقية من الاعتماد على أرقام الاحتمالات والتقديرات، والتي أهمها التالي : في سنة ١٩٤٥م قُدروا بنحو ٢,٠٩ مليون نسمة ، وفي سنة ١٩٦١م قُدروا بنحو ٣,٨ مليون نسمة ، وفي سنة ١٩٦٥م أصبحوا ٧,٢ مليون نسمة ولكن بما فيهم المهجرين من الصين الشوعية . أما الجهات الوطنية التركستانية الشرقية فتقدر عددهم بنحو ٥,٦ مليون نسمة . ومهما كان التعداد أو التقدير فإن عدد السكان هنا لن يقل حاليًا عن خمسة ملايين نسمة أي قدر سكان فلسطين العرب أو ضعف سكان الأردن .

أما عن تكوينه الاجتماعي فهو ما زال سهلاً وبسيطًا في مظهره ذلك أنهم ينتمون إلى عدد من القبائل والجماعات السكانية التركستانية . أي أن النظام القبلي هو السائد ولكن يعيبه أن معظم جماعات وقبائل سكان التركستان لها تكملة في الأرض التركستانية الغربية الخاضعة للسوفيت، والتى أعطيت حق الحكم الذاتي حسب ادعاء السوفيت، ولكن الله أعلم بطمأنينة عطاء مثل هؤلاء الشيوعيين لإخواننا المسلمين الأتراك . وقد أصبح الامتداد المشترك لهذه الجماعات والقبائل التركستانية المسلمة بين الجارتين الشيوعيتين (الصين وروسيا) أثره الفعال في تذرع كل منهما بأحقيتها في المطالبة بضم الأجزاء الأخرى إليها على أنها المتوكلة الوحيدة فيها !! وهكذا اعتبرت منطقة حدود التركستان الشرقية مع التركستان الغربية من أهم المناطق الساخنة أي من أهم مناطق الحدود المتنازع عليها بين التنين الأصفر (الصين) والدب الروسي (روسيا)، ولكن الضحية دائمًا هي شعوبنا المسلمة التركمانية في هذين الإقليمين من العالم الإسلامي .

- وأهم هذه القبائل :

الأويغور : وتُسمى ويقور وهي القبيلة الأولى في عددها (نحو ٧٥٪ من السكان) والأوسع في انتشارها الجغرافي وبالتالي في أهميتها ، وتستوطن بكاملها التركستان الشرقية أى ليس لها امتداد خارجها .

القازاق : وهي تأتي في عددها بعد الأويغور وهم من الجماعات الرعاة ، ويُقدر عددهم بنحو مليون نسمة وهم ممن لهم امتداد في التركستان الغربية .

القرغيز ويسكنون شمال غرب التركستان الشرقية ولهم امتداد غربًا في التركستان الغربية.

الأوزبك : وهي قبيلة ذات امتداد نحو الغرب في التركستان الغربية وإليها قامت على أساسه جمهورية أوزبكستان (بلاد الأوزبك) .

التتار : وهم من القبائل القليلة في عددها .

التاجيك : قبائل مسلمة ومقسومة بين الجارتين .

ويُضاف إلى أنساب هذه القبائل الأقليات السكانية من المهجرين من مختلف المقاطعات الصينية خاصة منهم المنشوريون، بالإضافة إلى المهاجرين من جمهورية منغوليا الشيوعية وينال هؤلاء ما نسبته ١٨٪ من إجمالي السكان أي أنهم يضمون أقلية غير مسلمة في وسط أغلبية ساحقة مسلمة والحمد لله ، ومن أهم هذه الأقليات أولئك الإخوة المسلمون اللاجئون إلى التركستان الشرقية من الأقاليم الصينية الأخرى فرارًا من مضايقات الشيوعيين شعبًا وحكومة .

علاقتهم بالإسلام : كان للسمعة الممتازة التى احتلها الإسلام فرضه وسنته في نفوس الشعوب الفارسية ومن قبلها لدى العرب أثرها الفعال في سرعة دخول التركستانيين صرح الإسلام ودولته، هذا خاصة منذ عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك ووالده عبد الملك، في سنة ٧٠٥م . وبزيادة مضطردة في عددهم حتى أسلم حاكمهم (سلطانهم) ستوق بغراخان، واستبدلوا دينهم البوذي والوثني بالإسلام، وهكذا دخل التركستانيون في الإسلام وأصبح عليهم مهمة نشره في داخل القارة الصينية ، وكان لهم فضل في ذلك حيث انتشر الإسلام حتى في مقاطعة يونان في جنوب الصين وفي شمالها . . . المهم أن الأتراك المسلمين لا يزالون يمثلون الأغلبية الساحقة لسكان التركستان الشرقية (٨٢٪) هذا على

الرغم من العمل الجاد للسلطات الصينية الشيوعية في إحضار المهجرين الصينيين البوذيين وغيرهم بأعداد كبيرة للاستيطان في هذه البلاد؛ لتحقيق سياسة إذابة الشخصية التركية المسلمة وهم أهل البلاد وأصلها مقلدين في ذلك أعمال الصهاينة في فلسطين واليونان في قبرص وفي أريتريا ومحاولات إيران في عرب ستان (الأهواز) وأعمال الهند في كشمير وتايلند في فطاني والفلبين في مورو والولايات المتحدة في مناطق سكن الهنود الحمر والزنوج .

حرف السكان : تأتي حرف السكان وأعمالهم في التركستان الشرقية نتيجة مباشرة وغير مباشرة لأحوال البلاد المناخية والتضاريسية وتركيبها الجيولوجي وتربتها وغلافها النباتي وهيدرولوجيتها ونشاط سكانها وظروفها السياسية وطرق مواصلاتها وأسواقها ومدى توفر الرساميل لديها . . . ولتتوفر لدى هذا القطر المغتصب جميع عوامل ومتطلبات تعدد حرف وأعمال سكانها .

ففيما يخص الزراعة : تعتبر مناطقها محدودة الانتشار وذلك حول الواحات والأودية وحيث تتوفر فيها مياه الرى الدائم وذلك نظرًا لاختفاء دور الأمطار في الزراعة؛ لأن معظم البلاد تقع ضمن المناخ الصحراوي المعتدل، مما أنعش الزراعة الكثيفة (المسقوبة) حيث تزرع الأرض ثلاث مرات (دورات) في السنة سواء من حبوب القمح والشعير والذرة الشامية ومن الغلات النقدية التى أهمها : القطن والمطاط (نوع خاص يزرع في التركستان) ، كما تزرع الخضر بأنواعها وفواكه التفاح والموز والنخيل ، ومن أشهر مناطقها الزراعية سهل جونغاريا وواحات كشغر وتورفان ، ويصدر فائض هذه المنتجات الزراعية فعلاً إلى مقاطعات الصين الشيوعية خاصة الغربية منها وإليها التبت ضمن إطار سياسة الصين الشيوعية الزراعية .

وفيما يخص إنتاجها الحيوانى : يُربى فيها وترعى أعداد وفيرة من الأغنام المحلية بمعدل ١٣ مليون رأس ومن الإبل الفارسية نحو ٢٠,٠٠٠ رأس بينما أدخل الصينيون الشيوعيون فيها تربية الخنازير !! لتساهم مع المقاطعات الصينية الأخرى بإعطاء الصين الشيوعية المكانة الدولية الأولى في تربية الخنازير، كما تُربى فيها وترعى الماعز المحلية بأعداد تزيد على ١٨ مليون رأس ، بالإضافة إلى الخيول المغولية (المحلية) وهو حيوان النقل والتنقل الرئيسى ويزيد عددها على المليون رأس .

وفيما يخص صيد الأسماك : فهي هنا حرفة محدودة وتُمارس بشكل خاص في هذا القطر الداطاى (الحبيس) في مياه الأنهار السابقة الذكر بالإضافة إلى مياه بحيرات قراقاش،

لوب ثم أبى، وهذه الأخيرة هي أكبرها وتقع في سهل جونغاريا والتي تتكون من تجمعات مجاري المياه ذات المصبات الداخلية والناتجة أصلاً عن ذوبان مياه الجليد الذي يسقط في الشتاء وبعض أيام الصيف في هذا القطر الذى تكثر فيه تضاريس الأحواض .

وفيما يتعلق بالتعدين : فأرض هذه البلاد محظية من الله تعالى بتركيب جيولوجي اقتصادي غني ومن الدرجة الأولى . . . ومن أهم معادنها التي ثبت وجودها وذات الاحتياطى الضخم ، النفط وهي أغنى المقاطعات الصينية الأخرى في احتياطي نفطها وينقل إنتاجها منه بواسطة الأنابيب الناقلة للخام ثم بواسطة القطارات والسيارات الناقلة لخامه ومشتقاته، وأهم مناطق حقول النفط سهل جونغاريا وحوض تاريم ، وقد قُدر احتياطيه بنحو ١٦٠ مليون طن ، كما يوجد فيها معادن القصدير والرصاص ولها معًا ١٣ منجمًا والذهب واحتياطيه نحو ١٩,٠٠٠ طن . . . كما ثبت أن فيها عدة معادن منها المنجنيز والألومنيوم والفحم الحجري والفوسفات .

وفيما يخص الإنتاج الغابي : فهو هنا محدود بمناطق الغابات على السفوح الجبلية في تيان شان والشاي ويُستهلك كأخشاب وقود في أيام الشتاء القارس البرد .

وفيما يتعلق بإنتاجها الصناعي : فهو متنوع في مؤسساته وفي إنتاجه نخص منه صناعة التكرير وتصفية وإعداد معادن : القصدير والرصاص ، واليورانيوم والنحاس . . ومما يُعاب على صناعات هذا القطر إحاطته معظم أنواع الصناعات في التركستان وأرقامها الإنتاجية بالسرية نظرًا لتبعيتها للنظام الصيني الشيوعي الحريص دائمًا على إخفاء المعلومات الرقمية (الإحصائية) عنه وبالذات أرقام الأجزاء المغتصبة والتي تضمها إلى ترابها !! .

طرق المواصلات : من أهم ما ساعد على تقدم هذا القطر وتطوره حضاريًا واقتصاديًا وجود شبكة لطرق السيارات المعبدة والزراعية على أرضها، لتقدم وسائلها وآلاتها جميع خدمات النقل والتنقل لسكانها عامة والعاملين في الحرف والأنشطة المختلفة خاصة ، ومعظم هذه الطرق يتفرع أصلاً من موضع العاصمة أورومجي (أورمتشي) متجهة إلى باقى جهات القطر وإلى خارجه غربًا حيث أقطار التركستان الغربية وشرقًا حيث مقاطعات الصين الأخرى وعاصمتها بكين مرورًا بمراكز السكن والعمران والأنشطة الاقتصادية التركستانية الشرقية ، ومن أهم معالم طرق المواصلات ووسائلها هنا ذلك الخط الحديدي من النوع العريض الذى مد منذ سنة ١٩٥٨ م . ليصل التركستان الشرقية بباقي مقاطعات الصين وعاصمتها، ثم ليصلها في الغرب بالتركستان الغربية حيث يعبر الحدود بين الشقيقتين

التركستان الشرقية والغـربية . يُضاف إلى هذه الخدمات ما تقوم به طائرات ومطارات طيران الصين الشيـوعية في رحلالتـها مع مدن ومطارات الصين الأخرى إلى التـركستان الشـرقية حيث يُقـام لها هنا عدد من المطارات كمـا كانت من قبل تتوفـر لها خدمات شـركة طيران «إيرفلوت» الروسية خاصة يربطها مع مطارات مدن التركـستان الغربية الشقيقة ، ولكن هذه الأخيرة قد أوقفت بعد تدهور العلاقات الشيوعية الصينية - السوفيتية .

الخاتمة : وهي خـاتمة هذه الدراسـة نعرض للمـوقف الجـغرافي المعاصـر لهـذا القطر الإسلامى المغتصب :

١- ففيما يتعلق بمواردها الاقتصادية الزراعيـة والحيوانية والغابية والمعدنية ثم الاصطناعية . . . فإن السيـاسة الاقتصادية للصين الشـيوعية المدعيـة دائمًا بالديمقراطية بل جـعلتها من صميم اسمها !! أبت إلا أن تدمج الأرقام الإنتاجية لهذا القطر وغيره ضمن إجمالي إنتاجها وبالتالي استـحالة الحصول على أرقام إنتاجـية لأي من هذه الموارد في التركستان الـشرقية، وأن كل مـا يُذكر ويرد عنهـا من مـعلومات هي تقـديرية وتقـريبيـة مما يزيد من غمـوض الدراسات الجغرافية الاقتصادية من حول التركستان الشرقية السليبة .

٢- وفيما يخص وضـعها المعاصر : فهو تجديد الصلـة بما صنعه الله في خلقه الرافضين دائمًا للسيطرة الأجـنبية عليهم ومقـاومته بكل إمكاناته وقدراته هذا خاصـة منهم المسلمون الذين يذكرون قول الخليـفة الراشد عمر بن الخطاب لعمرو بن الـعاص رضي الله عنهما : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

وهكذا كان لا يزال موقف إخواننا التركستانيين الشرقيين من الاحتلال الصيني والروسي وغيره لبلادهم ولحرياتهم والذي اتخذ شكل ثـورات مسلحة ومواقف سلبية، آملين في الله أن يسدد خطاهم وينصـرهم على الباطل الشيوعي فـقد ذكرنا أن الآخر مظـاهر الاحتلال الصيني الشـيوعي كانت في سنة ١٩٤٩م .أي منذ نحو ٣٥ سنة حين غـزت قوات الصين الشيـوعية هذا القطر واحـتلته بقوة السـلاح، ولتواجه بالـعديد من مظاهر الثورة الرافضة وحركات المقاومة العديدة والتي بدأت وما زالت حتى يومنا هذا .

وفيما يلي سرد تاريخي لهذه الثورات الإسلامية :

١- الثورة الأولى والتي امتدت فيما بين الاحتلال في سنة ١٩٤٩م وحتى سنة١٩٥١م .

٢- الثورة الثانية والتي امتدت فيما بين سنة ١٩٥٤م وحتى سنة ١٩٥٨م .

٣- الثورة الثالثة والتي امتدت فيما بين سنة ١٩٥٩م وحتى سنة ١٩٦٣م.

٤- الحركات الرافضة العديدة والتي امتدت فيما بين سنة ١٩٦٥م وحتى سنة ١٩٦٨م .

٥- ما زال شعبنا المسلم وسيبقى رافضًا رفضًا باتًا للوجود الصيني المغتصب والسالب والناهب لخيرات هذا القطر بل ولسكانه وهادرًا لدمائه الزكية أعانه الله على بلواه ولا حرمه عون إخوانه المسلمين في أقطارهم وأمصارهم .

وإن آخر دعواي لهذه البلاد أن اللهم انصر شعبنا المسلم على عدوان الإلحاد .

مجلة رابطة العالم الإسلامي

العدد التاسع - رمضان ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)

في تركستان

التعليم العام الحادي والتعليم الديني سري للغاية

بقلم د.عبد القادر طاش

وعلى الطرف الشمالي الغربي للصين الشيوعية وبالتحديد في منطقة تركستان الشرقية كانت رحلتى (١٩٨٤م) ، لم يكن سكان المنطقة غرباء، ولم أكن غريبًا عليهم، لكننا جميعا أحسسنا بشعور الغربة ونحن نرى ملامح الدمار والتشرد تعشش في كل ركن .. المصاحف أحرقت والمساجد هُدمت وتحول بعضها إلى مستودعات وإسطبلات ، والهوان مرتسم على وجوه ٢٠ مليون مسلم هم سكان المنطقة .. الشيء الوحيد الذي خفف من مرارة رحلتي هو تأكدى من بقاء العقيدة الإسلامية ورسوخها فى صدور الناس هناك بالرغم من كل شيء .

منذ دخل الإسلام إلى تركستان الشرقية في أواخر القرن الأول الهجري والمسلمون في التركستان متمسكون بدينهم وعقيدتهم . وقد توج المسلمون هذا التمسك والحب للإسلام بدخولهم في دين الله أفواجًا عندما أسلم خاقان كاشغر (ستوق بوغرا) في القرن الرابع الهجري . وقد لمسنا هذه الحقيقة منذ أول وهلة وطئت أقدامنا فيها أرض تركستان ، فبالرغم من الاضطهاد الفظيع والتحديات الشديدة التي واجهها الشعب التركستاني، فإن المسلمين في هذه البلاد لم يتخلوا عن دينهم، ولم يتنازلوا عن عاداتهم وتقاليدهم الإسلامية، بل عمل الكثير منهم - برغم قلة فرص التعليم الديني بل وانعدامها في معظم الأحيان - على المحافظة على دينهم ودين عائلاتهم وأولادهم وتعليمهم الإسلام سراً .

إن كثيراً من مظاهر الإسلام وشعائره لا تزال باقية في المجتمع التركستاني . وقد لاحظنا أن دائرة ممارسة شعائر الإسلام والاعتزاز بالانتماء إليه بدأت تتسع شيئًا فشيئًا نتيجة إصرار الشعب على التمسك بدينه؛ مما حدا بالسلطات المحلية والمركزية بانتهاج سياسة جديدة تجاه المسلمين تتسم بشيء من التسامح وعدم الاعتراض على ممارسة الشعائر حتى بالنسبة لبعض المسؤولين الرسميين من التركستانيين .

ولعل أبرز مظاهر الإلتزام الإسلامي تتمثل في ارتياد المسلمين للمساجد لأداء الصلوات والاستماع إلى المواعظ التى تُلقى فيها . وقد أعيد - بحمد الله - فتح غالبية المساجد في

أنحاء تركستان، وإعادة ترميم ما خرب منها على أيدي الثوريين إبان عهد الثورة الثقافية. وتقوم الحكومة نفسها بإعادة ترميم بعض هذه المساجد والمساعدة في إصلاحها، مما يدل على تغير في سياسة الحكومة تجاه المسلمين في التركستان.

وفي تركستان الشرقية اليوم عدد كبير من العلماء والأئمة والوعاظ الذين درسوا على أيدى مشايخ مشهورين من قبل. وغالبية هؤلاء ذوو ثقافة دينية طيبة وإن كانوا معزولين نوعًا ما عن الواقع المعاصر، مما أحدث فجوة بينهم وبين الشباب انعكست آثارها على ابتعاد الشباب عن العلماء واتهامهم بأنهم ينفرون الشباب من الدين بشدة لوم الشباب والتركيز على الفرعيات. وقد رأينا فعلاً أن بعض هؤلاء المشايخ والأئمة والوعاظ يشغلون أنفسهم بمسائل لبس الشباب للبنطال وكشف الرأس أو لبس القبعة بدلاً من العمامة والذهاب إلى السينما ونحو ذلك في الوقت الذي لا يلتفتون فيه إلى تبصير الشباب وتوعيتهم بالمفاهيم الأساسية في العقيدة والفكر، حتى يتحصنوا بذلك في وجه الأفكار الإلحادية التى يدرسونها في المدارس وتصل إليهم عبر وسائل الإعلام المختلفة.

وهناك أيضًا مجموعة ممن يمكن أن نسميهم بالدراويش والمتصوفة والمبتدعين الذين ينتشرون في البلاد وينشرون ممارساتهم المنحرفة الخطيرة فيما يتعلق بتقديس الأولياء المزعومين والتعلق بالخرافات واتخاذ القبور مزارات تذبح من أجلها النذور وتُطلب من أصحابها الحاجات. ولهؤلاء الدراويش والمبتدعين تأثير بالغ على العامة من الناس وبسطاء التفكير والنساء بشكل خاص. وكثير من هؤلاء يتخذ الدروشة والتصوف وسيلة للكسب المادى وابتزاز الجهلاء.

ولكن السنوات الأخيرة قد شهدت - والحمد لله - ظاهرة صحية جديدة، حيث اشتد ساعد مجموعة من العلماء الفضلاء من ذوى العقيدة السلفية الصافية والفهم الصحيح، وبدأوا حركة علمية طيبة، والتف حولهم بعض الناس وخصوصًا من الشباب، وأصبحت لهم مساجد معروفة حتى أصبحوا ينعتون بـ «الوهابيين». وقد لاحظنا أن كثيرًا من هؤلاء العلماء هم ممن تربوا على كتب الأئمة أمثال ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب. وبعض هؤلاء هم ممن أكرمهم الله بالحج إلى بيت الله الحرام والتعرف على مصادر العلم الشرعي في أرض الحرمين؛ مما كان له أثر في تعميق مفاهيمهم وتوسيع مداركهم وحفزهم لمواصلة جهادهم من أجل تصحيح العقيدة في نفوس الناس ودلالتهم إلى الطريق الصحيح.

الحالة التعليمية والثقافية

إن التعليم العام في المدارس الابتدائية والثانوية في تركستان هو تعليم إلحادي وعلماني وهو أخطر ما يواجه المسلمين وشبابهم الناشيء ، وقد زرنا بعض المدارس منها (معهد المعلمين) في كاشغر، وتجولنا في أقسام المعهد وفصوله، والتقينا ببعض المسؤولين عنه والأساتذة . وكان مما تناقشنا فيه ملاحظتنا التي أبديناها عن إهمال جهود العلماء المسلمين في مجالات الطب والعلوم الطبيعية، وكذلك آثار الأدباء والشعراء المسلمين والعرب بوجه خاص ، حيث إن المواد الدراسية لا تتضمن ذلك وتقتصر على العلماء الغربيين والشرقيين فحسب . وقد أجاب المسؤولون والأساتذة بأنهم لا يمتلكون مصادر ومراجع في ذلك ، وأبدوا ترحيبهم بتزويدهم ببعض المصادر والمراجع في مجال إسهام المسلمين في العلوم والآداب ليستفيدوا منها في مناهجهم الدراسية .

أما التعليم الجامعي فما يزال ضيق النطاق حيث توجد بعض الكليات الصغيرة في بعض المدن التركستانية . وتوجد في (أورومجي) - العاصمة- (جامعة سنكيانج) التي أسست سنة ١٩٣٥ وكانت معهداً في أول الأمر ثم صارت جامعة سنة ١٩٦٠م . وتضم الآن ١١ كلية تحوى ٢٢ تخصصاً علمياً وأدبياً . والتعليم في الجامعة باللغتين الصينية والأيغورية (لغة الشعب التركستاني) . ويدرس بها الآن ٤٥٠٠ طالب يمثلون ١٣ قومية إسلامية وصينية ، ويعمل بها ١٠٤٠ عضو هيئة تدريس منهم حوالى ٤٦٪ من الأيغوريين !! ويوجد بالجامعة مكتبة تحوي ما يقرب من ٨٠٠ ألف كتاب بلغات مختلفة .

وقد أخبرنا المسؤولون في الجامعة بأن النية تتجه إلى فتح قسم لتعليم اللغة العربية - أسوة بقسمي اللغة الإنجليزية واللغة الروسية - وقد رحبوا بأي تعاون في مجال دعم هذا القسم الذي سيفتتح قريباً، أو في تزويد مكتبة الجامعة بالكتب والمراجع العربية لتكون في متناول الطلاب .

أما بالنسبة لروافد الثقافة العامة في المجتمع التركستاني فهي محدودة ببعض المكتبات العامة وبعض محلات بيع الكتب المنتشرة في المدن الكبيرة بشكل محدود . ومعظم الكتب الموجودة في هذه المكتبات باللغة الصينية !! ولذلك فإن الوضع الثقافي العام متخلف .

أما التعليم الديني في تركستان فغير مسموح به علانية . ولكن بعض العلماء يقومون

بتدريس الطلاب وتعليمهم خفية ، حتى إننا وجدنا الطلاب يدرسون بعض المتون القديمة في النحو والصرف والبلاغة والمنطق ونحو ذلك . ولكن الفترة الأخيرة شهدت نوعًا من الانفراج المحدود في هذا الصدد ، حيث بدأ (المعهد الإسلامي) التابع للجمعية الصينية الإسلامية في بكين في استقبال الطلاب التركستانيين، وتدريسهم في اللغة العربية والدين الإسلامي، وتأهيلهم ليكونوا أئمة ووعاظًا . والمعهد الإسلامي تأسس عام ١٩٥٣م ولكنه لم يؤد مهمته وعطل عن عمله منذ تأسيسه واستعاد نشاطه منذ سنوات ثلاث ويضم الآن ٨٦ طالبًا يمثلون مختلف قوميات المسلمين في التركستان والصين . وللمعهد الآن عشرة مبعوثين للدراسة في الأزهر الشريف .

وتنوى الجمعية الصينية الإسلامية فتح معهد مماثل في مدينة أورومجي ليؤدي دوره في تعليم أبناء المنطقة التي تقطنها غالبية المسلمين في الصين . وقد انتهت الجمعية من وضع التصاميم الخاصة بإنشاء المعهد وسيبدأ العمل في التنفيذ قريبًا إن شاء الله .

والجمعية الصينية الإسلامية هي المؤسسة الرسمية التابعة للحكومة التي تشرف على النواحي الدينية في الصين وتركستان . وقد أسست عام ١٩٥٣م، ثم عطل نشاطها عام ١٩٥٩م ، وتضم الجمعية في عضويتها ٢٠٠ عضو ، ويرأس الجمعية الآن الحاج محمد على جانجي وله ١٥ نائبًا يمثلون قوميات المسلمين في المقاطعات . وللجمعية ٥٠ فرعًا في أنحاء الصين لا يوجد منها في تركستان - حيث غالبية المسلمين - سوى فرعين اثنين كلاهما في أورومجي . وقد أفاد المسؤلون بأن الجمعية ستفتح فروعًا جديدة لها في أنحاء تركستان في المستقبل القريب .

الحالة السياسية والاقتصادية

تقع تركستان الشرقية تحت الحكم الشيوعي الصيني ، وتعتبر مقاطعة ذات حكم ذاتى تُسمى (مقاطعة سنكيانج الإيغورية ذات الحكم الذاتي) . ولكن الحكم الذاتي شكلي الآن إذ إن معظم المراكز القيادية في تركستان يحتلها الصينيون . ويعاني التركستانيون من التفرقة في الوظائف وخصوصًا القيادية منها . وقد شهدت تركستان ومدنها وقراها موجة من الهجرة الصينية إليها بتشجيع من الحكومة، حتى تحولت بعض هذه المدن إلى مدن صينية من حيث نسبة السكان، ومثال ذلك مدينة أورومجي - العاصمة- التي يُقال بأن نسبة الصينيين فيها تبلغ ٨٠٪ من السكان !! .

أما من الناحية الاقتصادية فإنه بالرغم من الموارد والطاقات التي تتمتع بها تركستان الشرقية فإن الشعب التركستاني لا يستفيد من ثمرات هذه الموارد إذ يبدو للزائر أن مناطق المسلمين في تركستان هي أكثر مناطق الصين تخلفًا وتأخرًا بسبب إهمالها وعدم العناية بها من قبل السلطات. إنها مفارقة محزنة فتركستان الشرقية ذات موارد وطاقات معدنية وزراعية ضخمة حيث يضم باطنها أنواعًا من المعادن مثل الذهب والفضة والحديد، والفحم والقصدير . كما أن البترول يوجد في تركستان بكميات هائلة وتعتمد عليها الصين في ذلك ويوجد اليورانيوم في خمس مناطق في تركستان وافرة . كما أن أرض تركستان أرض زراعية خصبة وخصوصًا فيما يُعرف بحوض نهر تاريم الذي ينبع من جبال قره قورم ويصب في بحيرة قره بوران ويبلغ طوله ١٦٠٠ كم .

إن الحالة المعيشية للمسلمين في تركستان الشرقية متردية من حيث المساكن والوعي الصحي والعمران ، وبالرغم من توافر المواد الغذائية بسبب خصوبة الأرض وكرمها إلا أن الخدمات في مجالاتها المختلفة ما تزال متخلفة إلى مستوى يجعل الحياة صعبة وقاسية .

الحالة الاجتماعية

بالرغم من الفقر والتخلف الاقتصادي والمعاناة التي يعيشها المسلمون في تركستان الشرقية إلا أن الترابط الاجتماعي بينهم ما يزال - والحمد لله - قويًا ، والأسرة الكبيرة التي لا تقتصر على الأبوين والأولاد فحسب، بل تمتد إلى الأقارب القريبين والبعيدين ما تزال متماسكة وتمارس دورها الفعال في المجتمع .

والزائر للمجتمع التركستاني يدرك منذ الوهلة الأولى الطابع الإسلامى للمجتمع ، ويتمثل هذا في كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية المرتبطة بالإسلام. كما أن التركستانيين حريصون على لغتهم الأويغورية التي تتشابه كثيرًا مع اللغة التركية، وتحوي هذه اللغة كثيرًا من الكلمات العربية الإسلامية . وقد حاول الصينيون فرض كتابة اللغة الأويغورية بالحروف اللاتينية ولكنهم فشلوا في ذلك ، وما يزال التركستانيون يكتبون لغتهم بالحروف العربية . وكثير من الشعب يتحدث اللغة الصينية وخصوصًا الشباب حيث يتعلمونها في المدارس ويمارسونها في الدوائر الرسمية .

المرأة التركستانية ما تزال في عمومها محافظة على تقاليدها وخصوصًا في القرى

والأرياف . وقد بدأت بعض مظاهر التكشف تنتشر في المدن لضعف الوازع الديني والجهل واللامبالاة . ودخلت المرأة مجال التعليم وهو تعليم مختلط . والمرأة تعمل سواء في الحقول والمزارع والمصانع أو في الدوائر الحكومية والمؤسسات . وقد لاحظنا عدداً من النساء المحجبات بتغطية الوجه في مدينة كاشغر خصوصاً ، كما أن بعض النساء اللاتى أدين فريضة الحج تحجبن بعد رجوعهن إلى التركستان .

وانتشار المفاسد الاجتماعية والموبقات محدود - والحمد لله- وخصوصاً في مدن الجنوب مثل كاشغر وخوتان وياركند وقراقاش وغيرها وهي أكثر محافظة من غيرها من المدن التى في الشمال بسبب تغلب العنصر الصيني في تلك المدن . والتلفزيون لا يدخل كل بيت ، ولكن دور السينما تنتشر في المدن ويرتادها الشباب ومعظم ما يُعرض فيها أفلام صينية .

وبعد ،،،

إن الوضع الحاضر في تركستان الشرقية والصين عموماً والذى يتسم بشىء من التسامح وسياسة الانفراج النسبى الذي تمارسه الحكومة الحالية ملائم للمسلمين - عبر مؤسسات الدعوة والعمل الإسلامي- ليدركوا المسلمين المنسيين هناك ويعملوا على الارتفاع بمستواهم الديني والاقتصادي والاجتماعي بعد سنوات التيه والظلمات التي عانوا منها مُرّ العناء .

ولكننا نعتقد أن تعامل مؤسسات الدعوة وهيئات العمل الإسلامي مع الأوضاع في الصين وتركستان ينبغى أن يكون وفق رؤية سليمة وتخطيط رشيد ومتابعة دقيقة ، إذ إن أي عمل متعجل أو تصرف مندفع قد يضر بمصالح المسلمين ويضيع علينا فرصة توظيف الظروف الجديدة فيما يعود على الإسلام والمسلمين هناك بالنفع والفائدة المرجوة . وبالرغم من أن الحكومة الآن تمارس سياسة للانفتاح النسبي عموماً فإن موقفها من المسلمين ومحاولات تحسين أوضاعهم وتعميق مبادئ الإسلام في نفوسهم ما يزال حذراً . لذلك ينبغى على المهتمين بشؤون المسلمين في تركستان والصين والمتحمسين للعمل الإسلامى هناك ألا يغفلوا عن هذا الأمر ، وعليهم أن يعالجوا الأمر بروية وإحكام . ولسنا نريد هنا أن نضع العراقيل في وجه العمل ، وإنما نريد أن نوجه إلى حسن استغلال هذه الفرصة وتوظيفها بحكمة وتخطيط وذكاء بعيداً عن الاندفاع الحماسي والعمل العشوائي وتشتيت الجهود .

جريدة « المسلمون»

٢٥ أكتوبر ١٩٨٥ م

٥ صفر ١٤٠٦ هـ .

مسلمو تركستان الشرقية

وخطر «التصيين» والتذويب

بقلم : محمد رضا بيكين

كثيرون من المسلمين لا يعرفون قضية إخوانهم المسلمين في تركستان الشرقية . إنها قضية منسية قلما تسلط وسائل الإعلام الأضواء عليها . وتركستان الشرقية تقع في قلب آسيا . إنها من «بلاد ما وراء النهر» - كما تعارف عليه المؤرخون الجغرافيون المسلمون القدامى - وتركستان الشرقية جزء من أرض تركستان الكبرى التى تضم القسم الشرقى والقسم الغربى - وهو الآن ضمن الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفياتى . أما القسم الشرقى فقد وقع تحت الاحتلال الصينى منذ عام ١٨٧٨م . وكان الإسلام قد دخل تركستان الشرقية عبر عاصمتها كاشغر، التى فتحها القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلى في القرن الأول الهجرى . وعم الإسلام هذه البلاد عندما أسلم خاقان الترك (ستوق بوغرا) في القرن الرابع الهجري . وبذلك أصبحت تركستان الشرقية ضمن أراضى الخلافة الإسلامية ، وبوابة المد الإسلامي إلى أرض الصين وما وراء الصين كاليابان وغيرها .

إن التاريخ الحديث لتركستان الشرقية ملىء بالأحداث المأساوية . وهل أشد مأساة من تغيير اسم هذا البلد المسلم في محاولة لمحو الوجود الإسلامي والقومي لهذا الجزء العزيز من العالم الإسلامى ؟! إن الصين منذ أن استولت على تركستان الشرقية حولتها إلى مقاطعة صينية وغيرت اسمها إلى ما يُعرف اليوم بـ «سنكيانغ» - أى الأرض الجديدة .

تركستان : مهد الأتراك ومركز الحضارة الإسلامية

إن تركستان الشرقية التى تعتبر محور آسيا لأهميتها الاستراتيجية كانت مهداً للأتراك ومقرًا أصيلاً لحكوماتها ودولهم عبر التاريخ . تشرفت بالإسلام في القرن الأول الهجرى، ونشأت بها أول دولة تركية إسلامية حيث قامت بها دولة (قرخان) في عام ٨٨٠م، وغدت مركزًا من مراكز الحضارة الإسلامية بفضل ما أخرجت هذه التربة الطيبة من شخصيات وعلماء في شتى ميادين العلم والثقافة . وقد قام التركستانيون بدور بارز في نشر الإسلام حاملين راية الجهاد والدعوة الإسلامية .

بيد أن تركستان الشرقية - التي تبلغ مساحتها ٢,٦٥٠,٠٠٠ كم٢ ويبلغ سكانها ما يقرب من ١٥ مليون نسمة - احتلتها الصين عام ١٨٧٨م ، بعد أن أطاحت بدولة الملك يعقوب بك الذي أقام علاقات دبلوماسية مع بريطانيا والدولة العثمانية وروسيا القيصرية وأفغانستان ومصر في أثناء حكمه كم ١٨٦٣ إلى ١٨٧٨ م .

وقد ثار التركستانيون مرات عديدة على الحكم الأجنبى الصينى واستشهد مئات الألوف من المسلمين في سبيل خلاصهم من الاستعمار الدخيل . وقد أثمر هذا الجهاد عن قيام عدد من الحكومات الإسلامية الوطنية في تركستان الشرقية، مثل حكومة خوجة نياز عام ١٩٣٣م، وحكومة علي خان توره عام ١٩٤٥م . ولكن دخول الشيوعيين - بعد انتصار ثورتهم في الصين - إلى تركستان الشرقية عام ١٩٤٩م قضى علي آمال التركستانيين في حكم أنفسهم بأنفسهم . وبدأ بحلول الحكم الشيوعى عهد مظلم ملىء بالإرهاب والظلم ، حيث تم في بداية هذا العهد - كما أعلن برهان شهيدي الحاكم العام من قبل الشيوعيين على تركستان الشرقية في ١٩٥٢/١/١ م - إعدام مئة وعشرين ألف شخص من العلماء والزعماء والشخصيات .

فترات السيطرة الشيوعية

لقد مرت السيطرة الشيوعية على تركستان الشرقية بثلاث فترات هي :

١- فترة البناء الشيوعي والسيطرة الصينية ١٩٤٩-١٩٦٥م . وقد عمل الشيوعيون بعد تثبيت أقدامهم في تركستان الشرقية وإنشاء الحزب الشيوعي الصيني لمقاطعة تركستان على تنفيذ تخريبهم في ثلاثة اتجاهات هى :

أ- القضاء على الزعماء الوطنين والعلماء .

ب- تطبيق النظام الشيوعي بمصادرة الأملاك والأوقاف واعتقال الأثرياء وتكوين الميليشيات الشعبية من اللصوص والمنحرفين والهجوم على المؤسسات الاجتماعية بدعوى معاداتها للشيوعية) .

ج - بسط السيطرة الصينية على تركستان الشرقية بتكثيف استجلاب الموظفين الصينيين في الإدارات والمراكز الحكومية والشعبية ، وتنفيذ خطة الاستيطان الصينى البوذى، وفرض التصيين الثقافي والتعليمي .

٢- والفترة الثانية هي فترة الثورة الثقافية ١٩٦٦ - ١٩٧٥ م . حيث عمل الشيوعيون على القضاء على التعاليم الإسلامية والحضارة التركية والمعالم الوطنية لتركستان الشرقية . فقد أغلقت جميع المساجد واستعملت لغير أغراضها ، وانتهكت الحرمات ومُنع المسلمون من ممارسة شعائرهم الدينية وفُرض استعمال اللغة الصينية على الجميع بدلاً من اللغة التركية. كما صودرت جميع الكتب الإسلامية وأجبر المسلمون على قراءة تعاليم (ماوتسي تونج) كما أجبروا على الزواج المختلط - بين المسلمين الأتراك والصينيين البوذيين- وبذلك دُمرت في هذه الفترة ما تبقى من مؤسسات ثقافية أو تعليمية أو دينية، وكان الهدف هو قطع المسلمين عن دينهم وأصالتهم وتراثهم الديني والقومي .

٣- الفترة المعاصرة ١٩٧٦-١٩٨٦ م تميزت بتحول الشوعيين الصنيين من تطبيق سياسة الإرهاب المكشوف إلى ممارسة تطبيق الشيوعية «العلمية » والتصيين الثقافي بعد أن نجحت السياسة السابقة في بث الرعب في نفوس التركستانيين ، والتخلص من القوى الإسلامية والوطنية وسيطرة الصينيين على مقدرات البلاد وتمكنهم من توطين أكثر من خمسة ملايين صيني بوذي في تركستان الشرقية .

وفي ظل هذه السياسة الجديدة لحكومة الصين الشعبية التي تُسمى بسياسة الانفراج النسبي يتمتع المسلمون في تركستان الشرقية ببعض مظاهر التسامح الديني . ولكن الخطر الحقيقى يتمثل في رغبة الحكومة الصينية علي توطين مئتي مليون صيني في هذه البلاد المسلمة ذات الإمكانات والطاقات الهائلة .

مطالب التركستانيين

إن تركستان الشرقية المسلمة التي تعاني الاضطهاد الشيوعى، قد عبر أبناؤها المسلمون عما يلاقونه من سياسة استعمارية ظالمة في مسيرتهم التاريخية الوطنية في أوائل العام الماضي عندما تناقلت وكالات الأنباء خبر المظاهرات التى قام بها التركستانيون ضد التفجيرات النووية الصينية في أراضيهم ، وقد تمثلت مطالب هؤلاء المتظاهرين فيما يلى :

١- وقف الاستيطان الصينى في بلادهم .

٢- وقف إجراء التجارب النووية في أراضيهم .

٣- تطبيق قانون الحكم الذاتى المعلن في تركستان الشرقيـة تطبيقًا فعليًا بإجراء انتخابات حرة لاختيار رئيس الحكومة المحلية ورؤساء اللجان الشعبية .

٤- وقف تطبيق سياسة تحديد النسل لمسلمي تركستان الشرقية .

٥- تمكين حكومة البلاد المحلية من استغلال جزء من ثروات تركستان في تطوير وتحديث البلاد .

٦- إعطاء الأولوية لشباب تركستان المسلمين للعمل في الأجهزة الحكومية والمؤسسات والمصانع .

٧- العمل على رفع المستوى العلمي والصحي والاقتصادي لشعب تركستان .

نسبة المسلمين من ٩٥ ٪ إلى ٥٤ ٪

إن تركستان الشرقية التي كانت نسبة المسلمين فيها ٩٥٪ ونسبة الصينيين البوذيين لا تتعدى ٥٪ من إجمالي السكان عام ١٩٤٩م تتعرض لعمليات توطين صينية رهيبة حتى بلغت نسبة هؤلاء الصينيين أكثر من ٤٠٪ وهبطت نسبة المسلمين إلى ٥٤٪ من إجمالي السكان عام ١٩٨٢ م .

علاوة على ذلك ، يواجه التركستانيون المسلمون تفشي الأمراض الفتاكة بسبب التفجيرات النووية التي تتم في بلادهم منذ عام ١٩٦٤م . كما يواجهون إهمالاً شديداً في مجال الرعاية الصحية والتعليم لمسلمي تركستان . وكانت مجلة (نيوزويك) قد نشرت في ١٦ يونيو ١٩٨٦م تصريحًا لأحد الزعماء الشيوعيين يقول فيه إن (سنكيانغ) - أى تركستان الشرقية - بلد الـ ١٥ مليون نسمة منهم ٦ ملايين أيغور مسلم ، و٥ ملايين صينى بوذى تستطيع بسهولة استيعاب مئتى مليون نسمة . وهذا يؤكد وجود مخطط صينى بشع لإغراق هذا البلد المسلم بالصينيين البوذيين بهدف القضاء على الوجود الإسلامى وابتلاع هذا البلد المسلم للأبد !! .

وجوه الاهتمام بقضية المسلمين في تركستان الشرقية

ويمكننا تلخيص وجوه الاهتمام بقضية المسلمين في تركستان الشرقية انطلاقًا من المسؤولية

الإسلامية للمنظمة، وإيمانًا بالواجب الإلهي الذى يتحتم على كل مسلم مناصرة أخيه المسلم لإعزاز دينه وإعلاء كلمته .

أولاً : الإسراع في العمل على وقف الاستيطان الصيني البوذي في تركستان الشرقية

ثانيا : مطالبة حكومة الصين الشعبية بإلغاء السياسة الاستعمارية بتصيين المسلمين التركستانيين ثقافيًا واجتماعيًا ، ومنحهم الحرية التي تساعدهم على حفظ كيانهم ووجودهم الإسلامي وممارسة شعائرهم الدينية وتعليمهم الإسلامي .

ثالثًا : مطالبة حكومة الصين الشعبية بوقف التفجيرات النووية في تركستان الشرقية لما في ذلك من تهديد مباشر لسلامة وصحة المسلمين هناك .

رابعًا : مطالبة الحكومة الصينية بمنح المسلمين التركستانيين حق تقرير المصير في حكم بلادهم ، وأن تؤكد الصين الشعبية نواياها الطيبة نحو الأمة الإسلامية بتطبيق الحكم الذاتي تطبيقًا فعليًا في تركستان الشرقية .

خامسًا : تشكيل لجنة خاصة لدراسة أحوال المسلمين في تركستان وإيفاد بعثة استطلاعية للقيام بهذه المهمة .

سادسًا : حث المؤسسات المالية والاقتصادية الحكومية والخاصة في العالم الإسلامي على تنفيذ بعض المشاريع الإنسانية التي تساعد على رفع مستوى المسلمين في تركستان الشرقية ماديًا وحضاريًا ، وتعينهم على مواجهة المخططات الصينية لفرض الجهل والتخلف على المسلمين .

سابعًا : استقدام العمالة الإسلامية من تركستان الشرقية إلى البلاد الإسلامية لرفع المستوى المعيشي للمسلمين هناك وإكسابهم الخبرة والمهارة التي تفيدهم في تطوير بلادهم .

ثامنًا : تخصيص منح دراسية لأبناء المسلمين التركستانيين في المعاهد والجامعات في الدول الإسلامية لمساعدتهم في التعليم بما يمكنهم من حفظ كيانهم ودينهم ومقاومة سياسة التجهيل والتخلف التي تمارسها السلطات الصينية .

تاسعًا : تخصيص مساعدات ومعونات مالية من الدول الإسلامية والمؤسسات لترميم وإنشاء المعاهد والمعاهد الفنية والمستشفيات ومراكز البحوث والدراسات الإسلامية في تركستان الشرقية .

جريدة «الشرق الأوسط»

١٥ يونيو ١٩٨٧م

١٩ شوال ١٤٠٧ هـ .

رياح التغيير الدافئة

تهب في تركستان الشرقية

بقلم : إس . اندرز ويمبوش

عندما سافرت للمرة الأولى في عام ١٩٨٠م إلى إقليم سينكيانج على حدود الصين الغربية المشهور تاريخيًا بتركستان الشرقية لم يكن يوجد هناك إلا القليل من المؤن الغذائية والسيارات القليلة جدًا، ولم يكن للبضائع والمؤن المصنعة أى وجود في المستودعات ، بل لم تكن هنالك سياسة واضحة من جانب حكومة بكين ، إذ كان الغموض يكشف أعمال الكوادر الصينية في معالجتهم لمثل هذه القضايا ، لقد كانت الممارسات الإسلامية محظورة في تلك الأثناء ومعظم المساجد ظلت مغلقة .

وعندما عدت إلى المنطقة في أواخر عام ١٩٨٣م ، وجدت فائضًا من الأغذية في هذه المرة، ووجدت شبكة مواصلات عامة جيدة وكذا صحوة إسلامية تتفاوت من منطقة إلى أخرى . وجدت أيضًا بداية لمشاريع صناعية محلية، كما وجدت السكان المحليين - بالرغم من شكهم الواضح حول النوايا الصينية - شديدي التفاؤل باتجاهات التغيير هذه وحجمها ، وفي هذه الزيارة وجدت أيضًا عددًا من الكوادر المحلية تعمل جنبًا إلى جنب مع السلطات الرسمية .

وفي شهر نوفمبر من عام ١٩٨٦م عندما عدت إلى تركستان الشرقية للمرة الثالثة وجدت أنه من الصعب التعرف على الإقليم التاريخي من عدة وجوه ، فالكثير من المدن التى كانت في الماضى طرقًا لتجارة الحرير صارت الآن مفتوحة أمام السواح، والسكان المحليون صاروا ينعمون بقدر من الرخاء الاقتصادى لم يكن متوقعًا منذ عدة سنوات ، فلقد صارت المتاجر والأسواق الشعبية تمتلىء بالأقمشة التركستانية والفواكه والخضروات واللحوم المنتجة محليًا وكذا الأدوات المنزلية وغيرها المصنعة محليًا . ويستطيع المرء أن يجد أحدث وأغرب أجهزة المذياع اليابانية ، أما الهجين الصيني من المركبات السوفيتية القوية فقد اختفت لتحل محلها سيارات التيوتا والجيب النتاج المناسب للتزاوج بين التقنيات اليابانية والأمريكية والجهد الصيني . أما المساجد فإنها تكتظ بالمصلين صباحًا ومساءً ويستطيع المرء شراء كتب الثقافة الإسلامية بحرية وتقريبًا في كل مكان .

اهتمامات المسؤولين الصينيين

إن اتجاهات التنمية الاقتصادية بما فيه من لا مركزية في الاقتصاد في تركستان الشرقية لن يُسرّ بها كثير من الناس ، خاصة وأن الكثير من المسلمين المحليين صاروا قلقين مما يعتبرونه بتهيئة الظروف أمام فيضانات جديدة من المهاجرين الصينيين من الداخل إلى هذا الإقليم ، إن الكثير من أبناء تركستان الشرقية يقولون بأن أعداد الصينيين (الهان) المتواجدين في هذه المنطقة يقدرون بضعف الرقم الذي تحدده الإحصائيات الرسمية .

لقد طرحت هذه القضية على المسؤولين الصينيين في عام ١٩٨٣م، فوجدتهم شديدي الحذر والتيقظ لهذه المشكلة ونتائجها ويبحثون عن سبل لمواجهتها مع الإبقاء على خطط التنمية الصناعية في المنطقة . وفي سنة ١٩٨٦م كانت اهتمامات المسؤولين مستمرة إلا أن حيرتهم قد انتهت ففي هذه المرة أخبرت بأن هجرات القبائل الصينية (الهان) من الداخل إلى سينكيانج يجب أن تستمر لأن لديهم مهارات صناعية لا يمكن أن توجد لدى السكان المسلمين المحليين ، يقول أحد المسؤولين الصينيين عند سؤاله عن وجهة نظره حول هذه الظاهرة : « كل واحد سيستفيد من التطورات التى تحدث في سينكيانج يجب أن ندرك حجم المشكلة، وهذا يعنى مزيداً من هجرات (الهان) وفي ذات الوقت إن تنجح هنا فلابد من المزيد من الدعم من الداخل ، بالإضافة إلى ما سبق فإنه سيكون من غير الممكن دفع عجلة الإنتاج في إقليم سينكيانج بفتح أسواق جمهورية الصين الشعبية أمامه بدون قبول العمالة الصينية في المنطقة .

إن السياسة الصينية في الإقليم تحتاج إلى لباقة ودبلوماسية عالية ، وهى صفات طالما افتقر إليها الصينيون في تعاملهم مع تركستان الشرقية في الماضي ، يقول أحد الكوادر من أبناء تركستان الشرقية : « إننا نصرّ على أن يشارك السكان المحليون من أبناء تركستان الشرقية إلى أقصى حد ممكن في التنمية الاقتصادية في إقليمنا هذا ، حتى إذا اقتضى الأمر إلى إبطاء سرعة التنمية إلى حد ما ، ويضيف الكادر المحلى قائلاً : إن الإخفاق في عدم القيام بذلك سينتج عنه شعور بعدم الرضى واتهامات جديدة حول الاستعمار الهاني (نسبة إلى الصينين الهان) .

إن هناك من يرى أن الموقف الصينى متناقض وغير ثابت فإذا حصل تراجع أو أنسحاب

في موقفهم هذا فإن المعدلات الاقتصادية المرتفعة في سينكيانج سوف تهبط من جديد . ومن جهة ثانية ، إذا استمرت الصين على ما هى عليه ، وصار إقليم سينكيانج المحطة الأخيرة لملايين جديدة من الهان قادمة من الداخل فإن الاستقرار المتولد عن الإصلاح والرخاء الاقتصادي سوف ينهار » .

إن ارتفاع الوعي الإقتصادي وتوقعات المستقبل بين أبناء تركستان الشرقية - كما هو الحال في أي مكان - سيؤدي بالضرورة إلى ارتفاع الوعى السياسى وإلى مطالب وتطلعات جديدة، لهذا فإن الصينيين سيواجهون بمواقف غير مستقرة وغير ثابتة ، وإن نجاحهم سيعتمد إلى حد كبير على قدرتهم على حل هذه المشكلة .

اتجاهات رسمية

عندما زرت المنطقة في أواخر عام ١٩٨٦م وجدت أن معظم المسؤولين الذين تحدثت معهم يتمتعون برؤية متفائلة وأكثر واقعية للعلاقات بين أبناء الجنسيات المختلفة في تركستان الشرقية . لقد انتهت - على سبيل المثال - شعارات الأسرة الواحدة وإخوة الرفاق ، واستبدلت بالدعوة إلى (المساواة) التى تدعمها الدولة، ففى ظل هذه الدعوة الجديدة لا يلزم الفرد بالاختلاط مع أبناء الديانات والسلالات العرقية الأخرى . وليس مطلوبًا منه حتى أن يحبهم ، ولكن عليه أن يحترم حقوقهم وعاداتهم ، ودعوة المساواة هذه لا تعدو أن تكون إقرارًا لما هو ممارس في واقع الناس ، إن مدن وبوادي تركستان الشرقية منفصلة عن بعضها إلى حد كبير ولهذا يسهل تميز أبناء (الهان) عن غيرهم في العزب والقرى ، في الأسواق والمدارس وفي سائر المرافق العامة .

إن الزواج المختلط بين الهان وغيرهم نادر جدًا ، فلقد حدثني مدير مؤسسات البحث الاجتماعى الرائدة في سينكيانج عن آخر أبحاثه التى تشير إلى أن عمليات الزواج في أوساط كل مجموعة دينية أو عرقية محصورة على أبنائها فقط، وتشير إحدى الدراسات التى طبقت على ٤٧٠٠ شخص ينتمون لـ ١٢٠٠ أسرة يعملون في مصنع كزحجار للمنسوجات أن الزواج المتبادل بين السلالات العرقية المختلفة لم يقع إلا في اثنتى عشرة حالة فقط . والجدير بالملاحظة أنه لم تحصل ولا حالة واحدة من حالات الزواج المختلط هذه بين المسلمين وغيرهم . وأضاف مدير مؤسسات البحث الاجتماعى قائلاً : إن المعارضة

الشديدة للزواج المختلط لا تزال قائمة حتى يومنا في ثقافتى المسلمين والهان على حد سواء، وحتى لدى المثقفين والكوادر من الفئتين .

لقد قامت إحدى مؤسسات البحث الرفيعة المستوى بإجراء دراسة عن العلاقة بين الإنجاب والتراث الثقافي ، وكانت النتيجة أن المسلمين ينجبون من ٥-٦ أطفال في المتوسط والمسلمون لا يزالون حتى تاريخنا هذا مستثنون من قوانين تحديد النسل التى تحدد الإنجاب عند أسر الهان بطفل واحد ، لكن هذا الاستثناء ربما ينتهى في يوم من الأيام .

لقد تحدث عدد من المسؤولين عن إمكانية توجيه قوانين تحديد النسل أو على الأقل تخطيط النسل إلى الأقليات في المستقبل القريب .

خطوات إيجابية

لقد بادرت السلطات الصينية باتخاذ خطوة إيجابية من جانبها وذلك بالطلب من الدول الإسلامية بأن تساعد في عمليات التنمية الاقتصادية في تركستان الشرقية، ولقد قامت تركيا بتوقيع اتفاقيات لبناء مصانع في الإقليم ، وهنالك دول إسلامية أخرى لها مشاركة ملحوظة كالباكستان .

لقد غير الصينيون في الآونة الأخيرة من أسلوبهم في التعامل مع الإسلام والأديان الأخرى كطريقة للحد من التوترات التى قد تنشأ في أى مكان . لقد طحنت الثورة الثقافية التى قادها الرئيس ماو في سنة ١٩٦٠م تركستان الشرقية طحنًا ، وضيق فيها على الإسلام بصفة خاصة ،فلقد نُسفت المساجد وأحرقت كتب التراث الإسلامى وعذب العلماء وقتلوا وبالرغم من كل ذلك ظل الإسلام حيًا في قلوب أبنائه .

الإسلام بين الأمس واليوم

إن الإسلام اليوم يعود إلى تركستان الشرقية بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل . وربما يكون هذا راجعًا بالدرجة الأولى إلى شدة تمسك المسلمين المحليين بدينهم وثقافتهم، وثانيًا إلى إدراك الصينيين بأن التضييق على الإسلام سيعطل كل برامج التنمية ، والأكثر من هذا وذاك أن مثل هذا الأمر سيؤدى إلى تفاقم الحساسيات الشديدة في أهم إقليم حدودى.

في سنة ١٩٨٠ م كان الإسلام في بداية ظهوره في هذا الإقليم بعد المعاناة الطويلة ، أما في سنة ١٩٨٦م فقد كانت هناك شواهد ودلالات واضحة لصحوة إسلامية غامرة ، فعلى سبيل المثال ، كان عدد المساجد العاملة في ولاية كاشغر عام ١٩٨٠ م لا يزيد على عدد أصابع اليد بينما ارتفع عددها في سنة ١٩٨٦ م ليصل إلى ٦٠٠٠ مسجد ، الشعائر الإسلامية صارت تُمارس بكل وضوح في المساجد والمنازل وفي بعض المدارس الخاصة ، كما سمح بتحصيل الزكاة لينفق منها على المدارس الإسلامية وإنشاء مساجد جديدة ورعاية الفقراء ، لقد أنشئت العديد من المدارس القرآنية بما فيها مدرسة في يارقند - كانت عند زيارتي - تعد الأئمة لأربعة وبستين قرية. وقد خُطط لإنشاء كلية إسلامية في أورمجي تشتمل على دراسات إسلامية وفنية ، ومن ناحية أخرى ، فلقد ازداد عدد الطلبة المسلمين الذين يُرسَلون إلى الخارج للدراسة في كل من باكستان وتركيا ومصر ، كما أن دراسة اللغة العربية صار الآن متيسرة لدى العلماء وعلى مستوى الدراسات الجامعية في أورمجي ، وكتب الثقافة الإسلامية صارت متوفرة ورخيصة كذلك، وهنا ينبغي الإشارة إلى أنشطة الجمعية الإسلامية في بيكين التى تسهم في الكثير من أوجه الحياة الإسلامية في كل أرجاء الصين ، ربما في ذلك نشر الكتب الإسلامية إذ إن هذه الجمعية تقوم بإنتاج أصول الثقافة الإسلامية كالقرآن والحديث والسيرة النبوية.

الطريق مليء بالمآزق

إن الوقت ما يزال مبكرًا للحكم الدقيق على نجاحات أو فشل التغيرات في تركستان الشرقية، ومن الأحكام التى يميل المرء نحوها ، هى التى تتعلق بقضايا حساسة كالنشاط الاقتصادى والحريات الدينية الممنوحة للمسلمين،إذ إن أى تراجع في هذا المضمار سوف تدفع الصين ثمنه غاليًا . وهذا يشمل أيضًا أى فشل أو إخفاق من جانبهم - أى الصينيين - لتحقيق المستوى العام للتوقعات المتزايدة،وبهذا فإن طريق المستقبل مليء بالعقبات والمآزق.

إن إحدى المعارك الرئيسية في السنوات القادمة ستكون في الميدان الفكرى ، ففى الوقت الذى يحاول فيه أبناء تركستان الشرقية تكييف أنفسهم للأوضاع الجديدة ، فإنهم سيحاولون إعادة تعريف وتحديد تراثهم في ضوء الأحداث التى تحيط بهم ، كما سيحاولون صياغة

وتشكيل التحولات التى تمر بهم في إطار ثقافي مألوف ومقبول .

لقد بدأ بالفعل الحوار حول الآثار التاريخية لحضارة المسلمين الأتراك ، وعلى وجه الخصوص جوانب تفاعلها مع الحضارة الصينية . إن مثل هذه الحوارات مهمة جداً بل إنها يمكن أن تكون قاسية .

لقد كُثر الحديث عن الاستقلال إلا أنه من الواضح أن مثل هذا الاستقلال سيقتصر على ميادين محددة كالنشاط الاقتصادي الفردي ، إذ يبدو أنه لا توجد أدنى رغبة لدى السلطات الصينية للأخذ في الاعتبار حاجة الناس أو رغبتهم في استقلال سياسي واسع قائم على أسس عرقية أو دينية . إن السلطات الصينية بتخفيفها القيود على النشاط الاقتصادي الفردي والممارسات الدينية لدى مسلمي تركستان الشرقية ، إنما تهدف بهذا إلى تقليل المطالبة بحريات سياسية واسعة وذلك بتقديمها بدائل جاهزة ،

مجلة « الإرشاد »

محرم ١٤٠٨هـ (١٩٨٧م)

المسلمون المنسيون في تركستان

إلى متى ؟

بقلم : د. عبدالقادر طاش

طالعت في العدد ٧٧٩٦ بتاريخ ٢٨/ ٣/ ١٤١٠هـ من جريدة (الرياض) الغراء الاستطلاع المصور الذى أعدته (سيبا برس) عن «واحة المسافرين على درب الحرير» ،وهى مدينة كاشغر التى تقع في منطقة تركستان الشرقية (شمال غرب الصين) . والاستطلاع جميل وفريد إذ بسط الضوء على منطقة مجهولة لدى الكثيرين من القراء . ولذلك تُشكر جريدة الرياض على اهتمامها ونشرها لهذا الاستطلاع لتذكير القراء بهذه المنطقة النائية والتعريف بها . ومع تقديرنا للجهد الذي بذلته (سيبابرس) في هذا الاستطلاع إلا أنه اتسم بشيء من القصور والتحريف في بعض الأسماء لذلك انتهز هذه الفرصة لتصحيح بعض المعلومات التى وردت في الاستطلاع، وإضافة معلومات أخرى لعلها تسهم في مزيد من التعريف بأحوال تلك المنطقة المجهولة .

كاشغر وليس كاشجار

أبدأ أولاً بتصحيح بعض التسميات التى وردت في الاستطلاع، فقد ورد اسم عاصمة منطقة (شينغ يانج) محرفة، فقد أسماها كاتب الاستطلاع (كاشجار) والصواب أنها (كاشغر)، وربما يكون السبب في التحريف راجعًا إلى الاعتماد على الترجمة الحرفية للكلمة الإنجليزية (Kashgar) ، كما أن المعروف أن المنطقة تُسمى بـ (سنكيانج) (Sinkiang) وإن كانت تُنطق بالصينية (شينجانك) .

أما قصور الاستطلاع فيكمن في عدم الإشارة إلى أن (سنكيانج) هذه إنما هى تركستان الشرقية التى ضُمت إلى الصين منذ عام ١٩٧٨م وأصبح اسمها الصينى (سنكيانج) وتعنى الأرض الجديدة . وكاشغر - التى أطلق عليها الاستطلاع كاشجار - هى المدينة التركية المشهورة التى فتحها المسلمون ضمن فتوحات ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي - رحمه الله - في أواخر القرن الأول الهجرى (القرن الثامن الميلادي) .

ويذكر محمود شاكر في كتابه « المسلمون تحت السيطرة الشيوعية» ص ١٤ أن تركستان الشرقية تتألف من خمس مناطق وهى: جبال آلتاي، وحوض زونفارية، وجبال تيان شان (التى يصل ارتفاع قمتها إلى ٧١٥٨ متراً) ،وصحراء تكلامكان ويُطلق عليها حوض تاريم. ويضيف بأن هذه المنطقة يسكن فيها أقوام يمثلون عدة قوميات من أهمها الأويغور والقازاق والقيرغيز والأوزبك والمغول ومعظمهم قبائل تركية الجذور .

وقد روى ابن الأثير في كتابه « الكامل في التاريخ» - كما استشهد بذلك فهمى هويدى في كتابه « الإسلام في الصين » ص ٤٨ وص ٤٩ - أن قتيبة بن مسلم بعث جيشًا بقيادة كبير بن فلان - أحد رجاله - إلى كاشغر فغنم وسبي سبيًا فختم في أعناقهم وأوغل حتى بلغ قريب الصين ، فكتب إليه ملك الصين أن ابعث إليّ رجلاً شريفًا يخبرنى عنكم وعن دينكم، فانتخب قتيبة عشرة رجال لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح، فأمر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن وخيول حسنة وكان معهم هبيرة بن المشمرج الكلابي . . . وتعد هذه الرحلة من أبرز حلقات الاتصال بين المسلمين والصين في ذلك الوقت المبكر .

ومنذ ذلك التاريخ بدأ أتراك الأويغور وغيرهم ممن يسكنون تلك المنطقة بالتعرف على الإسلام . وأورد المستشرق الروسى الشهير و . بارتولد في كتابه « تاريخ الترك في آسيا الوسطى » - ترجمة د. أحمد السعيد سليمان - ص ٦٥ أن « المصادر الإسلامية تشير إلى أن بلغار القولجا وهم جيران الخزر كانوا أكثر اتصالاً بالمدنية الإسلامية ، ففى سنة ٩٢١م وفد على الخليفة المقتدر سفراء من البلغار الذين اهتدوا إلى الإسلام، وطلبوا أن يرسل إليهم بعض العسكريين المتخصصين في بناء القلاع والاستحكامات ، وكذلك بعض العلماء لتدريس الإسلام . وكان بين الهيئة التى أوفدها الخليفة ابن فضلان الذى وصف الرحلة من بغداد إلى بلاد البلغار ثم العودة إلى بغداد ماراً ببلاد الخزر » .

ويروى ياقوت الحموي - كما يستشهد بارتولد - أن الخليفة هشام بن عبدالملك (٧٢٤-٧٤٣م) أوفد سفيراً إلى خاقان الترك يدعوه إلى الدخول في الإسلام . ويؤكد بارتولد (ص٧٠-٧١) أن دخول الترك إلى الإسلام لم يكن بسبب حبهم للعسكرية وإعجابهم بفكرة الجهاد الإسلامى، كما كان يزعم بعض المؤرخين فيقول : « ولكن الانضمام إلى عالم الإسلام المتمدين لم يكن ممكنًا لهؤلاء البدو (الأتراك) إلا إذا دخلوا في الإسلام من حيث هو دين » . ويضيف بارتولد : « ومن العوامل على انتشار الإسلام بين الترك خاصة امتاز بها الإسلام على سائر الأديان العالمية . فعلى الرغم من أن أتباع البوذية

وأتباع المسيحية أكثر عدداً من المسلمين فإن الإسلام دين عالمي بمعنى الكلمة أي أنه ليس مقصوراً على جنس أو مدينة . ولئن كانت بعض الديانات قد بزت الإسلام في هذه الناحية، فإن توفيقها كان مؤقتًا ولم يستطع الحصول على نتائج دائمة كالتي أحرزها الإسلام. فالديانة المانوية - مثالا - كانت في وقت ما دينًا عالميًا وكان أتباعها منتشرين في أماكن تمتد من جنوب فرنسا إلى الصين ، ولكن هذه الخاصة لم تمنع المانوية من الاضمحلال الكامل . وقد بدأت البوذية نشاطها العالمي بحركة دعاية في الغرب فانتشرت هنالك ولكنها - في نهاية الأمر - ظلت دينًا للشعوب المتحضرة في شرق آسيا فقط » .

« وقد كان للمسيحية أتباع كثيرون بين الترك حتى بداية انتشار الإسلام، وفي وقت ما كان لها أتباع في غرب منغوليا وفي شرقها وجنوبها حتى أن الدعوة الإسلامية لم تستطع أن تكسب شيئًا ولكن نجاح المسيحية هذا كان مؤقتًا ، وبقيت المسيحية بعد هذا دينًا أكثر أتباعه من شعوب أوروبا المتحضرة . وإذا كان الإسلام هو دين العالم المتمدين في غرب آسيا فإن عدد المسلمين في شرقى آسيا وخاصة في الهند وجزر زوند أكبر من المسلمين في غرب آسيا. أما في الصين فإن المسلمين قوة مستقلة ولهم أدبهم الدينى الخاص ، ولا حاجة بهم إلى آية مساعدة من الخارج . ذلك على حين أن مشروع المسيحيين في الصين لتكوين المسيحية القومية بالصين قد باء بالفشل . وكذلك لم تستطع المسيحية في إفريقيا أن تصنع مثل ما صنع الإسلام، وها قد نجحت الدعوة الإسلامية منذ القرن التاسع عشر في بلد له وحده في كل إفريقيا كنيسة قومية وهو الحبشة» ويختم بارتولد تعليقه بالقول : « وفي التاريخ أمثلة كثيرة لأمم بوذية أو مسيحية تركت ديانتها ودخلت في الإسلام، ولكن لا نجد أمة إسلامية واحدة تخلت عن دينها ودخلت في البوذية أو المسيحية » .

التركستانيون يدخلون في الإسلام أفواجاً

وليعذرنى القارئ العزيز في إطالة نقل هذه الفقرة عن بارتولد، وقد كان هدفي من ذلك الوصول إلى النقطة الأخرى من هذا التعقيب وهى المتعلقة بأحوال المسلمين الحالية في تركستان الشرقية (أو سنكيانج الصينية) . ولاشك أن ما قاله بارتولد يمثل أحد أهم مميزات الدين الإسلامى، وإذا كانت الشواهد والأمثلة على صدق مقولة بارتولد كثيرة فإن شاهد تركستان الشرقية أبرز هذه الشواهد، إذ إن شعوب هذه البلاد عرفت الإسلام، فأسرعت إلى اعتناقه أفواجًا، وأسهمت بذلك في بناء صرح الحضارة الإسلامية . يقول عيسى

يوسف البتكين في كتابه « قضية تركستان الشرقية» (ص ٤٩-٥٩) « لم يعتنق أتراك آسيا الوسطى وتركستان الشرقية دينًا معينًا بشكل أساسي وجماعى إلا الإسلام . يقول بعض المؤرخين أن الأتراك كانوا يعتنقون الشامانية. ولكن إلى أى حد أثرت الشامانية في حياة الأتراك ؟ وإلى أى حد اتخذوها دينًا قويًا ؟ هذه مسألة قابلة للمناقشة » .

ويضيف البتكين قائلاً : « كان للأتراك معرفة بكل الأديان تقريبًا ذلك لأنهم عاشوا حياة رعوية بشكل عام ، وكذلك لأنهم أمة محاربة تقابلت مع أمم شتى وتحاربت معها ، وأحيانًا كان يحدث اتصال بينها وبين أمم المناطق المختلفة بحكم التجارة . حتى أننا نعلم أن البعثات الدينية البوذية والمسيحية والشامانية صرفت جهدًا دعائيًا هائلاً بين الأتراك . كما يمكن القول إن الشامانية كسبت مكانة أكبر من نظيرتيها أثناء ذلك النشاط الدعائى الدينى كما أنه من المسلم به أيضًا أنها فقدت تأثيرها بعد مجيء الإسلام» ويذكر البتكين أنه في عام ٣٢٢ هـ (٩٤٢م) اعتنق أحد سلاطين الإمبراطورية القاراخانية المشهورين وهو السلطان (ستوق بوغرا خان) الدين الإسلامى فأسلم الأتراك جميعًا ، ومع اعتناق القراخانيين الإسلام انتشرفي كل أنحاء تركستان الشرقية .ص ٥٠) .

وقد عاش التركستانيون منذ الاحتلال الصينى لبلادهم عام ١٨٧٨ م فترات عصيبة . وقد حاول المسلمون التحرر من الاستعمار الصينى خلال تلك الفترات العصيبة، وتواصلت ثوراتهم، ومن أهمها ثورة (قومول) عام ١٩٣١ م التى نجحت في تكوين حكومة وطنية تركستانية عاصمتها كاشغر سنة ١٩٣٣م، وثورة على خان تورة سنة ١٩٤٤م . ولكن انتصار الشيوعيين في الصين عام ١٩٤٩م قضى على آمال التركستانيين في حكم أنفسهم بأنفسهم . وبدأ بحلول الحكم الشيوعى البغيض عهد مظلم ملىء بالإرهاب والظلم بدأ بإعدام مئات العلماء المسلمين والشخصيات الوطنية عام ١٩٥٢م .

عهد « الثورة الثقافية» المظلم

وتمثل فترة « الثورة الثقافية ١٩٦٦-١٩٧٥ م التى فرضها (ماوتسي تونج) أبشع فترات الاضطهاد الشيوعى للمسلمين في تركستان الشرقية ، حيث عمل الشيوعيون على القضاء على التعاليم الإسلامية والحضارة التركية والمعالم الوطنية لتركستان الشرقية ، فقد أغلقت جميع المساجد واستعملت لغير أغراضها ، وانتهكت الحرمات ومُنع المسلمون من ممارسة

شعائرهم الدينيـة، وفرض استعمال اللغـة الصينية على الجميع بدلاً من اللغـة التركية ذات الأبجدية العـربية ، كـما صودرت جـمع الكتب الإسلاميـة وأجبر المسلمون على الزواج المختلط بين المسلمين والصينيين البـوذيين . (انظر . مذكرة مؤسسة وقف تركسـتان الشرقية بإسطمبول إلى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى ، ونُشرت في (الشرق الأوسط) بتاريخ ١٩/ ١٠/ ١٤٠٧هـ) .

وماذا عن أحـوال المسلمين اليوم ؟ لقد قـمت بزيارة المنطقة في مهـمة تفقـد واستطلاع أحوال المسلمين في تركـستان الشرقيـة والصين عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)، وقد لاحظت أن المسلمين هناك قـد بدأوا يتنفسون الصـعداء بعد رحـيل ماوتسى تونج وانتـهاء عهـد الثورة الثقافـية المظلم، وتتسم السـياسة الصينيـة الآن بالانفتاح والتسـامح مع المسلمين في ممارسة شعائرهم الدينية . وتمثلت مظاهر هذا الانفتاح في حـرية ممارسة الشعائر الدينية وإعادة فتح المساجـد والسمـاح ببناء مزيد منهـا، وإتاحة الفـرصة للمسـلمين لإقامة بعض الـنشاطات الإسلامية بالتعاون مع المنظمات والجمعيات الإسلامية الخارجية مثل رابطة العالم الإسلامى، وإتاحة الفرصة أيضًا للمسلمين لتحسين أحوالهم الاقتصادية إلى حد كبير .

ومع كل هذه المظاهر التى تدل على الانفتاح الصينى إلا أن التركستانيين يشكون من عدة مشكلات، من أهمها عدم إعطاء المسلمين حريتهم السـياسية بالرغم من أن الحكومة الصينية قد منحت تركـسـتـان الشرقيـة ذات الأغلبية الأويغـورية المسلمة حكمًا ذاتيًا ١٩٤٦م ، ثم جددت اتفاقـية الحكم الذاتى عام ١٩٥٥م . ويبدو أن هذا الحكم الذاتى لا حـقيقة له وأنه مجرد شكل مظهري للاستهلاك الداخلي والخارجي .

الاستيطان الصيني لطمس معالم الهوية التركستانية المسلمة

ومن المشكلات التي يعاني منها التركستانيـون الاستيطان الواسع للعنصر الصينى البوذى في أراضيهم . فلقد كان عدد الصـينيين البوذيين في أوائل الحكم الشيوعى عام ١٩٥٣م في تركسـتـان الشرقية ٣٢٤,٠٠٠ نسـمـة بنسبة ٦,٦٣٪ من عدد سكان المنطقة، وكـانت نسبة التركـستانيين ٨٦,٥٤٪ حسب الإحصاء الحكومى ، أمـا اليوم فقد وصلت نسـبة الصينيين البـوذيين عام ١٩٨٣م (أى بعـد ٣٠ سنة فـقط) إلى ٤٠,٢٧٪ بينما انـخفـضت نسبة التركـستانيين المسلمين إلى ٥٣,٦٤٪ وذلك طبـقًا للإحصاءات الرسـمية للحكومة الصـينية

(راجع : مقالة رحمة الله رحمتي في (الشرق الأوسط) بتاريخ ٢/٣/١٩٨٦م) .

لقد احتفلت الصين مؤخرًا بذكرى مرور أربعين عامًا على الثورة الشيوعية . ومن أسف أن هذه الاحتفالات قد جاءت بعد انتصار الجناح المتطرف في القيادة الصينية أثر قمع الحركة الطلابية التي كانت تُطالب بالانفتاح والحرية. وبذلك تكون قضية المسلمين « المنسيين في تركستان الشرقية قد عادت مرة أخرى إلى التقهقر بعد أن لاحت في الأفق بوادر انفتاح نسبى كان يمكن أن يُستثمر لصالح المسلمين وإصلاح أحوالهم السيئة . ومهما يكن من أمر فإن الأمل يظل باقيًا في قدرة الشعب التركستاني المسلم الذي صمد كل هذه السنين واستطاع أن يحافظ على دينه وهويته الإسلامية في المضي في هذا الطريق اللاحب الطويل. وأظن أن أدنى ما ينبغى أن نفعله - نحن المسلمين - تجاه إخواننا هناك أن نواصل التذكير بأوضاعهم والتعريف بقضاياهم ، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم . وهذا ما نرجو أن نكون قد فعلناه بهذه المقالة وشكرًا لجريدة الرياض ووكالة « سيبا برس » المصورة اللتين أتاحتا لنا هذه الفرصة والله الموفق .

جريدة « الرياض»

٣ نوفمبر ١٩٨٩م

٥ ربيع الآخر ١٤١٠هـ

دور الطلبة المسلمين في مظاهرات بكين الدامية

طلاب تركستان اتفقوا مع زملائهم

في بكين وشنغهاي

بقلم : د. محمد حرب

المراقب المسلم لأحداث العالم الشيوعي ، تعتريه الدهشة عندما لا يعثر على أخبار المسلمين ضمن أخبار هذه الأحداث . ولهذا المراقب الحق في دهشته ، ذلك لأن أجهزة الإعلام الدولية تتفق على عدم الاهتمام بنشاط المسلمين ، بل تتجه هذه الأجهزة إلى التعتيم على الأخبار إذا كان فيها إبراز لدور المسلمين .

وبلاد قدمت للعالم أجمع، أعلامًا يشرف التاريخ بهم، لجديرة باهتمام العالم بأسره ، والعالم الإسلامى بالذات . أقصد هنا تركستان التى قدمت للإنسانية أعلامًا يصعب حصرهم ، وإن كان من الممكن الإشارة إلى نماذج منهم مثل الأئمة : البخارى ، والترمذي، والماتريدي ، والغزالي ، والرازي ، والزمخشري، والجوهري، والبيروني، والسكاكي، والسجستاني، والتتازاني، والشاشي ، والسرخسي ، واليسوي، والقادة مثل: محمود الغزنوى ، والب أرسلان صاحب معركة ملازكرد بخيرها العميم للمسلمين .

والمراقب المسلم يريد متابعة أحداث تركستان ، لكن الإعلام العالمى يحرمه من متابعة دور المسلمين في الأحداث ، ولا يقتصر الأمر على تركستان الشرقية فقط، بل يتعداها إلى أذربيجان وأوزبكستان وأوروبا الشرقية أيضًا .

يذكرنا هذا بما حدث في الصين الشيوعية أيام حكم ماوتسي تونج . ففي عهد هذا الطاغية قامت الحكومة الصينية الشيوعية بتطبيق حركة « إعادة الحقوق المغتصبة إلى أصحابها» واعقبتها بحركة «دع ألف زهرة تتفتح»، قام الإعلام العالمى بتغطية واسعة لتطبيقات هاتين الحركتين . ولكن عندما قام شعب تركستان الشرقية الخاضع لحكم الصين الشيوعية ليطبق - بحسن نية - هذه الشعارات الحكومية وجد مدافع الجيش الصيني توجه إليه ليستشهد الآلاف من أبنائه المسلمين . وقام الإعلام - المحلي والدولي - بالتكتم على هذه الأحداث الدامية التي استشهد فيها المسلمون .

كما يذكرنا هذا بالحركة الثقافية في الصين التي أعلنها ماوتسي تونج . غطت أنباء هذه الحركة الصفحات المختلفة في صحف العالم بأسره . لكن هذا الإعلام خرس عن وصف ما يتعلق بالمسلمين في هذه الثورة الثقافية الصينية . وما عُرف مؤخراً أن الثورة الثقافية هذه قد اشتملت على عدة بنود كان أهمها : القضاء على الدين ، واعتبار الإسلام عملاً خارجًا على القانون الصيني ويجب ردع العاملين به .

وتغافل الإعلام عن الإتيان بخبر واحد يشير إلى الآلاف المؤلفة من شهداء المسلمين في الصين الذين سقطوا صرعى وهم يشكون إلى الله القهر الصيني الشيوعي . وكان هذا التغافل حاصلاً رغم أنه نبه إليه يوسف البتكين رئيس الوزارة في تركستان الشرقية عند مداهمة الشيوعيين لبلاده ، والذي هاجر من بلاده ليقود التركستانيين لاستعادة بلادهم من القهر الصيني .

مظاهرات الصين الدامية

ولما جاءت المبادرة إلى المناداة بالديمقراطية في الصين الشيوعية من الطلاب المسلمين ، تكتم الإعلام العالمي على هذا ، وعتم عليه ، وأسند المبادرة إلى الطلاب الصينيين ، باعتبار أنهم سئموا النظام الشيوعي والديكتاتورية الشيوعية .

والمعروف لدى المراقبين السياسيين ، أن موجهي السياسة الصينية - بعد موت ماو- طرحوا سياسة القيام بإصلاحات داخلية واتباع سياسة انفتاح نحو الغرب. وبالفعل سارت الصين خطوات واضحة في سبيل القيام بإصلاحات اقتصادية ، لكنها لم تستطيع فعل ذلك في الميدان السياسي ، لذلك لم تقم فيه إصلاحات جذرية تُذكر .

أمام هذا الركود السياسي ، كان على الشعب الصينى التحرك، لكنه تردد حتى جاءت المبادرة والريادة في هذا التحرك ، بقصد القيام بإصلاح ديمقراطي، جاء من المناطق المسلمة في الصين، وبالضبط من الطلاب المسلمين في تركستان الشرقية. وكان ذلك في شهر ديسمبر ١٩٨٦م .

قام عدة آلاف من الطلاب المسلمين الدارسين في جامعات أورومجي بالتظاهر ، وكانت طلباتهم محددة وتنحصر في :

١- المطالبة بحق الانتخاب الديمقراطي.

٢- تعيين المسؤولين الحكوميين المحليين في المناطق المسلمة في الصين، عن طريق الانتخاب الشعبى الذى يعبر عن إرادة الشعب الحرة بدلاً من تعيين هؤلاء تعييناً مركزياً من العاصمة الصينية بكين .

٣- التوسع في إعطاء حقوق الإدارة الذاتية ، فمناطقهم تتمتع باستقلال ذاتى صوري.

٤- ضمان حقوق متساوية مع الصينيين في حرية التعليم .

٥- وقف تجارب القنابل الذرية والنووية التى تجريها حكومة الصين الشيوعية في بلادهم تركستان الشرقية ، وضمان تأمين صحة الشعب المسلم هناك من أخطار الانفجارات النووية.

٦- ضرورة قيام حكومة الصين الشيوعية بإلغاء تحديد النسل الذى تطبقه على مسلمى تركستان الشرقية .

ونجح طلاب تركستان الشرقية - وهم مسلمون - في تنظيم مظاهرات مماثلة بعد أن تفاهموا مع الطلاب المسلمين في كل من بكين وشنغهاي ، على أن تحمل هذه المظاهرات نفس المطالب .

وكان هذا بداية المظاهرات العاصفة التى قام بها الطلاب في بكين في شهري أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٨٧م . وزحفت هذه المظاهرات إلى مدن الصين الأخرى .

تأتى بعد ذلك الأحداث المشهورة : استجاب لهذه المطالب الطلابية الأخيرة (هوياو يانج) زعيم الحزب الشيوعي الصيني . وكان من أنصار عدم التعرض للطلاب بأي نوع من أنواع القسوة، بل إنه صرّح بأن مطالب الطلاب عادلة ، إلا أن أنصار الحكم الديكتاتوري تكتلوا وعزلوا (هوياو يانج) من الأمانة العامة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني عام ١٩٨٧م نتيجة لموقفه من تطور المطالب الطلابية .

وفي ١٥ إبريل ١٩٨٩م مات (هوياو يانج) وبموته أطلت المظاهرات مرة أخرى برأسها لكنها ضمت هذه المرة الطلبة والعمال وكتلاً كبيرة من الشعب الصيني .

وفي ١٧ أبريل ١٩٨٩م قام طلاب الجامعات الصينية ، وقد بلغوا عشرات الآلاف بالاشتراك في جنازة (هوياو يانج) ، لكن الزمام أفلت منهم، فاتجهوا في نفس اليوم إلى ميدان (تيان نامن) (ميدان السلام السماوي) في بكين مطالبين بالحرية والديمقراطية ،

فامـرتهم الحكومة بالهـدوء والعودة إلى حيـث أتوا . وقد تطور التحـدي الطلابي للحكم الشيوعي حتى بلغت المظاهرة مليون شخص .

وانتشرت المظاهرات من بكين إلى نانكين وغيرها من المدن الكبيرة في الصين، ثم تعدتها إلى المحافظات الصينية الأخرى .

الشكل الأخير للمطالب

طالب المتظاهرون بعدة مطالب هي :

١- تغيير النظام من شيوعي ديكتاتوري إلى حرية وديمقراطية .

٢- ضمان حرية الصحافة والنشر .

٣- توسيع الحقوق الديمقراطية .

٤- تأسيس نظام ديمقراطى .

٥- السماح بنظام انتخابي يقوم على تعدد الأحزاب .

٦- منع ظاهرة الرشوة بين مسؤولي الدولة .

٧- عزل لى بنج رئيس وزراء الصين باعتباره معرقل الحركة الديمقراطية .

قام الجيش الصيني الشيوعي بتهـديد المتظاهرين حتى ينفضوا وينهوا مظاهراتهم، ولما لم يستجب الطلاب ومن مـعهم إلى ذلك، قام الجيش بعد بضع أسابيع من التـهديد بالهجوم على ميدان الـسلام السماوي يومي ٣و٤ يونيـو ١٩٨٩م، موجهًا رصاص بنادقـه الآلية إلى صدور المتظاهرين فقتل المئات وجُرح الآلاف ، فانتهت حركة الطلاب المنادية بالديمقراطية .

وتقول المصادر الغـربية في تحليلها لنتائج هذه المظاهـرات ، إن نتيجتهـا تتركز في ثلاث نقاط :

أولاً : استقرار فكرة الديمقراطية في عقول الشعب الصيني على مختلف اتجاهاته وأعراقه وشعوبه .

ثانيًا : إدراك الحكام والمحكومين على السواء في الصين ، عـمق عدم الرضا السائد بين الشعب الصينى ، وأن بوادر التمرد الشعبى أكثر بكثير مما كان يظن الحكام .

ثالثًا : إن النهاية المأساوية القمعية لحركة الطلاب ضد النظام الشيوعي على الشكل الذي جرى في ميدان السلام السماوي ، قد آزرت حركة المطالبة بالديمقراطية وقوتها ، ودفعتها إلى الأمام ولم تضعفها ، بعكس ما تصور الجيش ، كما أعطت هذه النهاية الدامية للحركة الطلابية دفعة قوية للمعارضة .

رابعًا : إن الشعب الصينى قد أصبح الآن يستطيع نقد النظام الشيوعي صراحةً ، ونقد الحكومة الشيوعية ، بعكس ما كان يحدث قبل حادث ميدان السلام السماوي ، فلم يكن أحد يستطيع أن يفتح فمه نقدًا للحكومة الشيوعية ،والنظام الشيوعى . والعالم كله يتجاهل أن الفضل في هذه الحركة المقاومة للنظام الشيوعي في الصين قد بدأها وأخذ بزمام المبادرة فيها الطلبة المسلمون .

وبينما العالم يترقب في أبريل ١٩٩٠م قيام مظاهرات في ميدان السلام السماوي في بكين ، إذ تمر ذكرى أحداثه الدامية بلا حوادث جديدة فيه . لكن جاءت الأخبار بدلاً من ذلك بالخبر التالي :

« القوات الصينية تتدخل لقمع اضطرابات على حدودها مع الاتحاد السوفيتي» .

« قمع اضطرابات طائفية قامت بها أعداد كبيرة من المواطنين (!) المسلمين مما أدى إلى مصرع ٥٠ شخصًا » .

ويتوالى الخبر على النحو الآتي :

« إن المظاهرات تفجرت إثر محاولة المسلمين في تركستان الشرقية بناء مسجد ، رغم قرار السلطات الصينية بمنع أي نشاط ديني في الإقليم بدعوى أنه يرمي إلى بث الروح الانفصالية المعادية للحكومة » .

جريدة « المسلمون »

العدد (٢٧٧) - ١٩٩٠ م

١ ذو القعدة ١٤١٠هـ .

أين الحديث عن الضلع الشرقي
لآسيا الوسطى؟

بقلم: جعفر رائد

تشمل آسيا الوسطى حسب المصطلح عليه لدى أهل الجغرافيا أو المتخصصين في علم البلدان بتعبير آخر، تشمل الأقطار التي تحدها شمالاً سيبيريا وبحر الخزر (قزوين) ومنغوليا، وغرباً البحر الأسود وروسيا السلافية، وشرقاً الصين، وجنوباً إيران وأفغانستان والتيبت وكشمير وباكستان.

وقد اقتسمت الدولتان الشيوعيتان الكبيرتان الصين وروسيا تلك الأقاليم بينهما، فاستولت الصين على الضلع الشرقي منها واغتصبت روسيا الضلع الغربي، ولم تكن معاملة أي من الدولتين الشيوعيتين لسكان تلك المناطق المسلمة أحسن من معاملة الأخرى لهم.

وها هي الشعوب الإسلامية التى كانت ترزح تحت نير الشيوعية السوفيتية تحطم أغلالها الواحدة بعد الأخرى. ثم هي تنضم بكامل حريتها إلي تجمعات إسلامية وتكتلات إقليمية ودولية، ولكن أولئك المسلمين الذين لا يزالون يقاسون الأمرين من استبداد الشيوعية الصينية يكاد لا يذكرهم أحد ولا يجري حديثهم على أي لسان ولا في أي اجتماع.

وكان قد التأم جمع قادة تلك الجمهوريات الإسلامية الست الحديثة الاستقلال بالإضافة إلى زعماء إيران وباكستان وتركيا في طهران مؤخراً بمناسبة انعقاد قمة منظمة التعاون الاقتصادي. وصدر بيان بهذه المناسبة وفيه إشارة إلى قضيتي كشمير وقبرص ومواضيع أخرى، ولكن الحالة البائسة لشعب تركستان في الصين لم تحظ في البيان الختامي ولا بأبسط إشارة. وهذا يدعو إلى العجب، حيث إن إخوانهم في الضلع الغربي من آسيا الوسطى الذين يجمعهم وإياهم ماضٍ واحد كما يشاركونهم نفس اللغة والثقافة والدين والتقاليد كانوا ممثلين في طهران على أعلى المستويات. وكان من الطبيعي أن يتذكروا بني جلدتهم الذين لا يزالون يعانون اليوم من العنت والعذاب والضغوط ذاتها التى كانوا هم أنفسهم يتجرعونها بالأمس.

ربما لا تسمح بعض المحاذير والمجاملات الدولية ،في هذه الظروف الحساسة بالذات - بالتطرق إلى مسألة شائكة مثل أحوال المسلمين التركستانيين في الصين، لا تسمح بالتطرق

إليها في بيان رسمي يصدر من قمة إقليمية . ولكن الإيماءة إلى المشكلة في حديث صحفى ولو جاءت بطريقة عرضية ومن باب التمنى ، لم تكن لتثير حرجًا لأحد . وفي المقابل كانت تحيي الآمال في قلوب إخوة لهم أعزاء وعلى مقربة قاب قوسين أو أدنى منهم ، بأنهم لا يزالون شيئًا مذكورًا ولم يصبحوا نسيًا منسيًا ، وإن الفرج قريب بإذن الله ، سيأتيهم حتمًا بحول الله كما نزل على إخوتهم في الغرب. حتى الصحافة الإيرانية التى انعقدت هذه القمة بين ظهرانيها فهللت لها وكبرت كما رحبت بمشروعين آخرين أحدهما إنشاء تشكيل إقليمي باسم «منظمة اللغة الفارسية» من إيران وتاجيكستان والمجاهدين الأفغان وهي ذات طابع ثقافي بهدف المزيد من التقارب بين البلدان التى تتحدث اللغة الفارسية ، والمشروع الثانى : منظمة تعاون الدولة المطلة على بحر خزر (قزوين) وتتكون من إيران وآذربيجان وتركمنستان وقزاقستان وروسيا. وستكون طهران مقرًا للأمانتين العامتين للمنظمتين آنفتي الذكر . أجل حتى الصحافة الإيرانية لم تشأ أن تشير ولو من طرف خفي إلى سوء الأحوال في تركستان الصين، ولم تحاول أن تنتهز تلك الفرص الفريدة التي تزاحمت في طهران في آن واحد لتحيي إخواننا المسلمين الأبطال الصامدين في وجه البقية من الجبروت الشيوعى في العالم .

ومن المستبعد جدًا أن يكون النسيان هو السبب الحقيقي في اهمال مثل تلك القضية المصيرية . ويبدو أن الصين الشيوعية مدللة لعدة أسباب لدى مجموعة من الدول الإسلامية مما يدفعها إلي تجنب التحرش بها .

ومن البديهي ، أن كل ذلك لا يمنعنا نحن من التحدث عن محنة «تركستان الصينية» ذات التراث الإسلامى الثرى والأمجاد التاريخية في بناء صرح الحضارة الإسلامية وفي الدفاع عن شرفها ودينها وحريتها .

لقد احتلت الصين تركستان الشرقية في أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٤٩م بقوات كبيرة من الفيالق الشيوعية تدعمها الطائرات والدبابات ، وبعد معارك ضارية طويلة . ثم باشرت فورًا بتشريد أهلها والقضاء على علمائها ومفكريها لتستأصل جذور المقاومة فيها، وبادرت إلى تغيير اسم المنطقة وسمتها (سينكيانج) وتعني باللغة الصينية المقاطعة الجديدة .

وقد سبقها البلاشفة الروس إلى غزو تركستان الغربية عام ١٩٢٠م وقد قاومت المنطقة المعتدين ببسالة فائقة حتى عام ١٩٢٨م حيث قضى ستالين على دفاع أهلها بأشد أنواع الإرهاب والبطش .

وإذا كان الحكم الروسي في تركستان الغربية وهو الأقدم عهدًا، قد انهار في بضعة أشهر- إن لم نقل في بضعة أسابيع - فالأمل كبير في أن تلاقي السيطرة الصينية على تركستان الشرقية مصيرًا مماثلاً في مستقبل غير بعيد .

ويعمد التركستانيون في أواسط أكتوبر من كل عام إلى إحياء ذكرى مأساة استيلاء الصينيين على بلادهم وسحقهم استقلالها بوحشية . ويُقدر عدد التركستانيين النازحين واللاجئين في شتى البقاع بحوالى عشرة ملايين نسمة . وهم متفرقون في تركيا وألمانيا وباكستان والهند والمملكة العربية السعودية ولبنان وبلدان أخرى .

ولا تذيع حكومة بكين أحصاء دقيقًا عن عدد المسلمين في الصين . ويذكر الإحصاء العام الرسمى المعلن لعام ١٩١٠م أن عدد المسلمين من مواطني الصين يبلغ ثمانين مليون نسمة . ونستطيع على هذا الأساس أن نقدر عدد مسلمي الصين حاليًا بنحو مائتي مليون نسمة لا سيما أن نسبة المواليد بينهم مرتفعة ولا تقل عن ثلاثة في المائة في كل عام . وتقديرنا يعتبر أقل تقدير .

وللنازحين من تركستان الشرقية جمعياتهم التي تستغل المناسبات للاجتماع إلى أعظم عدد ممكن من التركستانيين لا سيما في مواسم الحج وتزويدهم بالكتب والمنشورات وإبقاء جذوة المقاومة الوطنية . كما أن الجمعية تمارس نوعًا محدودًا من النشاط السري داخل الصين الشيوعية نفسها .

والجدير بالذكر أن مجموع سكان تركستان الشرقية حين احتلها الصين عام ١٩٤٩م كان ٣٥ مليون نسمة وكلهم مسلمون، ولكن حكومة الصين الشيوعية أعلنت بعد سبعة عشر عامًا أى في سنة ١٩٦٦ أن مجموع سكان تركستان لا يزيد على عشرة ملايين .

ودأبت السلطات الصينية على نقل ملايين من الصينيين إلى تركستان الشرقية، وتوزيع الأراضي الخصبة بينهم؛ لتطمس بذلك شخصية تركستان . وكذلك أممت الألوف من المصانع والمعامل والمؤسسات والمدارس الدينية وحولت معظم المساجد إلى متاحف وملاه . ولكن كل هذه الخطط التعسفية لم تنجح في إخماد روح المقاومة لدى الأهالى المسلمين ، حيث اصروا على تنشئة أولادهم نشأة إسلامية وتعليمهم أصول الدين الحنيف وأحكامه . ورغم أن الصينيين أخذوا الكثيرين من فلذات أكباد المسلمين من بنات وأبناء من ذويهم وأرسلوهم إلى أماكن نائية ليتربوا شيوعيين عقائديين ملتزمين ، فإنهم لم ينجحوا بتاتًا في

خططهم الغاشمة وظلت حركة تحرير تركستان تواصل نشاطها في الداخل سرًا وفي الخارج جهرًا .

لم يتقاعس ممثلو الشعب التركستاني عن بذل الجهد المستمر للفت انتباه سائر الشعوب والأوساط الدولية إلى قضيتهم العادلة، ومما حصل في هذا المضمار أن حضر الزعيم المجاهد سعيد شامل مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ وهو المؤتمر الذي أسس حركة عدم الانحياز، وحضره كممثل للشعوب الإسلامية الخاضعة لهيمنة الكتلة الشيوعية، وقدم مذكرة خطية في هذا المضمار لرئاسة المؤتمر . وسعيد شامل هو نجل أسد داغستان الشيخ شامل الذي حارب الروس ببسالة منقطعة النظير، ثم هاجر إلى المدينة المنورة ليواصل من هناك حتى اللحظة الأخيرة من حياته كفاحه ضد الاستعمار الشيوعي . ولكن ظروف الحرب الباردة لم تسمح لتلك الجهود المخلصة بأن تبلغ الهدف المنشود . أما الآن فإن التطورات العالمية غدت أكثر ملائمة لنجاح هذا الكفاح . والصحافة الإسلامية في كل مكان قادرة على القيام بدور رائد في هذا المضمار كما أن المنظمات الإقليمية المحايدة وعلى رأسها منظمة المؤتمر الإسلامي تستطيع أن تعمل الكثير في هذا السبيل .

جريدة « الشرق الأوسط »

١١ مارس ١٩٩٢ م

٨ رمضان ١٤١٢هـ

تركستان الشرقية

بقلم : د. عبدالواحد الحميد

كنت قد كتبت في وقت سابق عن مسلمي الاتحاد السوفيتي . . . وقد تلقيت خطابًا من الأستاذ حاتم حسن قاضي ، مساعد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي للمنظمات والدراسات ، يتضمن بعض الكتب المتعلقة بالشعوب الإسلامية في الصين والاتحاد السوفيتي .

وبعد أن قرأت كتاب « تركستان الشرقية في ظل الحكم الشيوعي الصيني » اكتشفت أن واقع المسلمين في الصين لا يزال مجهولاً بالنسبة للكثيرين منا . فنحن نعرف بعض تفاصيل ما كان يحدث لإخواننا المسلمين في الاتحاد السوفيتي لكننا لا نعرف إلا القليل عن معاناة مسلمي الصين في تركستان الشرقية التي يسميها الصينيون إقليم (سينكيانج) .

ولا يتسع المجال للحديث بالتفصيل عن مسلمي تركستان الشرقية ، ولكن - باختصار- يمكن القول إن قضية هؤلاء الناس تشبه القضية الفلسطينية إلى حد كبير فهي تتعلق بإلغاء هوية شعب ، وإحلال شعب آخر محله ، وسرقة أراضيه ، وإطلاق اسم آخر على وطنه !!.

فمثلما غير اليهود اسم (فلسطين) إلى اسم آخر وهو (إسرائيل)، غيّر الصينيون اسم (تركستان الشرقية) إلى اسم آخر هو (سينكيانج) .

ومثلما قام اليهود بتهجير الشعب الفلسطيني وإحلال اليهود محلهم ،قام الصينيون بإرهاب شعب تركستان الشرقية وتشتيته وتشجيع المواطنين الصينيين على الهجرة إلى تركستان . وعلى سبيل المثال فقد كانت نسبة الصينيين في تركستان الشرقية لا تزيد عن ٦ بالمائة عام ١٩٥٣م وبحلول عام ١٩٨٧م كانت قد وصلت إلى ٥٣ بالمائة !!.

ومثلما يطلق اليهود التصريحات العنصرية ضد الفلسطينيين ، يطلق الصينيون تصريحات حاقدة وعنصرية ضد شعب تركستان . وعلى سبيل المثال فإن الفليسوف الصيني الشهير (وانغ فوزي) يقول : « لا يعتبر ظلمًا احتلال أرض البرابرة - أي أهل تركستان - ولا ذنبًا عند قتل البرابرة ، ولا خيانة عند غش أو خداع البرابرة » وهي مقولة تذكر بكتابات وتصريحات (مائير كاهانا) عن الفلسطينيين !! .

ومثلما يدّعى اليهود أن فلسطين هي أرض آباءهم وأجدادهم قبل آلاف السنين ، فإن (ماوتسي تونغ) رفض استقلال تركستان بحجة أنها « كانت طوال ألفي عام جزء لا يتجزء من الصين» و « إن المطالبة باستقلالها يعتبر معادات للاشتراكية والتاريخ » .

ومثلما يقوم اليهود بتدنيس وسرقة الأماكن الإسلامية المقدسة ، قام الصينيون بمصادرة أراضي وممتلكات الأوقاف الإسلامية وفرضوا على شعب تركستان تعليق صور ماوتسي تونغ في المساجد ونشر المبادئ الشيوعية أثناء الفروض الدينية وقفل أكثر من ٢٩ ألف مسجد وتحويلها إلى مضاجع وأيسطبلات ومذابح !! .

ومثلما استحوذ اليهود على الوظائف المهمة في فلسطين وتكريس الشعب الفلسطينى للقيام بالأعمال الحقيرة ، فإن الصينيين سيطروا على كل المناصب والوظائف المهمة وسخروا شعب تركستان للقيام بالأعمال الشاقة والحقيرة .

ونستطيع الاستمرار في إقامة المقارنات بين ما حدث في فلسطين وفي تركستان الشرقية . وهى مقارنات تؤكد - في التحليل النهائي - أن همومنا واحدة وأن الأمم تتداعى علينا مثلما يتداعى الأكلة على القصعة !! والمأساة أننا لا نزال نكرر نفس السؤال القديم : كيف نخرج من هذا المأزق؟ ومن يملك المفتاح السحري للخروج ؟! .

وتستهين الحكومة الصينية بكل القيم الإنسانية عندما تصعّد حملتها هذه الأيام ضد المسلمين في منطق تركستان الشرقية والتي غيرت اسمها إلى إقليم (سينكيانج) منذ أن اخضعتها لسيطرتها ومضت في مصادرة هويتها القومية والدينية !.

وبرغم أن تاريخ تلك المنطقة حافل بالمواجهات الدامية مع قوات الاحتلال الصيني ، فإن ما تشهده هذه الأيام يعتبر وضعًا استثنائيًا في بشاعته؛ لأن العالم كله تغير ولم يعد هناك من يستطيع أن يواصل قمع الشعوب ويصادر حرياتها .

ويتعرض مسلمو تركستان الشرقية لموجة من القمع لمجرد أن إخوانهم المسلمين في الجمهوريات السوفيتية السابقة نجحوا في انتزاع استقلالهم، مما يشكل تهديدًا للهيمنة الصينية على تركستان الشرقية، فيما لو سرت عدوى هذه النزعة الاستقلالية إلى سكان الإقليم ! .

لكن الصين تغالط الواقع وحقائق التاريخ حينما تربط النزعة الاستقلالية لسكان تركستان الشرقية مع ما يحدث في الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، كما لو كان ذلك مجرد رد فعل عابر مرتبط بالظروف المستجدة في تلك الجمهوريات . فالواقع أن المسلمين في

تركستان الشرقية لم يشعروا في يوم من الأيام بالانتماء للصين ولا بالولاء للحكومة الصينية لأنهم - ببساطة - ليسوا صينيين ولا تربطهم بالصين إلا القوانين والأنظمة القهرية المفروضة عليهم بالقوة ! .

وعلى أية حال فإن ما يحدث في تركستان الشرقية على أيدى قوات الاحتلال الصينية ليس بمستغرب عندما تأخذ في الحسبان ما يحدث في الصين نفسها من قمع القوى الديمقراطية بالإضافة إلى القمع الذى تمارسه الحكومة الصينية ضد أهالي التيبت وهم من غير الصينيين .

إن العالم الإسلامي مطالب بالوقوف مع أهل تركستان الشرقية ، وتبني قضيتهم ، والحديث عنها في المحافل الدولية. وهذا أقل ما يمليه الواجب تجاههم .

جريدة « عكاظ »

١٣ جمادي الأولى و ٩ رمضان ١٤١٢ هـ

مسلمو الصين

وحق الاختلاف

بقلم : أمير طاهري

إن الحملة الأخيرة التي شنتها السلطات الصينية ضد المواطنين المسلمين من تركستان (شين جيانج) ، هي استمرار لنمط من التعامل وضعه الشيوعيون عندما تسلموا السلطة عام ١٩٤٩م . لكن الحملة الجديدة تختلف عن سابقاتها في وجهين اثنين مهمين . الأول ، هو أن السلطات تعترف ، للمرة الأولي ، أن الإسلام حي يُرزق ويمثل حقيقة من حقائق الحياة في الصين . وحتى وقت قريب دأبت القيادة الشيوعية على وصفهم بأنهم أناس «كانوا قد حُملوا على الإسلام» . وكان زعمهم هو أن المسلمين هجروا دينهم لصالح الرؤية المادية "للاشتراكية العلمية" .

وكانوا يشيرون إلى المسلمين الذين يناضلون من أجل الحكم الذاتي أو الحرية الدينية على أنهم "عصابات" و"عملاء لجهات أجنبية" و"مروجين للقيم الإقطاعية" . لكن السلطات تخبرنا هذه المرة ببساطة ووضوح أن الحكم الصيني في تركستان يتعرض لتحديات يقوم بها "أتباع العقيدة الإسلامية" .

ووجه الاختلاف الثاني ، هو أن الاضطرابات في تركستان الصينية تأتي في وقت يشهد تحولات دراماتيكية غيّرت فعلاً خارطة آسيا . وهناك أوقات يقف التاريخ فيها ، لكن التاريخ في هذه الأيام يجري مسرعاً في كل الاتجاهات ، فيما يبدو . وكان رد بكين الفطري ، على الاضطرابات في المناطق التي يغلب عليها الإسلام ، هو إرسال القوات المسلحة إليها .

وحاول الجيش الصيني أن يستعرض قوته بأن يسيّر دباباته في شوارع كاشغر أو أورومشي . وحركة كهذه على لوحة شطرنج غير مستقرة ولا واضحة ، تشبه ما صنعه ميخائيل جورباتشوف – هل تذكرون جورباتشوف – ؟ عندما أرسل دباباته إلى ألما آتا ومن ثم إلى باكو ؛ ليرهب السكان المدنيين ويحملهم على الصمت . وكان لاستعراض القوة الذي قرره جورباتشوف مئات الضحايا من القتلى . لكن ذلك التحرك أكد إصرار كازاخستان وأذربيجان على هجرة "روسيا الأم" والاستقلال عنها .

ولو قررت الصين أن تحرك الأحداث باتجاه حمامات الدماء في تركستان ، فعليها أن تتوقع نتائج مشابهة . لكن الوضع في الصين يختلف عما ساد في الاتحاد السوفياتي في آخر أعوامه . فقد ظل الاتحاد السوفياتي دولة مركزية حتي الرمق الأخير .

وحتي في أثناء الانقلاب الهزلي في موسكو في أغسطس (آب) الماضي ، كانت المسألة المركزية لطرفي النزاع السياسي هي تحرير الزعيم - جورباتشوف - الذي يمثل سلطة الدولة المركزية . وعندما أخفق الانقلاب وعاد جورباتشوف إلى الكرملين ، اضطرت البلاد إلى الانتظار أربعة أشهر قبل أن تدرك أن الاتحاد السوفياتي قد مات منذ زمن .

أما في الصين ، فقد توزعت السلطة وتخلت عن مركزيتها إلى حد يزيد كثيراً عما يستعد البعض للاعتراف به . والسبب هو أن القادة الصينيين في سعيهم لإنقاذ النظام المفلس ، بدلاً عن البدء بإصلاحات سياسية كما صنع جورباتشوف ، أعطوا الأولوية للإصلاح الاقتصادي ، وبدأت عملية الإصلاح الاقتصادي في الصين في مطلع السبعينات ، عندما كان ماوتسي تونج لا يزال حياً ، أو لنقل شبه حي ! وبعد عقدين من الزمن ، تضم الصين الآن مقاطعات كاملة - مثل مقاطعة كانتون الجنوبية - قد أعادت تنظيم حياتها وفقاً لأسس الاقتصاد الحر غير آبهة للدوجما الشيوعية القادمة من بكين .

ولم تعد الصين ، التي يفوق عدد سكانها المليار نسمة ، تلك الدولة المركزية التي حلم بها ماوتسي تونج . فأجزاء منها ، مثل مقاطعة منغوليا الداخلية ، لا تزال تعيش ضمن العصر الستاليني ، لكن أجزاء أخرى ، مثل شنغهاي ، تحلم أن تكون كاليفورنيا أخرى.

بعد خمسة أعوام من الآن ستضاف هونج كونج إلى الصين . والناس هناك بدأت تسأل : هل ستمتص الصين هونج كونج أم إن الذي سيقع هو العكس ؟.

وفي أقصي جنوب غرب البلاد ، لا تزال التيبت تظهر رغبتها الشديدة في جرعة قوية من الحكم الذاتي الذي يجب أن يشتمل على إطلاق الحريات الدينية ، كحد أدني إن لم نقل الاستقلال التام عن الصين .

والشعار العاقل الوحيد في الصين اليوم هو : الاتحاد عن طريق الاختلاف والتنوع ! وهي الطريقة الوحيدة للتعبير عن حقائق الوضع في الصين .

ولو قُبل الاختلاف والتنوع كقاعدة للاتحاد ، فإن هذا سيسمح للشعب المسلم في تركستان بالحياة التي يختارها دون أن يخل ذلك ، بالضرورة ، بتماسك الاتحاد .

ونذكر هنا أن الحدود الفاصلة بين تركستان وكازاخستان ، المستقلة الآن ، كانت موضع العديد من الخلافات بين بكين وموسكو منذ منتصف الخمسينيات . وهناك نزاعات حدودية مشابهة ، ولو أنها أقل شأناً ، بين الصين ودولتين أخريين حديثتي الاستقلال الآن وهما : طاجيكستان وقيرغيزستان ، والسبب هو أن نفس الشعوب تعيش عند طرفي الحدود التي رسمها الضباط الاستعماريون كخطوط مستقيمة على الخريطة في القرن التاسع عشر .

وعندما كان الاتحاد السوڤياتي حياً ، كان لخشية نشوب حرب كبري بين العملاقين الشيوعيين أثر الإبقاء على الحدود هادئة إلى حد ما . فلقد تقاسمت موسكو وبكين ، برغم خلافاتهما الايديولوجية الكثيرة ، هدف الإبقاء على مواطنيهما تحت سيطرة مركزية حازمة .

والآن ، ليست هناك ضمانات قائلة بأن الأويغور والطاجيك والقيرغيز والأوزبك الذين يعيشون الآن على جانبي حدود مصطنعة ، لن يبدأوا بخرق أو تجاهل الحدود الدولية المرسومة . بل إن الدول الحديثة الاستقلال هذه ، تجد لزاماً عليها أن تهب لنجدة بني جلدتها في الصين ومساعدتهم على نيل حريتهم . وهكذا يصبح المسرح معداً لصراع كبير قد تنجر إليه ، بعد حين ، قوي إقليمية أخري .

وتحتاج الصين إلى جزء كبير من قواتها المسلحة لحماية حدودها التي يبلغ طولها آلاف الأميال قاطعة أراضي في منتهي الوعورة . والبديل لكل هذا ، طبعاً ، هو أن تنتهج الصين سياسة التوفيق والملائمة ، وعليها أن تتخلي عن هدف تحويل الشعوب الفخورة بهوياتها العرقية والدينية والثقافية إلى "صينيين" ، وعلى كل حال ، فإن الغالبية العظمي من الصينيين الأصليين ، لا يقبلون أبداً الناس "المتصينين" كأعضاء في نفس العائلة . فللعوائل المختلفة أن تعيش وتعمل معاً وتحترم كل منها الأخري .

ويلزم بكين أيضاً أن تتخلي عن إعلامها الإلحادي الذي أسسه ماوتسي تونج والقتلة من الحرس الأحمر . فالناس لم تتوقف عن الإسلام لأن المساجد تُحرق أو تُغلق . وتحتاج "شين جيانج" (تركستان) ، برنامج تطوير اقتصادي شامل . فتلك المقاطعة التي

تكاد مساحتها أن تبلغ مساحة أوروبا كلها ، هي واحدة من أغني مناطق الصين من حيث الثروة المعدنية واحتياطات الطاقة . ومع ذلك فهي الأفقر في البلاد . فحصة الأسد من ثروة تركستان تستخدم لتمويل ودعم رخاء المناطق الأخري من الصين .

ويحتل الصينيون الأصليون (الهانيون) أحسن المناصب في الوظائف المدنية والعسكرية ، في حين يوضع بعض المسلمين في بضعة مناصب عليا لأسباب رمزية لا غير .

وبعبارة أخري ، يشابه الوضع القائم في شين جيانج اليوم الأوضاع الاستعمارية التقليدية التي سادت الاتحاد السوڤياتي لحين انهياره في العام الماضي . لكن الصينيين لم يمارسوا سياسة القتل الجماعي التي مارسها البلاشفة ضد المسلمين . ومع ذلك فالحكم الصيني يشابه الهيمنة الستالينية فيما يتعلق بالقسوة على المسلمين .

بعد كل ما ذكرنا ، فليس في مصلحة أحد أن تنفصل شين جيانج عن الصين . ولا يبدو أن قادة التيارات الرئيسية لمسلمي الصين يريدون ذلك . فكل ما يريدونه هو حكم ذاتي يضمن مصالحهم الاقتصادية وحقوقهم الثقافية وحرياتهم الدينية . وهذه مطالب معقولة يتوجب على الصين ألا ترفضها قبل أن تُصغي إليها كما هو حاصل .

جريدة « الشرق الأوسط»

١٣ مارس ١٩٩٢ م

١٠ رمضان ١٤١٢هـ

الأجراس تدق في سينكيانج !

بقلم : فهمي هويدي

وحدهم "الأويغور" لا يزالون في الأسر . الأفغان أُطلق سراحهم قبل أيام ، بعد سقوط نظام نجيب الله . ومن قبل استعاد إخوانهم في "تركستان الغربية" هوياتهم ، حتى صارت لهم جمهوريات مستقلة ، وأكثر من ذلك ، فقد أصبحوا يرون أقرباءهم القازاق والقيرغيز والطاجيك رأي العين عبر الحدود ، وقد رفع عنهم إصرهم وانفكت الأغلال التي طوقت أعناقهم .

لم يمر ذلك كله في هدوء . ولكن أصداءه تتفاعل الآن بقوة بين أولئك "الأويغور" المسلمين الذين لم ينسوا أن بلادهم بدورها اغتصبت ، وأن هويتهم طُمست ، وأن الاسم الحقيقي لوطنهم هو "تركستان الشرقية" ، رغم كل الخرائط الراهنة وما الحقته بالصين تحت اسم "مقاطعة سينكيانج" .

الأنباء التي تسربت من "أورومشي" - عاصمة المقاطعة - تشير إلى أن مؤشرات التوتر تصاعدت بصورة ملحوظة خلال الأسابيع الأخيرة بوجه أخص ، ورغم التكتم الشديد الذي تحيط به السلطات الصينية مجريات الأحداث في "سينكيانج" ، إلا أن المعلومات التي نقلها قادمون من كاشغر ، إحدي أهم المدن في سينكيانج ، إلى العاصمة الباكستانية "إسلام أباد" تكشف عن ذلك أن التوتر يتفاعل في ثلاثة اتجاهات تمثلت فيما يلي :

- أولاً : زيادة أنشطة الجماعات الداعية إلى الانفصال ، ويبدو أنها تعددت حتى أصبحت سبع جماعات في مقدمتها "الحزب التركستاني الإسلامي" ، الذي توجد بعض قياداته في تركيا ، ويُقال إن عناصره تحتفظ بعلاقات جيدة مع منظمات الجهاد الأفغاني . وفيما علمت من القادمين من كاشغر فإن بعض العناصر النشطة في الدعوة إلى الاستقلال تعرضت لملاحقات واسعة من جانب الشرطة الصينية ، وأنها استطاعت أن تعبر الحدود إلى جمهورية "قيرغيزيا" المجاورة ، وهي إحدي الجمهوريات الإسلامية التي استقلت حديثاً عن الاتحاد السوفياتي .

وهذه هي المرة الأولي منذ أكثر من أربعين عاماً ، التي تجد فيها المعارضة

التركستانية ملاذاً لها وموطئ قدم على الجانب الآخر من الحدود الصينية ، ويُذكر في هذا الصدد أن ثلاث جمهوريات إسلامية تشرف الآن على الحدود الصينية مباشرة ، وتتاخم مقاطعة سينكيانج . وهذه الجمهوريات هي : قازاقستان ، وقيرغيزيا وطاجيكستان . ليس هذا فقط وإنما المسألة تتجاوز الجوار الجغرافي إلى الامتداد العرقي ، باعتبار أن سكان هذه المنطقة كلهم ، بمن فيهم العشرة ملايين مسلم الذين يعيشون في سينكيانج من أصول تركية واحدة . لهذا لم يكن غريباً ولا مفاجئاً أن تحتمي المعارضة التركستانية بامتداداتها القبلية في قيرغيزيا ، التي ينشط فيها بشكل ملحوظ "حزب النهضة الإسلامي" .

ثانياً : إعلان السلطات الصينية لحالة الطوارئ بين قوات الشرطة والميليشيات ، مع تكثيف الدوريات العاملة على الحدود . تزامن ذلك مع حملة إعلامية كبيرة قادها المسؤولون في الحكومة وفي الحزب ، تتهم المعارضة التركستانية "بالرجعية" و"العمالة لجهات أجنبية" يهمها تفتيت الوطن الأم . وقبل هذا وذاك ، فإن عمليات القبض على العناصر المشتبهة في معارضتها السياسية تجري بصورة منتظمة وعلى نطاق واسع .

- ثالثاً : تنشيط عملية تهجير الصينيين من مقاطعات أخري في البلاد وتوطينهم في سينكيانج ، وفي ذات الوقت مواصلة الضغط على المسلمين المقيمين بالمقاطعة وإجبارهم على مغادرة المقاطعة والاستيطان في مناطق أخري بعيدة . والهدف من هذه العملية - التي بدأت منذ سنوات عديدة بالمناسبة - هو تغيير التركيبة السكانية للمنطقة ، مما يؤدي في النهاية إلى "تصيينها" أي بتغليب عنصر "الهان" الصيني على عنصر "الأويغور" الذين هم أصحاب الأرض وسكانها الأصليون . ونجاح عملية التهجير يمكن أن يؤدي في المدي البعيد إلى تذويب القضية التركستانية . لم تتوافر أرقام عن الذين جري تهجيرهم حديثاً ، لكن القدر المتيقن أن عدة آلاف من مسلمي سينكيانج يُنقلون كل أسبوع إلى المقاطعات الأخري في شاحنات تحرسها عربات الجيش الذي أرسلت تعزيزات منه إلى المنطقة الحدودية بعد مظاهر التوتر التي برزت فيها حديثاً .

سجل حافل بالتوتر

ليس جديداً ذلك التوتر المخيم على المنطقة . فطمع الصين قديم في أرضها الغنية

والشاسعة التي تزيد على مساحة تركيا مرتين ونصفاً، وتعادل أربع مرات مساحة ألمانيا، وثلاث مرات مساحة كل من فرنسا وباكستان . وعندما استولت الإمبراطورية الصينية المنشورية على مملكة تركستان الشرقية في أواخر القرن التاسع عشر ١٨٨٤م ثم أطلقت عليها اسم سينكيانج أي (المستعمرة الجديدة) ، فإن شعبها المسلم ظل يواصل انتفاضاته حتي استعاد حريته أخيراً ، وشكل جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية ، برئاسة الحاج خوجا نياز في سنة ١٩٣٣م (كان مقرها مدينة كاشغر) .

غير أن هذا الوضع لم يلق قبولاً في روسيا التي كانت قد وضعت أيديها على تركستان الغربية ، فقدمت المساعدة للقيادة الصينية لكي تبسط نفوذها على الجمهورية الإسلامية الوليدة مرة أخري ، وبعد صراع مرير دام سنوات ، أخضعت المنطقة إلى الحكم الشيوعي الذي استولي عليها في عام ١٩٤٩م ، ومحا اسمها الأصلي ، فيما أعاد إليها اسم "سينكيانج" . وألحقها قسراً بالنظام الجديد ، الذي استهل صفحته بإعدام ١٢٠ ألفاً من علماء تركستان وأدبائها ورجالاتها البارزين ، مما أطفأ جذوة المقاومة فيها لأجل غير قصير . مع ذلك فقد ظلت سينكيانج بمثابة بركان لا يهدأ . فلا يكاد يسكن سنوات معدودة حتي يعاود الانفجار مرة أخري . وفي كل مرة كان الانفجار يُعالج بقسوة وقمع لا حدود لهما . ولتعدد ثورات أبناء المنطقة ، فقد شاع بين الصينيين مثل يقول : (إن الأويغور ينتفضون مرة كل خمسة عشر عاماً ، ويقومون بثورة عارمة كل ثلاثين سنة) .

في هذا الصدد فإن بعض الدراسات تشير إلى إحصاء بثته وكالة الأنباء الصينية في تايوان - بتاريخ ٤ يوليو (تموز) ١٩٦٤م - وفيه إشارة إلى أن مسلمي سينكيانج قاموا بأكثر من ٨٠٠ تمرد وانتفاضة ضد الهيمنة الصينية حتي ذلك العام .

وإذا كان قد حدث في ظل الحكم الأشد قسوة (مرحلة الرئيس ماو) فلنا أن نتصور وقوعه على نحو أكبر في المرحلة الانفتاحية «نسبياً» اللاحقة ، بوجه أخص ، فإن الثمانينيات شهدت أشكالاً متعددة من التمرد على الحكم الصيني في سينكيانج ، وكان ذلك التمرد يعبر عن نفسه أحياناً عن طريق الاشتباك مع الصينيين المهجرين ، وهو ما حدث مثلاً في مدينة (دقسو) أبريل (نيسان) ١٩٨٠م ، عندما قُتل إيغوري على يد صينيين ، فقام الأويغوريون بالهجوم على منازل الصينيين وتدميرها ، ثم واصلوا هجومهم على المصانع التي يعمل فيها الصينيون ، واستمرت الاضطرابات عدة أيام ،

حتي تحولت إلى مواجهة بين التركستانيين المسلمين وبين بعض وحدات الجيش الصيني.

في العام ذاته (١٩٨٠) دهس جندي صيني شاباً أويغورياً بسيارته في مدينة كاشغر، وعندما قضت المحكمة بقتل الجندي قصاصاً لجرمه ، فإن فرقة الجيش الصيني التي يتبعها الجندي منعت تنفيذ الحكم ، فاشتبك الأهالي معها وامتدت ثورتهم أياماً ، ولم تقمع إلا بعدما حاصرت المدينة ست فرق من الجيش ، وفتكت بالمسلمين بعد ذلك .

هناك حالات أخري مماثلة تشير بوضوح إلى أن روح المقاومة لدي التركستانيين لم تُستأصل جذوتها بعد ، برغم التكلفة الباهظة التي تحملّوها من جراء ذلك .

غير أنه مما لفت الأنظار في هذا السياق أن تظاهرات كبيرة خرجت في العاصمة أورومشي (في ديسمبر (كانون الثاني) ١٩٨٥) وأن الطلاب هم الذين قادوا تلك التظاهرات ، التي لم تعبر فقط عن تحدي السلطة ، وإنما قدّمت مذكرة مكتوبة بطلبات محددة كان من بينها :

وقف تجارب التفجيرات النووية في تركستان الشرقية - وقف التهجير الصيني إلى بلادهم - وإغلاق معسكرات السخرة - إعفاء المسلمين التركستانيين من نظام تحديد النسل - إجراء انتخابات حرة لاختيار أعضاء الحكومة والحزب الشيوعي المحلي من الوطنيين - إعطاء الأولوية لشباب المسلمين للعمل في المؤسسات والمصانع في بلادهم (الصينيون كانوا يُفضلون عليهم) - تمكين حكومة المقاطعة من استغلال ثرواتها وتحديث تركستان الشرقية .

جدير بالذكر هنا أن تلك التظاهرات حصلت في سنة ١٩٨٥ وهي ذات السنة التي أعلن فيها الرئيس السوفيتي جورباتشوف عن سياسة البرويسترويكا (إعادة البناء) والجلاسنوست (المكاشفة أو المصارحة) . ورغم أن ذلك التوافق ربما يكون محض مصادفة ، إلا أن استمرار أمثال تلك التظاهرات لوقت لاحق فيما بعد ، دفع الحكومة الصينية إلى إصدار أكثر من بيان رسمي في سنة ١٩٨٨م يتهم الاتحاد السوفيتي بتحريض المسلمين ضد حكومة بكين ، وكان أحد تلك البيانات يتضمن تحذيراً صريحاً لموسكو بضرورة الكف عن تشجيع وإثارة الحركات الانفصالية في الصين (١٩٨٨/٨/٣٠) .

"المخربون" رمّموا المساجد !

عندما بدا أن الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفياتي (السابق) تتجه إلى الاستقلال – في سنة ١٩٩٠ – كانت لتلك الرياح أصداؤها بين مسلمي الصين ، ومن بين الشهادات التي سجلت ذلك التطور تقرير نشرته صحيفة (هيرالد تريبيون) في منتصف مارس من ذلك العام قالت فيه : نتيجة للأحداث في جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية . يظهر المسلمون في الصين البالغ عددهم ٥٠ مليون نسمة إشارات لاضطراب متزايد تحت الحكم الشيوعي . وعندما أعلنت الطوارئ في جمهورية "طاجيكستان" السوفيتية التي ترتبط مع منطقة سينكيانج بحدود مشتركة وارتباطات عرقية ، أعلن رئيس الوزراء الصيني لي بينج أن المقاطعة ذات الأغلبية الإسلامية تتوافر لها جميع عوامل الاستقرار ، لكنه تحدث عن قوات مسببة للانشقاق في ثياب دينية قد تنفذ إلى صفوفنا عندما نتصل بأناس من دولة ثانية . وهاجم إسماعيل صفوت وزير الأقليات أولئك الذين يثيرون الاضطرابات ويشرفون على نشاطات انفصالية تحت ستار ديني أو عرقي . واشتكي الوزير – كما ذكرت الصحيفة الأمريكية – من أن عمله أصبح أكثر صعوبة نتيجة لما أسماه بالصراعات "العرقية" في الاتحاد السوفياتي والتغييرات الراديكالية في أوروبا الشرقية .

غير أن الأمور تطورت على نحو أكثر إثارة فيما بعد . فقد نشرت صحيفة (كريستيان سيانس مونيتور) في مستهل شهر يونيو (حزيران) من العام ذاته تقريراً آخر أشارت فيه إلى وقوع "انتفاضة" في شهر أبريل (نيسان) قُتل فيها ٢٢ شخصاً من مسلمي "سينكيانج" . وأشارت الصحيفة إلى أن السلطات الصينية قامت في يوم الثاني عشر من شهر مايو (أيار) بتشديد القيود على الاتصالات الدينية الخارجية والتدريب الديني وبناء المساجد ، طبقاً لما ذكرته صحيفة (أكنيانج) اليومية الرسمية ، التي قالت إن السلطات الصينية منعت المسيحيين من بناء كنائس في مناطق يكثر فيها المسلمون .

نوهت الصحيفة الأمريكية إلى ما نشرته (أكنيانج) هو أول سرد مفصل "للتخريب الخارجي" المزعوم في المنطقة ، وهو تخريب تسلل إلى سينكيانج «لأجل توزيع كتب دينية وأشرطة فيديو ونشر أفكار انفصالية» .

ونُسب إلى مسؤول صيني إقليمي على مستوي رفيع قوله «أن حفنة من الرجعيين تورطت تحت ستار الدين في نشاطات تخريبية ، وقاموا بتنسيق أنفسهم مع انفصاليين من الخارج» . وأضاف ذلك المسؤول ، واسمه محمداتي سيماي أن القوي المناهضة الخارجية التي تعمل في مدينتي (كاشغر) و(اكسو) بمقاطعة سينكيانج قامت بأعمال ترميم المساجد . ودعت المسلمين إلى تأدية فريضة الحج ! وحاولت تلك القوي تعبئة العواطف الانفصالية بين الحجاج الصينيين في الخارج .

أضافت (كريستيان سيانس مونيتور) أن تلك كانت الملاحظات الأولي من نوعها التي تصدر عن مسؤول يؤيد ادعاءات بأن مسلمين من الخارج ساعدوا في إثارة الانتفاضة التي جرت في مستهل شهر أبريل (نيسان) وقالت أن تلك العناصر الخارجية يقصد بها في غالب الخطاب السياسي الصيني مجموعة السيد عيسي يوسف البتكين ، الذي كان سكرتيراً عاماً لحكومة تركستان الشرقية في سنة ١٩٤٩ ، ثم هرب إلى تركيا إثر احتلال القوات الشيوعية الصينية لبلاده . ولا يزال يدافع عن قضية شعب تركستان حتي الآن .

إلى طور العنف المسلح

هذا العام استمرت الاضطرابات ، ولكنها شهدت تطوراً جديداً ، اعتبر بمثابة منعطف لافت للنظر في مسيرة المعارضة الإسلامية بـ(سينكيانج) فقد كانت المعارضة في السابق تأخذ صورة الاشتباكات أو التظاهرات ، إلا أنها في شهر فبراير (شباط) الماضي لجأت إلى أعمال العنف المسلح التي تمثلت في استخدام المتفجرات لإزعاج وإنذار السلطات الصينية .

فطبقاً لما نقلته وكالة (رويتر) للأنباء في يوم ٢١ فبراير (شباط) فإن القادمين إلى بكين من مدينة (أورومشي) عاصمة سينكيانج ذكروا أن أشخاصاً يشتبه في أنهم (انفصاليون) مسلمون فجروا (باصاً) في المدينة خلال الاحتفالات التي جرت بمناسبة السنة القمرية في ٥ فبراير (شباط) ، مما أدي إلى مقتل حوالي ستة أشخاص وإصابة ما يزيد على عشرين آخرين بجروح . ونقل عن آخرين قادمين من (أورومشي) أن قنبلة ثانية انفجرت في موقف للباصات ، إلا أنها لم توقع إصابات في الأرواح .

أضافت رويتر أن القادمين من أورومشي أشاروا إلى أن المسلمين والصينيين في عاصمة سينكيانج يتحدثون علانية عن الطموحات الانفصالية التي بعثها تفكك الاتحاد السوڤياتي واستقلال الجمهوريات بوجه أخص ، وهي طموحات شجعت المتطرفين من (الأويغور) على التطلع إلى أمل إقامة جمهورية تركستان الشرقية أسوة بإخوانهم على الجانب الآخر ، الذين كانوا يعيشون في الماضي ضمن تركستان الغربية .

في الثامن من مارس (آذار) بثت رويتر من بكين خبراً يقول أنه في تطور نادر علم أن رئيس إقليم (سينكيانج) الذي يشهد بعض الاضطرابات ، وجّه أخيراً نداءً علنياً لشن حملة صارمة على (الانفصاليين المسلمين) ، الذين اتهمهم بتصعيد حملة التخريب ضد الحكم الصيني ، وفي أوضح تلميح حتي الآن إلى تفاقم التوتر الذي يثيره دعاة الاستقلال في الإقليم الواقع في أقصي غرب البلاد ، دعا تومور داوا مات رئيس الحكومة الشعبية في سينكيانج إلى شن حملة على القوي المعادية في الداخل والخارج ، التي تحاول فصل المنطقة الغنية عن الصين . ونُسب إليه قوله في تقرير بثه تلفزيون سينكيانج أن الموقف الدولي المتغير أثر ولا يزال في الاستقرار الاجتماعي بالمقاطعة ، أن القوي المعادية في الداخل والخارج صعّدت عمليات التسلل والتخريب في الإقليم .

المعلومات التي سمعتها من القادمين من إسلام أباد خلال الأسبوع قبل الماضي تشير إلى أن تصعيد التوتر مستمر على النحو الذي سبقت الإشارة إليه ، وإن ظلت التفاصيل محاطة بالكتمان المعهود في الخطاب الصيني ، السياسي والإعلامي ، وهو الأمر الذي يجعل عملية متابعة تطورات الموقف في سينكيانج من الصعوبة بمكان .

في كل الأحوال ، فالقدر المتيقن أن الارتياح النسبي الذي ساد في بكين عقب انهيار الاتحاد السوڤيتي - العدو اللدود - قد تبدد الآن وانقلب إلى شعور عميق بالقلق بسبب التوترات التي تشهدها مناطق الحدود ، بعد استقلال الجمهوريات الإسلامية خاصة . وقد رفضت بكين حتي الآن الاعتراف باثنين من تلك الجمهوريات هما قيرغيزيا وقازاقستان بدعوي أن المشاكل الحدودية بينهما لم تسو بعد . وليس هناك ما يقطع بأن المسألة الحدودية هي السبب الوحيد لعدم الاعتراف ، بعدما أشارت المعلومات الأخيرة إلى أن بعض المعارضين التركستانيين هربوا من سينكيانج إلى قيرغيزيا .

ثمة قلق أكبر لابد أن السلطات الصينية تستشعره ، ناشئ عن وجود أكثر من ٥٥ قومية في داخل الصين ، وهاجس الاستقلال الذي يلوح به التركستانيون المسلمون لن

يكون الوحيد في البلاد ، إذا قدر له أن يحقق أي إنجاز على ذلك الصعيد . بل إن هناك دعوات جاهزة للانفصال تتردد الآن في التيبت ومنغوليا على الأقل .

لهذا السبب فليس أمام الصين في مقاومتها لأمثال تلك الدعوات سوى طريقين أولهما مضاعفة القمع لسحقها بمختلف الوسائل وثانيهما العمل على إحداث نوع من الانفراج السياسي يحقق المساواة للجميع ويوفر لهم حداً مقبولاً من الحريات واحترام الحقوق القومية المشروعة . وهذا الخيار الثاني هو الذي تدعمه باكستان ، التي تجد نفسها في وضع دقيق وحرج ، بحكم حرصها على صداقتها التقليدية مع بكين التي ظلت تواجه بها محور نيودلهي موسكو خلال الثلاثين سنة الأخيرة ، وتضامنها المفترض مع مسلمي سينكيانج في ذات الوقت .

في ظل هذا الوضع فإن استقلال شعب تركستان الشرقية يبدو أملاً بعيد التحقيق في الظرف الراهن . لكن ذلك لا يحسم المسألة ، لأن كل الذي شهدته آسيا وأوروبا الشرقية من تحولات مثيرة كان من جنس تلك الاحتمالات التي كان الجميع يعتبرونها بعيدة التحقيق !.

مجلة « المجلة »

(العدد ٦٣٩) ٦ مايو ١٩٩٢ م

محنة التطهير العرقي تصل إلى أطفال تركستان الشرقية

بقلم : كمال أحمد خوجة

قبل أكثر من أربعين عاماً تحولت تركستان الشرقية على يد النظام الشيوعي الصيني إلى سجن مفتوح . وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، شدَّد هذا النظام قبضته على المسلمين التركستانيين ، ظناً منه أنه بهذا التشديد يطيل عمر احتلاله لهذا البلد المسلم . إلا أن التركستانيين الشرقيين يتابعون التطورات العالمية كل يوم عن طريق أجهزة الراديو ، كما يشاهدون إخوانهم في تركستان الغربية . في قازاقستان وقيرغيزستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقد نالوا حريتهم ، ويسعون جاهدين لتطوير بلادهم وتأمين الرفاهية لمجتمعاتهم ، ويقيمون العلاقات السياسية بمختلف دول العالم .

كما يتابع التركستانيون التغييرات الجارية حولهم .. فيجدون أن يوغسلافيا تمزقت ، وبدأت الأمم التي كانت تشكل هذه الجمهورية البلقانية تحقق استقلالها سلماً أو حرباً ، كما جلس التشيك والسلوفاك إلى طاولة المفاوضات لتشكيل دولتين منفصلتين . لكن النظام الصيني يسير في الاتجاه المعاكس ، فيمارس أبشع أنواع الظلم ضد الشعوب التي يحكمها بالنار والحديد . والأنباء الواردة من تركستان تؤكد أن الظلم الشيوعي أخذ أبعاداً مخيفة .

تفيد هذه الأنباء بأن الشيوعيين الصينيين لجأوا إلى التدابير الهادفة إلى القضاء على الشعب التركستاني الشرقي نهائياً ونورد هنا مثالين على تطبيقات هذه التدابير في هذا البلد المسلم . ففي ناحية غوما التابعة لولاية خوتن ، جمع المختار نساء القرية في إحدي الدوائر الحكومية بحجة بحث بعض المسائل الأسرية ، وكان في انتظار هؤلاء النساء طبيبان صينيان قدما خصيصاً من خوتن ، فقام هذان الطبيبان بفحص السيدات للتعرف على الحوامل منهن ، فاستبقوا الحوامل وأطلقوا سراح الباقيات ، ثم أخذوا النساء الحوامل إلى مستشفي المنطقة ، وأجروا لهن عمليات الإجهاض القسري ، وكانت بينهن امرأة حامل في الشهر السادس فقتلوا الطفل في بطنها وأخرجوه ، ثم جاءوا بها إلى منزلها ، وقد أدي النزيف الحاد إلى وفاة هذه السيدة في اليوم التالي .

ولما سمع زوجها الخبر ، وكان يعمل بالسخرة (دون أجر) في بناء أحد السدود في المنطقة ، اضطر إلى ترك عمله والرجوع إلى منزله ، ليرعي طفله البالغ من العمر أربع سنوات . ومن المعروف أن كل رب أسرة في قري تركستان الشرقية مجبر على العمل في إنشاء السدود مدة شهرين في كل عام دون أجر، ولما أبلغه أهل القرية بأن المختار هو المسؤول عما حدث . وأن المختار نفسه قد استدرج زوجته مع نساء القرية فأجهض جنينها ، فقد الزوج صوابه ، وكمن لطفلي المختار في أثناء عودتهما من المدرسة ، وذبحهما بالسكين . حدث هذا في شهر يونيو الماضي ، وفي شهر يوليو نفذ حكم الإعدام في هذا الزوج المسكين .

ووقعت حادثة أخري في القرية نفسها حيث وُلد لأحد الفلاحين طفل رابع . وينص القانون الشيوعي بأن من وُلد له طفل ثانٍ ، يتعرض لدفع غرامة مقدارها ٢٥٠ دولاراً ، أما إذا وُلد له طفل رابع ، فعليه دفع غرامة مقدارها ٥٠٠ دولار، لكن هذا الفلاح لم يدفع هذه الغرامة بالرغم من أن الوليد بلغ شهره التاسع؛ لأنه لا يملك هذا المال ولو باع بيته فلا تساوي قيمته المبلغ المطلوب . وفي الشهر الماضي قام هذا الفلاح بتزويج ابنته ، وتكفل أهل زوجها بمصاريف حفلة الزواج . وفي صباح يوم العرس جاء مأمور الحجز وهو صيني ، وطالب الفلاح بدفع الغرامة . ولما أوضح له أنه لا يملك مثل هذا المبلغ ، قال له : «كيف تقيم حفل زواج وأنت لا تملك المال ؟» إذا لم تدفع الغرامة فإننا سنمنعك من إقامة الحفل ، وتطور النقاش الحاد إلى مشادة ؛ ففقد الفلاح أعصابه وأخذ الرضيع ورماه في القدر المليء بالدهن المقلي لإعداد الطعام للضيوف ، ولفظ هذا الطفل المسكين أنفاسه داخل الدهن المقلي . فعاقب الصينيون الأب بالسجن مدة سبع سنوات ، ولا يزال هذا الفلاح في السجن .

وإذا عرفنا أن هاتين الحادثتين وقعتا خلال شهر واحد وفي قرية واحدة وفي موضوع واحد هو موضوع تحديد النسل ، فكم من الحوادث تقع في كل تركستان الشرقية وفيها عشرون مدينة وأربع وستون بلدة وأكثر من ثلاثة آلاف قرية ؟.

إن أكثر النساء الحوامل في تركستان الشرقية يتوجهن إلى مدن تركستان الغربية بحجة زيارة أقاربهن ، وينتظرن هناك إلى أن يحين موعد الولادة . لكن هذه الحيلة لا تعفي أزواجهن من دفع الغرامة المقررة .

وتفيد الأنباء الواردة من تركستان الشرقية مؤخراً بأن التذمر في أوساط الطلاب

والعمال والموظفين ، ينذر بانفجار وشيك . وأصدرت منظمات تركستانية شرقية في المنفى بيانات تفضح الممارسات الشيوعية في هذا البلد المسلم . وتطالب الهيئات الدولية بالتدخل لوقف التصفية العرقية لأطفال المسلمين في تركستان الشرقية .

جريدة «المسلمون»

(العدد ٣٩٥) ٢٨ أغسطس ١٩٩٢م

حق لن يضيع

بقلم : د. عبدالقادر طاش

سعدت في الأسبوع الماضي بحضور فعاليات المؤتمر الوطني الأول لتركستان الشرقية في مدينة إسطمبول بتركيا . وقد كان مؤتمراً بالغ الأهمية ، فلأول مرة يجتمع في مكان واحد ممثلو الشعب التركستاني المسلم من مختلف أنحاء العالم ، ويلتقي فيه مندوبو الجمعيات التركستانية التي أسستها الجاليات المقيمة في عدد من البلدان مثل جمهورية آسيا الوسطى الإسلامية وتركيا وألمانيا وأستراليا والولايات المتحدة وغيرها .

ولو لم يكن من ثمرة لهذا المؤتمر سوى التقاء هؤلاء الممثلين والمندوبين وتعرف بعضهم على بعض وتبادل الأفكار فيما بينهم لكفى . ولكن المؤتمر حقق - بحمد الله - ثمرات أخرى لا تقل أهمية . فقد كان المؤتمر حدثاً تاريخياً عميق الدلالة ، إذ عبر عن مشاعر ، ومطامح شعب مسلم أبي يعاني تحت وطأة الاحتلال ويتحمل شدة الظلم والبطش بصبر وإباء . وإذا لم يستطع الشعب في داخل تركستان الشرقية أن يعبر عن نفسه بالحضور فقد كان تعبير التركستانيين في مهاجرهم - ممن اجتمعوا في المؤتمر- صدى صادقاً عن مشاعر ومطامح إخوانهم وراء الستار الحديدي الذي فرضه الاحتلال الصيني الشيوعي عليهم دون رحمة !.

ومن جهة ثانية كان المؤتمر حدثاً إعلامياً تسابقت وسائل الإعلام التركية إلى الاهتمام به وتسليط الأضواء على قضيته . وكانت - ولا تزال - قضية مسلمي تركستان الشرقية بحاجة ماسة إلى الاهتمام الإعلامي ، فهي قضية لا يكاد يسمع صوتها في المحافل . وبالرغم من أن الحضور الإعلامي العربي والإسلامي والدولي كان محدوداً ، إلا أنه يعد خطوة إلى الامام نأمل أن تتبعها خطوات أكثر تنظيماً وأوسع دائرة ؛ حتى يتحقق الهدف المنشود وهو التعريف بقضية الشعب التركستاني المسلم المنسية .

أما الثمرة الثالثة فقد تمثلت فيما أنجزه المؤتمر خلال أيامه الثلاثة . فهو - أولاً - أتاح الفرصة للحوار البناء بين ممثلي ومندوبي الجمعيات التركستانية في المهاجر للوصول إلى رؤى موحدة حول قضية بلادهم ومواطنيهم . وحقق في هذا المضمار

إنجازاً معتبراً جسده البيان الختامي للمؤتمر وتوصياته وقراراته . وهو - ثانياً - لم يقتصر على الوضع الحالي ، بل انطلق نحو المستقبل بخطى حثيثة ، فقد اتفق المشاركون في المؤتمر على تأسيس تجمع موحد للعمل الوطني يلم شتات جهودهم وينسق بين برامج جمعياتهم ومؤسساتهم المحلية في البلدان التي يقيمون فيها . بل تغلب المتحمسون من أولئك المشاركين فدفعوا المؤتمر إلى إقرار نظام مؤقت للتجمع المراد تأسيسه، واختاروا مجلسه المؤقت ولجنته التنفيذية المؤقتة أيضاً . ودعا كثيرون إلى الإسراع في عقد المؤتمر الوطني الثاني لإقرار النظام الدائم للتجمع واختيار مجلسه ولجنته التنفيذية ؛ حتى ينطلق التجمع دون إبطاء نحو العمل الجاد لخدمة القضية التركستانية .

تلك هي الصورة المضيئة للمؤتمر وثمراته الحسنة . وللصورة وجه آخر لا نحب أن "نضخمه" أو نحاول - لا سمح الله - أن "نشوه" به ذلك الوجه المضيء . ولكنها الذكرى المطلوبة التي حثنا عليها ديننا : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات:٥٥]. وهذا المؤتمر سيكون له - ولاشك - ما بعده . ومتى ما أحسن الناس المنطلق في البداية كان ذلك - بإذن الله - عوناً لهم على السير بنجاح نحو تحقيق الأهداف المرجوة . إن أول ما ينبغي التذكير به أن يكون أساس العمل المراد تحقيقه سليماً ، وأن تكون الغاية منه نبيلة ، وما دام العمل المراد هو تمكين الشعب التركستاني المسلم من نيل حقوقه ، ورفع الظلم عنه ، وما دامت الغاية هي تحرير المسلمين من براثن الاحتلال فلن نجد لنا منهجاً ولا طريقاً أفضل وأكرم من منهج الإسلام وطريقه في الجهاد والتحرير بكل ألوانهما وميادينهما . وحتى تخلص القلوب لهذه الغاية فلابد من تجنب الشعارات والمناهج الوضعية التي لن تقود إلا إلى الضياع والاختلاف . كما لابد من ربط الشعور القومي والوطني بالمنطلق الإسلامي ربطاً وثيقاً بل جعل المنطلق الإسلامي هو الإطار المهيمن والحافز المحرك للعمل الوطني التركستاني .

ولن يتحقق للعاملين على نصرة القضية التركستانية ما يصبون إليه من أهداف نبيلة إذا لم يتحدوا ويتضامنوا ويكونوا يداً واحدة . والشعب التركستاني نفسه جرب الخصام والخلاف والشقاق فلم يَجْنِ من ذلك سوى الخسران . وقد أعجبتني لفتة الدكتور عبدالله عمر نصيف في رسالته التي وجهها إلى المشاركين في المؤتمر عندما دعاهم إلى الوحدة وحثهم على التضامن وحذرهم من التفرق مستشهداً بقول الله تعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران:١٠٣] فما أحوج التركستانيين - بجميع فئاتهم وجمعياتهم - إلى الاستجابة لنداء ربهم بصدق ورضى ، وما أحوجهم إلى التخلص من النعرات والانتماءات الضيقة والشهوات والأغراض الشخصية والتنازع على "المناصب" الوهمية ، فهم يواجهون عدواً شرساً لا يرحم ، وقضيتهم غائبة الصوت في عالم اليوم ، ومواطنوهم أشد الناس معاناة وهم يتطلعون إليهم لإنقاذهم . فهل يعقل بعد ذلك كله أن يختلف التركستانيون فيما بينهم ويتنازعوا ؟! إن المستفيد من هذا الخلاف هو العدو . أما الخاسر فهو الشعب التركستاني المسكين !.

إن مسؤولية من تصدوا لقضية تركستان الشرقية عظيمة وباهظة التكاليف . ومع ذلك فلا ينبغي اليأس من روح الله . وإذا لم تتغير الصين وتغير سياستها الظالمة ، فسيغيرها الله كما فعل من قبل بالاتحاد السوفيتي في وقت لم يكن يخطر على بال أحد أن يحدث ما حدث، ولكن الله غالب على أمره . ولن يضيع حق وراءه مطالب .

جريدة « المسلمون»

٢٥ ديسمبر ١٩٩٢م

١ رجب ١٤١٣هـ

صفحات دامية من مأساة

تركستان الشرقية

بقلم : أحمد أكمبردي ، ترجمة : محمد قاسم أمين

من الذي يعرف شيئاً عن تركستان الشرقية ؟ هل قرأت الأمة الإسلامية كلمة من الصفحات الدامية التي يعيشها هذا الشعب منذ ما يقرب من نصف قرن ؟ إنه شعب مسلم مهدد بالفناء ، وثمة خطة شيطانية قد وُضعت من أجل مسخ شخصيته ، وإنهاء وجوده ، والقضاء على تاريخه ودينه . والأخطر من هذا أن (التنين الأصفر) المسمى بالصين ، والذي يحتل هذا البلد المسلم ، قد وضع سياسة يقوم على تنفيذها بكل ما يملك من قوة وشراسة ، وهي سياسة تستهدف "تضيين" تركستان لكي تنتهي شخصيتها تماماً ويذوب وجودها الحي في ثنايا ذلك الجسد الخرافي الرهيب. ولكن هل تستطيع الصين إلغاء اثنى عشر قرناً من تاريخ الإسلام والعقيدة لدى شعب تركستان ؟ وهل تستطيع سياسة مهما كانت أن تلغي شعباً من الوجود ؟ إن المؤامرة تامة وشاملة ، وما يحدث مع هذا الشعب لم يحدث مثله مع شعب آخر في التاريخ القديم أو الحديث ، والمأساة هنا ، أن الأمة الإسلامية تجهل أو تكاد أبعاد هذه الملحمة الدامية التي يجب أن تصبح أحد قضايا العصر لأنها قضية الحرية والعدل إن لم تكن قضية الحياة والوجود ذاته .

فما أبعاد هذه القضية ؟ وكيف كتب التركستانيون صفحات جهادهم بالدم ؟ وما حجم المؤامرة التي تنفذها ضدهم الصين الشيوعية ؟ وهل من سبيل إلى حل هذه المأساة ؟

لقد عاش التركستانيون في الداخل والخارج مشتتين مبعثرين في أرجاء الأرض منذ أواخر القرن الماضي بفعل المؤامرة التي اشتركت فيها روسيا القيصرية ، وحاكمية الصين في عهد (مانجو) . فقد قام البلدان معاً باقتسام تركستان فيما بينهما . وبرغم بشاعة المؤامرة وتشتت هذا الشعب الأبي في أرجاء الأرض فإن فرداً واحداً منا لم ينس ولن ينسى وطنه وأمته في محنته التي يعيش فيها محروماً من أبسط حقوق الإنسان .

واليوم وبعد أن سقط الاتحاد السوفياتي فقد تحرر إخوتنا في الجمهوريات الخمس

الإسلامية في آسيا الوسطى بينما بقيت تركستان الشرقية تحت نير الاستبداد في الصين الشيوعية .

تبعد تركستان عن مهد الأمة الإسلامية في الجزيرة العربية بأكثر من عشرة آلاف كيلومتر إلى الشرق . وشعبها يدين بالإسلام منذ مائتين وألف عام . وقد كانت تركستان الكبرى بشقيها الشرقي والغربي موطن الأتراك منذ العهد القديم ومهدهم الذهبي . وقد استولت روسيا القيصرية على جزئها الغربي سنة ١٨٥٦م وهو الذي يُعرف الآن بتركستان الغربية . وفي عام ١٩٢٠م بعد ثورة أكتوبر في روسيا وقيام الاتحاد السوڤياتي تم تقسيم هذا الجزء إلى خمس جمهوريات عرقية عُرفت باسم قازاقستان ، وقيرغيزستان ، وتركمانستان ، وطاجيسكتان ، وأوزبكستان ، وهي التي تُعرف الآن باسم جمهوريات آسيا الوسطى . وقد استقلت هذه الجمهوريات الخمس في عام ١٩٩٠م بعد تفكك الاتحاد السوڤياتي وانهياره .. ولاشك أن قيام هذه الجمهوريات - وهم إخوة لنا في الدين والعرق والدم - يدعم من قضيتنا ويبلور وجودنا فلله الحمد والمنة .

"سينكيانج" بدل تركستان

أما تركستان الشرقية التي احتلتها الصين في عهد (مانجو) عام ١٨٧٦م فقد بقيت منذ ذلك الوقت ترزح تحت نير الاحتلال ، وعمدت الصين إلى تغيير اسمها فأطلقت عليها اسم «شينجافك» أو «سينكيانج» أي الأرض الجديدة . وبعد حركة ماوتسي تونج عام ١٩٤٩م أُطلق عليها اسم آخر هو «شينجافك أويغور آبتومي رايون» أي سينكيانج الأويغورية المتمتعة بالحكم الذاتي .

تبلغ مساحة تركستان الشرقية مليوني كيلومتر مربع ، وعدد سكانها الأصليين من الأويغور يزيدون على عشرين مليون نسمة يدينون جميعاً بالإسلام . وقد اشتهرت هذه الأرض بخيراتها الدفينة والظاهرة وبتاريخها المجيد وبموقعها الاستراتيجي المهم ، فهي محور أغلب شعوب آسيا ودولها إذ تحيط بها من جهاتها الأربع أكثر من ثماني دول آسيوية ، وكان موقعها هذا جديراً بأن يصفها الجغرافيون بأنها مفتاح آسيا .

وحتى عام ١٩٤٩م كان الشعب التركستاني المسلم يعيش سيد نفسه على أرضه

وديارە . وكان تعدادە في ذلك الوقت يناهز العشرة ملايين نسمة ، وكان الصينيون قلة قليلة . فقد نشرت جريدة (شنجانك) الحكومية الرسمية أن نسبة الصينيين في المنطقة لا تزيد على ٤٪ من مجموع السكان ، ولكن الجريدة نفسها عادت بعد أربعة عقود ونشرت عام ١٩٨٥م أن عدد الصينيين في المنطقة يزيد الآن على ٤٨٪ من عدد السكان . وهذا هو أحد أوجه المحنة التي يعيشها هذا الشعب .

إن تركستان الشرقية تعيش الآن في ظل الأسر الصيني الشيوعي المقيت برغم أن إخوتنا في الجمهوريات الخمس في آسيا الوسطى قد حصلوا على استقلالهم . وفي ظل هذا الأسر البغيض تمارس الصين أبشع أساليب الظلم والاستبداد والسلب والنهب وهتك الأعراض والإجهاز على القيم والاعتداء على المقدسات . إن الصين طامعة ولاشك في خيرات تركستان الوفيرة التي جلبت على أهلها الويل والثبور ، ولكن هذا الطمع تحول بعد ذلك إلى محاولة لسحق هذا الشعب تحت وطأة الفقر والجهل والمرض والحرمان ، ثم تطور إلى خطة جهنمية تستهدف إلغاء وجود الوطن والشعب معاً بتحقيق ما يُسمى بـ "تصيين" تركستان ونسخ شخصيتها وتاريخها وقوميتها ودينها ، وخطتها في ذلك التلويح بما يُسمى بالحكم الذاتي لسينكيانج الأويغورية والذي لا يزيد في الحقيقة على كونه مجرد هراء يخفي أطماع الصين في تذويب الشعب التركستاني المسلم في الجسد الصيني .

ولكن هذه المؤامرة التي تهدد السلام العالمي لم يسمح بها شعب تركستان الشرقية . ونحن عازمون – إن شاء الله –على الجهاد من أجل الحرية والاستقلال . وسنمضي على هذا الطريق بصرف النظر عما إذا كنا سننتهي إلى الحياة أو الموت

سوف نقدم هنا مجرد نماذج من هذه الخطة الآثمة التي يجب أن يتم الكشف عنها ووضعها أمام الضمير العالمي.

سياسة التصيين

أعلنت حكومة الصين الشيوعية عام ١٩٨٣م وبشكل سافر أنه يجب جلب أكثر من مائتي مليون صيني وتوطينهم في منطقة «شنجانك» أي تركستان الشرقية . وحجتها في ذلك أن مساحة المنطقة تصل إلى سُدس مساحة الصين كلها ، وربما أن تعداد

سكان الصين يصل إلى ألف ومائتي مليون نسمة فيجب أن يشغل سُدس هذا العدد – أي ٢٠٠ مليون شخص – هذه المساحة . وبالفعل فإن الصين أخذت في تنفيذ هذه السياسة، حيث يصل الآن أكثر من سبعة آلاف مهاجر صيني كل يوم إلى المنطقة، التي أخذت تزدحم بأعداد غفيرة من غير سكانها الأصليين الذين كانوا يعيشون على هذه الأرض بمعدل عشرة أشخاص للكيلومتر المربع . وهذه السياسة ليس هدفها فقط تغيير الخارطة البشرية لتركستان الشرقية، بل إن هدفها الحقيقي هو محو وجود الشعب المسلم وتجريده من هويته القومية والعرقية فضلاً عن دينه وعقيدته .

تتبع الصين في تركستان الشرقية سياسة لتحديد النسل لا وجود لها في العالم . وهذه السياسة تختلف حتى عما هو موجود في الصين نفسها . وتستهدف هذه السياسة تجميد عدد سكان تركستان ، إن لم يكن العودة بعددهم إلى الوراء . وهم يسمون هذه السياسة بسياسة الولد الواحد ، حيث يقومون بتعقيم النساء إجبارياً وحقن الرجال بالأدوية ، وتدور اللجان المتخصصة لتنفيذ هذا الأمر على البيوت بيتاً بيتاً بل أسرة أسرة . وبدأت منذ شهر سبتمبر ١٩٩٢م في وضع لوحات كبيرة على البيوت تحدد لكل أسرة ما إذا كان مسموحاً لها بإنجاب طفل واحد ، أو أنها محرومة من الإنجاب أصلاً . وثمة إجراءات صارمة تُتخذ حيال الأسر التي تخالف هذه التعليمات ، فقد تُحرم الأسرة كلها من الحقوق المدنية ويُطرد أفرادها من الوظائف العامة ، ولا يحظى المولود بالهوية أو الرعاية الطبية ، كما تُفرض غرامة مالية على الأسرة تصل إلى أربعة آلاف «يوون» ، وهي غرامة باهظة إذا علمنا أن مرتب الموظف الحكومي لا يزيد على مائة وخمسين «يووناً» في الشهر . وتلجأ الحكومة في حالات كثيرة إلى بقر بطون الحوامل وإجهاضهن أياً كانت شهور حملهن ، وهنا تُسحب المرأة من وسط أسرتها ويُستخرج منها الجنين حيث يُلقى في صفائح القمامة ، ويُستخرج «الخلاص» لتصنيعه واستغلاله في صنع عقاقير وأدوية أو حتى في أكله، حيث اعتاد الصينيون أكل كل شيء. ويتم توزيع أطعمة ومعلبات وأنواع من البسكويت والشيكولاتة المجهزة بمواد كيميائية تصيب الأجنة بالتسمم . وقد ماتت ألوف النساء بسبب هذه الأدوية وبسبب إجهاضهن قسراً .

وأمام الخوف الذي يعتري الأمهات فقد لجأت بعض الأسر والسيدات الحوامل إلى الاتفاق مع أسر من التي لا تنجب بأن تتبنى المولود مقابل مبلغ من المال ، ويتم هذا

الأمر في سرية تامة . كما لجأت أسر أخرى إلى تهريب أطفالها داخل أكياس الخيش وصناديق الخشب إلى الدول المجاورة ، وأقربها قازاقستان وقيرغيزستان .

حقل تجارب ذري

بدأت الصين أولى تجاربها النووية عام ١٩٦٤م في أراضي تركستان الشرقية في منطقة (لوب نور) . وكان هدفها أن تنضم إلى النادي الذري وتفرض نفسها على المجتمع الدولي لتحظى بعضوية مجلس الأمن التي حصلت عليها بالفعل عام ١٩٧١م ، ثم إخضاع بقية شعوب آسيا ، وتهديد جارتيها الكبرتين الهند وباكستان . ولكن كان هدفها الخفي هو ترويع شعب تركستان المسلم وتعريضه لخطر الإشعاعات الذرية المهلكة . وقد استمرت الصين في تنفيذ هذه السياسة وضربت عرض الحائط بكل قرارات الإرادة الدولية ورفضت الانضمام إلى أي اتفاقية دولية أو إقليمية بهذا الشأن . وبالفعل استمرت في إجراء تجاربها في تركستان؛ فانتشرت الأمراض المهلكة وأهمها السرطان وأمراض الكبد ، وتم تلوث البيئة والمياه وفسدت المزروعات وأصيب الإنسان بالضمور والضعف والهزال المميت . وكانت آخر الجرائم التي جرت في هذا السياق ذلك التفجير النووي الكبير الذي تم في ٢٨ مايو عام ١٩٩٠م ، وأعلنت الصين نفسها فيما بعد أن أكثر من (٢١٠٠٠٠) نسمة قد تضرروا أو ماتوا نتيجة تسرب الإشعاعات من هذه التجربة .

يقول البعض أن ثروات تركستان الشرقية كانت وبالاً عليها ، ولكن متى كانت النعمة نقمة ! إن المذنب هنا ليس هو غنى تركستان بل هو الصين التي تستنزف هذه الثروات بصورة لا مثيل لها . فتركستان غنية بمواردها الطبيعية من المعادن كاليورانيوم والنحاس والحديد والرصاص والفحم والبترول والأحجار الكريمة ، وهي ليست أقل غنى على المستوى الزراعي ، فهي غنية بمزارع القمح والذرة والأرز وسائر الحبوب الغذائية والزيتية ، وهي تملك غابات شاسعة مليئة بالأخشاب ، وثروة حيوانية ضخمة قوامها الجمال والبقر والماعز والأغنام والكيبك - وهو نوع من البقر الوحشي الذي روضه التركستانيون منذ القدم ويعيش في جبال نامير - أما خيولها فهي من أجود الخيول في العالم وتتكاثر بسرعة ، وليس أدل على ذلك من أن حكومة (سين. شي. سي) وهي حكومة إقليمية طلبت من أهالي ولاية (قاراشهر) في الثلاثينيات إسهاماً لدعمها من

أجل نصرة (شان كاي شك) في حربه ضد اليابان ، فما كان منهم إلا أن قدموا له ستين ألف حصان كلها ذات لون واحد . وفضلاً عن هذه الثروة كلها فهناك جبال ومناجم الذهب . وهذه حدث عنها ولا حرج ، ولكن الصين ، فتحت هذه المنطقة للمشردين الصينيين منذ عام ١٩٨١م حيث يعيث فيها فساداً الآن أكثر من ٣٠٠ ألف صيني من أصحاب السوابق والمجرمين ، وهؤلاء يستخرجون الذهب وينهبونه بما يعادل ثلاثين «يووناً» لكل أوقية ، حيث يتم تهريبه بعد ذلك إلى هونج كونج عن طريق كانتون .

والمفارقة المدهشة هنا أنه برغم هذا الغنى الاقتصادي الذي تنعم به تركستان الشرقية إلا أن شعبها يعاني من الفقر المدقع . وهناك ٨٠٪ من السكان يعيشون تحت خط العوز والحاجة لأن الصينيين يحتكرون كل فرص العمل والتجارة والصناعة والإنشاء والتعمير . أما زراعة الأرض والاستيلاء عليها فهو من صميم واجبات الحكومة ومن أهم علامات ممارستها السلطة ، بل إن المهن الحقيرة كسحب عربات الكارو ونزح البيارات وغيرها قد استولوا عليها ولم يتركوا لصاحب الأرض شيئاً على الإطلاق . نعم إن الصينيين يشغلون أكثر من تسعين في المائة من الأعمال الإدارية في المدن والقرى والهجر بل حتى في التجمعات الصغيرة في الوديان والمراعي وقمم الجبال ، وهم يمارسون عنجهيتهم وتسلطهم على الناس ويقولون بملء الفم إنهم السادة وولاة الأمر وإن التركستانيين ليسوا أكثر من عبيد . وفي ظل هذه السياسة يعاني المواطنون الأصليون وأبناؤهم من البطالة حيث يعيشون بالملايين في ظل الفراغ والفقر بينما تجد الفئات الصينية المهاجرة العمل والمال والهوية والوظيفة منذ لحظة وصولها إلى البلاد .

الحقوق المدنية والتعليم

وتمتد هذه السياسة بعد ذلك إلى كل مرافق الحياة حتى أصبح الشعب الأصلي مجرد صفر على الشمال في وطنه ، بينما يحظى المهاجرون الصينيون وحدهم بالأولوية في الحقوق المدنية من عمل وسكن وتوفير الخدمات العامة من ماء وكهرباء وتليفون وصرف صحي ورعاية طبية وتعليم على مستوى المدارس والكليات المهنية ، بل إن لهم الأولوية في فتح المحلات التجارية والورش والمصانع والخدمات الفندقية والمطاعم والمستشفيات وسائر الخدمات العامة في الدوائر الحكومية . والحكومة الصينية لا تنكر هذا ولا تداريه بل تقول في تبجح إن هؤلاء المهاجرين قد جاءوا ليعيشوا . وتقول الأرقام

إن نسبة الصينيين في المدارس والمعاهد والكليات تزيد على ٨٥٪ .

أما أبناء البلاد الأصليين فلهم الجزء اليسير الباقي ، وهم محرومون تقريباً من الدراسة في الجامعات ، ويمتنع عليهم دخول كليات الحقوق والمعادن والإدارة والاقتصاد ولا يُسمح لأحد من أبناء تركستان بدخول هذه الجامعات إلا إذا كان الطالب وذووه من المقربين إلى السلطة والمؤتمنين ويشرط أن يكون الأب عضواً في الحزب الشيوعي وله خدمات تُذكر فيه .

إن أبناء الشعب التركستاني محرومون من التعليم أو يكادون ، فهناك ١٥٠٠ طالب صيني من بين كل عشرة آلاف مواطن ، بينما هناك سبعة طلبة فقط من كل عشرة آلاف تركستاني .

وكانت محصلة هذه السياسة هي تراجع تركستان الشرقية إلى ذيل دول آسيا ، فبعد أن كانت في عام ١٩٥١م في المرتبة الثانية ، إذ بها بعد أربعين عاماً من الحكم الشيوعي في الصين تتراجع إلى المرتبة الأخيرة .

وحتى الذين قُدر لهم أن يفلتوا من هذا التجهيل المتعمد ويحصلوا على شهادات عليا– وهم قلة قليلة – فإنهم لم يجدوا عملاً قط ، وانضموا إلى جيش العاطلين ، حيث يعيش هؤلاء وهؤلاء عالة على ذويهم يتسكعون في الطرقات والشوارع وبين دور اللهو والسينما وسط السفلة والمارقين ، حيث يسقطون بسهولة ضحايا للإدمان والمسكرات والفساد .

مسخ ثقافي

واستكمالاً لطمس الشخصية وتجهيل الشعب وحرمانه من كل فرص العلم والمعرفة دأبت الحكومة الصينية على إفساد ثقافة ولغة الشعب التركستاني ، ففرضت اللغة الصينية على الوطنيين منذ عام ١٩٥٧م . وفي عام ١٩٦٩م سمحت باستعمال الحروف اللاتينية جرياً على سياسة كمال آتاتورك في تركيا ، وكانت هذه السياسة تستهدف إبعاد الشعب عن لغة الضاد وحروف القرآن التي اعتاد عليها منذ ألف ومائتي عام ، ومنذ انفتاح الصين على العالم منذ سنة ١٩٨٩م لاحظت الحكومة تلاحم الشعب التركستاني بكل فئاته مع أشقائه الأتراك بفعل هذه الحروف اللاتينية ، كما لاحظت أنه

بدأ ينهل من معارف الغرب عبر تركيا ، وهنا سارعت الحكومة إلى منع استعمال الحروف اللاتينية منعاً باتاً ، وسمحت بالعودة إلى الحروف العربية ولكن بشكل مغاير تماماً للإملاء العربي حيث منعت استخدام ثمانية حروف هي : (ث - ج - ذ - ص - ض - ط - ظ - ع) وأبقت على عشرين حرفاً فقط على ألا يُستعمل حرف الألف في أول الكلمة . وبهذا الإملاء الممسوخ تم فرض أبجدية مشوهة على الشعب حتى استحال على الأب أن يفهم ابنه أو على الابن أن يفهم عن أبيه .

ويمتد هذا المسخ والتجهيل الثقافي إلى كل النشاطات الثقافية التي تتعلق بالشعب التركستاني المسلم ولغته وتاريخه . فقد أنشئت - مثلاً - سبعة من دور النشر في سائر ولايات تركستان منذ عام ١٩٨٩م ، ولكنها ظهرت ممسوخة لأن الكتب والنشرات والمجلات والجرائد التي تصدرها تنطق كلها باسم سياسة الصين وحكامها . والمسؤولون عن هذه المجلات ومحرروها جميعاً من أصل صيني ، ولهذا فهم يعطون لأنفسهم الحق في نشر أو حذف ما يشاؤون ، ناهيك عن أن كل ما ينشر لابد أن يكون مصبوغاً بالصبغة الشيوعية التي تبدأ وتنتهي بتعاليم ما ومبادئ ونظريات لينين وستالين وإنجلز وماركس اليهودي .

وقد امتد هذا التزييف الثقافي إلى حد تحريف تاريخ البلاد ونشر عشرات المؤلفات باللغتين التركستانية والصينية وكلها حافلة بالافتراء والكذب والتضليل . ويكفي لكي نعلم تأثيرهم المدمر في هذا الميدان أن نعرف أن ٧٠٪ على الأقل من الكوادر التحريرية فضلاً عن طبقة المديرين هم من الصينيين الذين يعرفون لغتنا بعد أن درسوها .

على أن هذه المحاولات كلها لم تمنع علماء وكتّاب ومفكري تركستان من إخراج عشرات الكتب القيمة في العلم والأدب والتاريخ والثقافة والدين . وقد ظهر من الأعلام في هذا الميدان (تورغون آلماس) و(عبدالرحيم أوتكور) و(إبراهيم مطيعي) ، وقد استطاعوا بفضل ثقافتهم العالية أن يمرروا مؤلفاتهم على الرقيب الصيني وطبعوها بمئات الألوف ، ثم قام الشعب نفسه بطبعها بعد ذلك وتوزيعها على الجميع ، وحينما اكتشف الصينيون محتويات هذه الكتب سارعوا إلى مصادرتها وجمعها من الأسواق وشراء بعضها بأثمان تفوق أضعاف ثمنها الأصلي من أجل حرقها . ولكن هذه الكتب قد نشرت وخرجت إلى الدنيا كلها وتُرجمت إلى اللغات الحية ومنها العربية والإنجليزية والروسية والتركية وأصبحت معروفة في المحافل الدولية . وأمام هذا المأزق الثقافي الذي

وجدت فيه حكومة الصين الشيوعية نفسها، لم تجد بداً من القبض على مؤلفي هذه الكتب ومحاكمتهم . وقد صمد (تورغون آلماس) و(عبدالرحيم أوتكور) للمحاكمات الجائرة ، بينما استشهد الشاعر الفحل (ثروي سامساق) صاحب الملاحم الشعرية الإسلامية التي تمجد تاريخ الإسلام في تركستان الشرقية .

المقاومة التركستانية

إن كل هذه الإجراءات الوحشية لا هدف لها إلا مسخ تاريخ وشخصية الشعب التركستاني المسلم وتذويبه في بوتقة الصين فيما يُسمى بخطة "تصيين" المنطقة . فهم لا يعترفون بشيء اسمه تركستان الشرقية ، بل يقولون إن هناك منطقة صينية اسمها (سينكيانج) يسكنها بعض المسلمين . ولكن الحقيقة والتاريخ يقفان في شموخ ضد هذه الأكاذيب كلها ، فنحن مسلمون وسنظل كذلك إن شاء الله . الحكومة الصينية تعلم أن إسلام هذا الشعب هو العقبة الأولى ضد جميع المخططات التي يصنعونها من أجل تذويبه ونفيه عن ذاته ، ولهذا فهم يحاولون محو الدين وتهديم المساجد والمدارس والمعاهد الإسلامية وحرق القرآن والكتب الدينية وإهانة العلماء والزج بهم في السجون والمعتقلات وقتل المئات منهم وإجبار النساء المسلمات على تربية الخنازير والعمل في الشوارع في المهن الحقيرة وهن حاسرات الرؤوس والوجوه ، ولكن تمسك الشعب بدينه أفشل هذه الإجراءات كلها التي لم تزد الناس إلا تمسكاً بإسلامهم ، ولهذا لجأت الحكومة إلى خطة أخرى إذ راحت منذ الخمسينيات تنشئ جميعات إسلامية وسخرت للعمل فيها بعض علماء الدين الذين تربوا في كنف الشيوعية . وقد رسمت لهم الحكومة خطة لمعاملة المسلمين ، حيث اختاروا من الإسلام بعض النظم والقواعد التي راحوا يحرفونها لكي تخدم أغراضهم . فهم يلقنون الناس دروساً تحض على احترام الحاكم لأن الإسلام يأمر بطاعة ولاة الأمر . ويقولون إن الإسلام هو دين الكفاف والقناعة وأنه يذم الذهب والفضة ، أما الأحكام فهم يحرفونها ويؤولون الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بما يحقق أهدافهم.. ولكن هل نجحوا في هذا ؟.

شعب حي

إن ما يحدث للشعب التركستاني المسلم على يد المستعمر الصيني الغاشم قد يدعو إلى اليأس والقنوط ، ولكن هذا الشعب الأبي لم يستسلم يوماً ، فقد توالت انتفاضاته ضد السلطة القاهرة وكتب أبناؤه بدمائهم صفحات من نور في تاريخ الجهاد .

وفي الفترة بين ١٩٨٠ و١٩٨٩م قام الشعب التركستاني بعدة انتفاضات كان بعضها دموياً ، واشتركت فيها جميع فئات الشعب من الطلبة والتجار والمزارعين والحرفيين والمثقفين وعلماء الدين . وقد شهدت الفترة نفسها إحدى عشرة انتفاضة قام بها الطلبة ، وانتشر نبأ هذه التحركات كلها إلى داخل الصين نفسها ؛ فقام الطلبة التركستانيون في بكين العاصمة وشنغهاي بمظاهرات مماثلة رفعوا فيها شعارات تطالب بسقوط الشيوعية في الصين والحرية لشعب تركستان .

وفيما بين عامي ١٩٨٩ و١٩٩١م قام هذا الشعب الأبي بثورات دموية في عدة مدن ، وتصاعدت حدة هذه الثورات إلى حد الانفجار الشعبي المطالب بالاستقلال والحرية ، ولم تجد الحكومة بُداً من إخماد هذه الثورات بالحديد والنار ، وقد راح ضحيتها عشرة آلاف شاب من خيرة شباب تركستان .

أما الثورة الكبرى فقد وقعت في منطقة (باين) المتاخمة لقازاقستان في عام ١٩٩٠م، وقد كانت مذبحة بحق راح ضحيتها أكثر من مائتي ألف شخص من خيرة شباب الوطن . لقد استمرت هذه المعركة شهراً ، وأقامت الحكومة خلالها جسراً جوياً بين باين وبكين لمسافة خمسة آلاف كيلومتر ، وتم تدمير المنطقة تدميراً كاملاً ولم يتركوها إلا وقد أصبحت قاعاً صفصفاً ، وما زال هناك خمسون ألف جندي صيني يربضون على التلال حتى الآن .

وقد كانت محصلة هذا القهر الصيني مزيداً من الإيمان بعدالة قضية تركستان الشرقية ، ولكنه تمخض من جانب الصين عن مزيد من الاعتقالات لمئات الألوف من الشباب والشيوخ والزج بهم في غياهب النسيان خلف الجدران الصماء .

إن في تركستان الشرقية وحدها مائة وتسعين سجناً ومعتقلاً للأعمال الشاقة ، وخلف جدران هذه السجون والمعتقلات هناك أكثر من ثمانين ألف تركستاني يعيشون

تحت السياط في ظل ظروف غير إنسانية . والمؤلم أن أغلب هؤلاء السجناء والمعتقلين هم من المناضلين الشرفاء من المثقفين والسياسيين ورجال الدين وطلبة العلم الإسلامي من الذكور والإناث . فأين العالم الحر من هذا كله ، وأين الضمير الإنساني ، وأين المنظمات الدولية وحقوق الإنسان ، بل أين الأمة الإسلامية نفسها مما يحدث لإخوة لهم في الدين في تركستان الشرقية ؟.

المستقبل .. كيف هو ؟

والآن .. هذه هي صورة المعاناة التي يقاسيها شعب تركستان المسلم في ظل الاستعمار الصيني الشيوعي البشع لبلاده .. فكيف تبدو صورة المستقبل لهذا الشعب ؟ هل من أمل في الحرية والاستقلال ، أم هي الاستكانة والسكوت والموت ؟.

هناك رأيان حول مستقبل تركستان الشرقية :

الرأي الأول : يقول إن الصين دولة عظمى ، وإنها تكاد تكون القوة الثانية في عالم اليوم بعد سقوط وانهيار الاتحاد السوفياتي . وهذه الدولة القارة تملك القوة النووية والهيدروجينية والتكنولوجيا المتقدمة . ثم إنها تحتوي على ربع سكان العالم ، وهذه المئات من الملايين تعمل بدأب وإصرار ، وأن هيمنة الصين على تركستان الشرقية استمرت لعقود طويلة .. ومحصلة هذا الرأي هو أن المنطقة أصبحت جزءاً من الصين وأنه يستحيل عليها الاستقلال .

الرأي الثاني : يقول إن عالم اليوم عالم غير مستقر، وأنه ليس هناك حقائق دائمة أو نظريات ثابتة ، وإلا من كاد يصدق أن الاتحاد السوفياتي بكل قوته وجبروته وترامي أطرافه يمكن أن ينهار هكذا في لحظات . إن عالم اليوم مقبل على تطور نوعي على كل المستويات . وهذا التطور سوف يلحق الصين بالضرورة فهي مؤهلة للتغيير أيضاً وربما أكثر من الآخرين . إن في الصين قوميات متعددة وديانات شتى ، ومجموعات عرقية لا حصر لها . والصين الشيوعية حين انفتحت على العالم عام ١٩٨٨م كانت تستهدف الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي معاً ، وهذا المثلث الإصلاحي يمضي ببطء وحذر شديدين وخصوصاً على المستوى السياسي . وهذا التطور ينسحب على الفرد إذ يشعر بقدرته على المشاركة وبرغبته فيها ، وبعد فترة من الزمن طالت أو قصرت لابد أن

تجد الجموع نفسها وهي تطالب بالتفاعل مع السلطة بشكل جماعي ، فإذا لم تستجب الدولة لأشواق الناس وأمانيهم فإن الانفجار الشعبي لابد أن يحدث ، وهو إذا حدث لا يمكن السيطرة عليه بحكم ترامي هذه الدولة واتساع حدودها . ومن نافلة القول هنا أن المجموعات القومية والعرقية في الصين تتابع هذا التغير وتترقبه عن كثب . وفي مقدمة هذه الكتل تركستان الشرقية ، والتبت ومنغوليا ، والتونكان من المسلمين الصينيين . وهذه المجموعات وغيرها لابد أن تتحرر يوماً في ظل التطور الحادث والمستقبل الذي ينذر بالتغيير .. ومعنى هذا أن تركستان لابد أن تسعى نحو استقلالها وحريتها حفاظاً على ذاتها وقوميتها ودينها .. وثمة إجماع شعبي على أن شعب تركستان الذي قدم الضحايا بمئات الألوف لن يقبل عن حريته بديلاً .

ولهذا .. ومن أجل تأمين استقلال هذا الشعب المسلم فإنه يجب على الأمة الإسلامية والعربية والدول المحبة للسلام أن تساعد شعب تركستان على تحقيق مطالبه التالية :

أولاً : وقف التهجير الصيني إلى تركستان الشرقية .

ثانياً : وقف سياسة تحديد النسل بالقوة ومنع الأعمال الوحشية في حق الأمهات الحوامل ببقر بطونهن وإجهاضهن قسراً .

ثالثاً : وقف جميع التجارب النووية الصينية في تركستان الشرقية وسحب مفاعلها الذري من هناك وإزالة الآثار المترتبة على ذلك .

رابعاً : التوصية لحكومة الصين بتنفيذ ما أعلنته من أن (سينكيانج الأويغورية ذاتية الحكم) على أن تعلن نظام هذا الحكم على الملأ وتنفذ ما في فقراته بدقة ، وإجراء استفتاء عام في البلاد وتولي الكوادر الوطنية إدارة الدوائر الحكومية وتمكين الشعب من تقرير مصيره مستقبلاً .

خامساً : أن يمتلك الشعب جزءاً من ثرواته المعدنية وحاصلاته الطبيعية ليوظفها في تطوير وتعمير بلاده من أجل غدٍ أفضل له وللأجيال القادمة .

سادساً : التوصية لحكومة الصين بأن تراعي حالة السكان الأصليين العاطلين عن العمل بتوظيفهم في المصانع وإعطاء الأولوية لهم في خدمات الدوائر الحكومية .

سابعاً : إفساح المجال أمام شباب وشابات تركستان في جميع مراحل التعليم من البداية إلى النهاية .

ثامناً : أن تراعي الحكومة مشاعر المسلمين وتفسح المجال للتربية الدينية حسب الشريعة الإسلامية ، وتمكنهم من ممارسة حياتهم الاجتماعية وفق الحضارة الإسلامية وحق الجميع في حرية الأديان . وأن ترفع سياسة التصيين تماماً .

أما على مستوى الشعب التركستاني نفسه فإنه مطالب بالآتي :

أولاً : من أجل تحرير تركستان الشرقية فإنه يجب عرض قضية هذا الشعب عرضاً شاملاً على العالم كله ، وذلك يتأتى بأن تُقوى مجلاته وجرائده ونشراته الإعلامية ، ثم يجب أن يملك الشعب وسائل البث الجماهيرية من إذاعة وتليفزيون ، مع ضرورة إجراء الدراسات والبحوث العلمية وإصدار الكتب والنشرات باللغات الحية .

ثانياً : يجب علينا أن نمد أيدينا إلى إخواننا في الداخل والخارج لكل فئة أو مجموعة أو حزب أو جميعة تعمل من أجل الخلاص من ربقة الصين الشيوعية مثل حركة التبت الاستقلالية ، ومنغوليا الداخلية ، ومجموعة الصين الديمقراطية في الداخل والخارج ممن يعترفون بحقنا في الحرية والاستقلال .

ثالثاً : أن نتبادل الآراء مع إخواننا وأشقائنا في الجمهوريات الإسلامية الخمس في آسيا الوسطى ومع جمهورية تركيا وسائر شعوب الترك لجلب ودهم والحصول على مساعدتهم في هذه المحنة .

رابعاً : أن نعمل على مد جسور من الأخوة والترابط مع سائر الدول الإسلامية وإبلاغها بسياسة الصين الشيوعية تجاه تركستان الشرقية ، بكل ما تحفل به من ظلم واستبداد وتهجير إلى أرضنا الإسلامية . مع طلب مساعدتها لنا للوقوف إلى جانبنا في السراء والضراء .

خامساً : أن نتفق مع الشعوب والأجناس المغلوبة على أمرها ممن وقعوا تحت التهديد الصيني من حكومات وأفراد لرفع الظلم عنا وعنهم .

سادساً : أن نقيم علاقات من الود والحوار مع الدول والشعوب الحرة المحبة للسلام والديمقراطية وإلى الجمعيات السياسية من خلال المراسلات والكتب والنشرات حتى يعرف العالم كله عدالة قضيتنا .

سابعاً : لابد أن ننشئ بعون من الله ، ثم بمساعدة إخواننا الغيورين على وطنهم

ودينهم وبدعم من الدول والشعوب والأفراد والجمعيات صندوقاً قومياً لصالح قضية تركستان الشرقية .

وبعد .. فهذه هي قضية تركستان الشرقية . إنها قضية شعب مسلم وقع بين فكي التنين الصيني الذي راح يلتهمه ببطء وعلى مهل ، ولكنه لم يستطع أن يهضمه حتى الآن ، لأن هذا الشعب المتمسك بقوميته ودينه وتراثه يستعصي على الهضم والذوبان والاندثار . ولكن القضية بعد هذا تبقى قضية مجهولة أو تكاد لدى مئات الملايين من المسلمين على مساحة الأمة كلها ، مع أنها واحدة من أعدل قضايا البشر في القرن العشرين . والمطلوب أن تطفو هذه القضية إلى السطح ، وأن تصبح إحدى قضايا الحرية والعدل والاستقلال وتقرير المصير على مستوى العالم كله . يجب أن تُطرح قضية تركستان الشرقية بقوة على مؤتمر الأقليات الإسلامية القادم إن شاء الله، لتتحول من مشكلة محدودة داخل الصين ووراء سورها الحديدي ، إلى قضية حية في عقل وقلب وضمير كل مسلم على مستوى الأمة كلها .

جريدة « المسلمون»

٩ أبريل ١٩٩٣ م

١٨ شوال ١٤١٣ هـ

إقليم سينكيانج الصيني في حالة غليان

بقلم : يازابيل مالتور

تبلغ مساحة إقليم سينكيانج الواقع في غـرب الصين مليون و ٦٥٠ ألف كيلو متر مربع ، بينما لا يزيد عدد سكانه عغلى ١٣ مليون نسمة أى بمعدل ٨ أفراد فى الكيلو متر المربع الواحد . ويشكل الصينون من قبائل الهانس ٦٠ ٪ من عدد السكان مقابل نسبة ٣٥٪ لشعب أويغور المسلم والباقى قبائل مسلمة من الكازاخ والقيرغيز والمغول والطاجيك والتتر وحوالى ١٪ من الصينيين المسلمين من قبيلة « هويس» .

وعاد اسم سينكيانج إلى الواجهة في أكتوبر الماضى عندما أجرت الصين تجربة نووية أثارت حفيظة الدول الغربية وقطعت اتفاقًا عالميًا لوقف التجارب النووية. وترافق ذلك مع بداية تحرك للأقلية المسلمة الكبيرة ومع حشد للقوات الصينية على الحدود مع كازاخستان .

ومع أن إقليم سينكيانج تأخر في الدخول إلى مسيرة الانفتاح الاقتصادى للصين فإنه سائر حتمًا على الطريق نفسه وهذا سيترك بالتأكيد انعكاسات سياسية تطال مستقبل هذه المنطقة الواسعة الأرجاء .

وكانت الحكومة الصينية قد فرضت نوعًا من الحصار على سينكيانج منذ قيام الحكم الشيوعى في بكين سنة ١٩٤٩ . وظلت حالة العزلة هذه حتى العام الماضى تقريبًا . وما يقلق الصينيين هو أن الإقليم الكبير تموج فيه تحركات استقلالية لها لون إسلامى بالدرجة الأولى .

ولكن هل خطر الإنفصال عن الصين أمر حقيقى أم أن سلطات بكين تضخمه عمداً لأغراض دعائية ؟ المؤكد هو أن أحداثًا خطيرة وقعت في الإقليم وفي ١٧ يوليو الماضى انفجرت قنبلة كبيرة في فندق « الواحة» في مدينة كاشي الواقعة في شرق سينكيانج وأدت إلى مصرع ثلاثة أشخاص . وقيل إن المسلمين من « الهويس» هم الذين دبروا الانفجار .

إن سينكيانج أو تركستان الصينية محاذية للهند وباكستان وأفغانستان ومنغوليا وكازاخستان وقيرغيزقستان وطاجيكستان ، والسكان الأصليون هم من القبائل الطورانية التركية المسلمة السنية من أبناء « أويغور» إلا أنه يوجد معهم تشكيل كبير من الأقوام التى لها امتدادات في الجمهوريات السوفياتية الآسيوية سابقًا فضلاً عن الصينيين من الهانس ، وكان الهانس لا يشكلون سنة ١٩٥٠ سوى ١٠٪ من سكان تركستان الصينية إلا أنهم اليوم

٦٠٪ من مجموع السكان ولاشك في أن هذه الزيادة الهائلة في نسبة الصينيين هى ثمرة جهود صينية استعمارية للسيطرة على أرض ذات قيمة استراتيجية عالية كما أنها مركز للتجارب الذرية الصينية وفي باطنها ثروات معدنية تشتمل على القصدير والزنك والنفط والفحم الحجري والذهب والنحاس والحديد والملح ، فمن أصل ١٥٠ معدنًا تم إحصاءها في أرض الصين يوجد ١٢٠ معدنًا في أرض سينكيانج وهذا يفسر سبب الصراع بين أهل الإقليم والسلطات المركزية فى بكين ، فالإقليم لا يتنعم بالثروات الموجودة فيه إلا بمقدار ضئيل .

الحضارة الإسلامية

رسميًا لا يوجد تمييز بين الأقليات العرقية أو الدينية في الصين وأيام الأعياد الإسلامية مثلاً هى أيام عطلة في سينكيانج للمسلمين ، ولكن السلطات الصينية لم تبد أى مرونة في مجال الهوية الثقافية للسكان حتى عندما يكون التعمير عن الثقافة الإسلامية لا صلة بالسياسة ، فهذا المستشار في التاريخ في جامعة سينكيانج يتعرض للاضطهاد لأنه نشر كتابًا عن الحضارة الإسلامية مع أن هذا الكتاب ينتقل من شخص لآخر من « تحت المعطف» أى سرًا في الإقليم . وفي ١٢ نوفمبر ١٩٩٢ أشارت منظمة العفو الدولية في تقرير لها عن حقوق الإنسان في الصين إلى إنتهاكات خطيرة لهذه الحقوق في تركستان الصينية أو سينكيانج ، واستنادًا إلى شهادات محلية تقدم بها مسلمون فإن مدير إحدى المدارس تم توقيفه سنة ١٩٩٠ لأنه كتب رسالة إلى الأمم المتحدة عن حقوق الإنسان في سينكيانج ومنذ ذلك الوقت لم يعد يظهر له أثر .

ويتعرض المسلمون أيضًا إلى تمييز اقتصادى ولا يتجاوز نشاطهم الإنتاجى المجالات التقليدية من رعى وزراعة وأشغال الحديد والأحذية والخشب والتجارة بالمفرق ومعظم موظفي وعمال المؤسسات الحكومية وخاصة في (البتروكيمياء) هم من الصينيين الهانس الذين لا يختلطون بالأقوام الأخرى .

ولكل قوم مستشفياتهم ومدارسهم ومطاعمهم وتجاراتهم . الهانس أو « الهون» يعيشون في بنايات كبيرة من الأسمنت بينما تعيش الأقوام الأخرى في بيوت قديمة من طابق واحد . وحتى توقيت الساعة ليس موحدًا إذ توجد « ساعة» لسينكيانج وأخرى لبكين . والطريف أن الصينيين في سينكيانج يعتمدون التوقيت الصينى . وكان العمل بتوقيت سينيكيانج قد أعيد سنة ١٩٨٧ وأعيد معه السماح باستخدام العربة التى يجرها أفراد بعد أن

كانت السلطات رأت فيه مظهراً من مظاهر الإقطاعية . وبالمقابل فإن مسلمي الأويغور لا يحبون ركوب الدراجات الهوائية وخاصة عند النساء إذ يرون فيها نقصًا في الاحتشام .

حصر الولادات

إن تاريخ اضطهاد المسلمين في الصين قديم ويرجع إلى سنة ١٨٧٣ في عهد أسرة كينغ ثم إلى سنة ١٩٣٣ فسنة ١٩٤٥ . وبعد إعلان جمهورية الصين الشعبية سنة ١٩٤٩ قرر قادة مسلمون التوجه بالطائرة إلى بكين للبحث مع قادتها في وضع تركستان الصينية . ولكن الطائرة تحطمت أثناء رحلتها وتحوم شكوك حول دور للسلطات في الأمر .

وفي سنة ١٩٦٢ اندلعت ثورة للمسلمين في مدينة يلبنغ بتشجيع من السوفيتات وقررت بكين وضع حد لنفوذ الروس في منطقة الحدود معها فاتخذت إجراءات قمعية ضد المسلمين وفر كثيرون منهم إلى داخل الأراضي السوفياتية .

وليس المسلمون أقلية في الصين فقط بل أصبحوا أقلية في أرضهم سينكيانج أيضًا . وقد شعروا بمزيد من الاستياء عندما قررت السلطات سنة ١٩٨٩ حصر الولادات بمعدل ٣ أولاد في الريف لأسرة الواحدة وولدين فقط للأسرة التى تعيش في المدينة وكل مخالفة تجبر صاحبها على دفع حوالى ٥٠٠ دولار أمريكى وهو مبلغ خيالى بالنسبة للسكان . ويرى الأويغور أن هذا الإجراء مخالف للإسلام وهو تعبير عن الشوفينية القومية الصينية . وكثيراً ما حدث مصادمات بين هؤلاء وبين موظفي تحديد النسل الصينيين .

ومن دواعى الاستياء الإسلامى ظهور خطر تلوث البيئة في سينكيانج جراء أشغال استخراج المعادن وإجراء التجارب الذرية الصينية أيضًا وذلك منذ إجراء أول تجربة في ١٦ أكتوبر ١٩٦٤ في صحراء لوبنور الواقعة شرقى تركستان الصينية . وقد تسببت هذه العوامل في تزايد حالات سرطان الجلد وتشوه الولادات . وفي سنة ١٩٨٥ نشر طلاب معهد البيولوجيا في جامعة سينكيانج نتائج أبحاث قاموا بها فى منطقة لوبنور وكانت نتائج مفزعة مما أدى إلى نزول ألوف الطلاب إلى الشارع للتظاهر احتجاجًا مطالبين بوقف التجارب النووية وتبع ذلك قمع شديد . وعقب ذلك أغلقت السلطات الإقليم على الأجانب وأعلنت حالة الطوارىء فيه وتم توقيف ألوف الأشخاص وأعدم كثيرون دون أن تُعرف اسماؤهم .

إن جنوب سينكيانج يغلى كبرميل بارود لأن الأويغور المسلمين أغلبية هناك ولا تزال

تقاليدهم على حالها . وتتلقى الحركة الإسلامية هناك دعمًا ماديًا ومعنويًا من الدول الإسلامية وخاصة من باكستان وأفغانستان والسعودية . أما في الشمال وخاصة في العاصمة أوروموشي فإن الوضع مختلف ويشكل الصينيون من الهانس ٨٠٪ من السكان إلا أنهم يتعايشون مع باقى الأقوام وتصدر الجرائد باللغات الصينية والأويغورية والمغولية والكازاخية ويقل في العاصمة تمسك المسلمين بتعاليم الدين كما أن نساءهم سافرات الوجوه . ومع ذلك يصعب القول إن سيطرة الهانس مقبولة من المسلمين هناك . وفي سنة ١٩٨٤ تظاهر المسلمون في مدينة « أيلى» احتجاجًا على صدور كتاب مهين بحق الحضارة الإسلامية .

وتحتفظ سينكيانج بروابط تاريخية وثقافية قوية مع جمهوريات آسيا الوسطى « السوفياتية» إلا أن انشغال هذه الجمهوريات بنفسها حاليًا لا يسمح بقيام تضامن فعلى مع تركستان الصينية . لقد انضمت الجمهوريات الآسيوية السوفياتية سابقًا في نوفمبر ١٩٩٢ إلى اتفاقية التعاون الاقتصادى الموقعة سنة ١٩٨٥ والتى تضم تركيا وإيران وباكستان .

وإذا سار هذا التعاون قدمًا فإن إقليم سينكيانج لن يظل على الهامش لمدة طويلة لأنه كان مرتبطًا بالمنطقة الإسلامية تجاريًا وثقافيًا لمدة طويلة وأن المد الإسلامى لا يزال قويًا . ولكن مسلمى سينكيانج يفتقرون إلى قيادة أو حزب وذلك بسبب الرقابة الصينية وكثرة القواعد العسكرية الصينية . ومع أن بكين لا تنوى تقديم أى تنازل في سينكيانج إلا أن الانفتاح الاقتصادى يضطرها لاعطاء مزيد من صلاحيات الحكم الذاتى لهذا الإقليم . إن شبكة هاتف سينكيانج أصبحت مرتبطة بالخطوط الدولية وأقيمت شبكة طرق معبدة وحديدية لربط الإقليم بكازاخستان وأعيد تشغيل الخط الجوى بين العاصمة أوروموشي ومدينة ألما آتا في كازاخستان . هذه التطورات لابد أن تكون لها انعكاسات سياسية . ولكن إذا تمزقت ا لصين ذات يوم إلى كيانات كثيرة فسيكون من السطحية اعتبار أن المسلمين في الصين هم الذين تسببوا بذلك

جريدة الوطن « الكويتية»

١٠ ديسمبر ١٩٩٣ م

٢٧ جمادى الثانية ١٤١٤هـ

(مترجم من « لوموند» الفرنسية)

تركستان وشعبها ضحية
التجارب النووية الصينية
بقلم : مايكل سابا

في الخامس من تشرين الأول (أكتوبر) الماضي تجاهلت الصين احتجاجات الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا وعدد كبير من الدول الآسيوية وأجرت تجربة نووية تحت الأرض . وسجل الانفجار خمس نقاط وثمانية أعشار النقطة على مقياس ريختر للزلازل (وأقصاه سبع نقاط) وكشفته مراكز المراقبة الدولية في أنحاء العالم . وأفادت الأنباء أن التجربة الذرية حدثت في صحراء لوب نور حيث موقع التجارب في إقليم سينكيانج الواقع (في أقصى الغرب والمتناثر السكان) داخل أراضي الصين.

وهذا الإقليم – الذي يُعرف أيضاً باسم سينكيانج – يشترك في حدود طولها حوالي ثلاثة آلاف كيلومتر مع أراضي الاتحاد السوفياتي السابق . وعلى الرغم من أن المنطقة يشغل حجمها ١٧ في المائة من مساحة الصين إلا أنها لا تضم أكثر من واحد في المائة من مجموع السكان . وكانت تقطن هذا الإقليم في الأصل قبائل ناطقة باللغة التركية منذ القرن السادس الميلادي . وأكثر من نصف السكان مسلمون يعيشون في ما يعتبرونه شرق تركستان . وهؤلاء هم الذين يعانون أكثر من غيرهم بسبب التجارب النووية وغيرها من انتهاكات حقوق الإنسان في سينكيانج .

ومع أن أجداد العديد من الأسر العربية كان أصلهم من هذه المنطقة ، إلا أن القليل يعرف اليوم عن مصير أولئك الذين بقوا في ما يعرف هذا العصر بدولة الصين . وأحفاد الأسر التركستانية منتشرون في أنحاء الشرق الأوسط حيث يعرفون في أغلب الأحيان بـ "البخاريين" نسبة إلى بخارى التي كانت عاصمة إقليم في أواسط آسيا أطلق عليه الاسم ذاته . وهو اليوم الدولة المعروفة بأوزبكستان . وكانت مدينتا بخارى وسمرقند في آسيا الوسطى تجمعين مزدهرين للحضارة الإسلامية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر .

وتركستان القديمة بلاد شاسعة حقاً كانت تضم أراضي من الصين وجمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق في آسيا الوسطى وأفغانستان في عصرنا هذا . وكان هذا

الإقليم المترامي ، الذي كان يقطنه الناطقون بالتركية قبل خمسة عشر قرناً ، يقع على "الطريق الذهبي" الذي اتبعه الرحالة الإيطالي ماركو بولو في أسفاره .

وكان شعب تركستان من أوائل الشعوب الناطقة بالتركية التي عملت في الزراعة . وقد شاد هذا الشعب المدن وأقام الدول وسعى إلى المحافظة على نقاء عرقه وثقافته . وكان المسلمون التركستان يعرفون عام ١٧٦٠ بـ"الأويغوريين" الذين فقدوا دولتهم أمام جحافل القوات الصينية التي أطلقت على الإقليم بعد استيلائها عليه اسم سينكيانج - أو "الحدود الجديدة" - . وهرب الكثير من القبائل التركستانية هناك إلى أماكن أخرى من آسيا الوسطى التي أصبحت في ما بعد جزءاً من الإمبراطورية الروسية . وهب الأويغوريون في وجه الاحتلال الصيني مئات المرات وحققوا في بعضها استقلالاً مؤقتاً . وخلال الأربعينيات من القرن الحالي أصبح سينكيانج الإقليم الاستعماري للصين وخضع لسلطة الجنرال الصغير آنذاك شيانغ كاي شيك . لكن الإقليم البعيد عن أواسط الصين ارتبط بعلاقات أوثق وأمتن مع الاتحاد السوفياتي منذ أوائل الثلاثينيات . وفي عام ١٩٤٤م اندلع تمرد جديد في مناطق الإقليم الشمالية المحاذية للاتحاد السوفياتي . ويوم الثاني عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) من ذلك العام أعلن قيام جمهورية تركستان في مدينة كولجي .

وقدّم ستالين المساعدات للحكومة المؤقتة التي كان يعتبرها عنصر توازن في وجه قوة الصين المتعاظمة . وفي الوقت ذاته أرسل ستالين خبراء في علم الأعراق البشرية ليقسموا الأجزاء الجنوبية المضطربة من الاتحاد السوفياتي إلى عدد من الجمهوريات الأصغر مما سمح لموسكو بممارسة سلطة أوسع في تلك البلاد . وبرزت ، نتيجة لذلك ، جمهوريات أوزبكستان وتركمانستان وكازاخستان وقيرغيزيا وطاجيكستان . غير أن مساعي السلطات الشيوعية في كل من بكين وموسكو لم تنجح في إحلال الولاء الوطني محل الهوية القومية لشعوب هذه الجمهوريات في مناطقها . فقد حافظ التركستانيون على هويتهم الثقافية واللغوية والعرقية ، إضافة إلى جذورهم الإسلامية .

وفي خريف عام ١٩٤٩م تواترت أنباء عن مقتل زعيم تركستان الشرقية أخمجير قاسمي ووفد من أبرز قادة الجمهورية في حادث تحطم طائرة خلال رحلة إلى بكين للاشتراك في الجلسة الأولى لـ "المؤتمرات الشعبية السياسية الاستشارية" للصين . ومنذ ذلك الحين تشككت الفئات القومية الأويغورية بوصف السلطات الصينية ذلك

الحادث أنه قضاء وقدر . ويعتقد الكثير من المؤرخين في أيامنا هذه أن قاسمي والوفد المرافق له قُتلوا في مؤامرة تواطأ فيها الشيوعيون الصينيون والسوفيات .

وتعود أهمية إقليم سينكيانج بالنسبة إلى الصين إلى موقعه الجغرافي وموارده الطبيعية بما في ذلك النفط والذهب والبلاتين والنحاس وفلذات الحديد . ويقع أكبر موقع في العالم اليوم لتجارب الصواريخ والقنابل الذرية قرب بحيرة لوب نور في صحراء (تاكل ماكر) . وهناك فجرت الصين أولى قنابلها الذرية في الجو خلال تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٤ . واستمرت الانفجارات منذ ذلك التاريخ وكان آخرها التفجير الذي تم في تشرين الأول الماضي كما أسلفنا . وتفيد تقارير الخبراء بأن حوالي مليوني شخص على طرفي الحدود الصينية - الروسية كانوا ضحايا لهذه التجارب . فقد سقط المئات من الأطفال في تركستان الشرقية ضحية مرض غريب ، من أعراضه آلام في الأذنين وآلام في الرأس وإقياء . ويعتقد الأطباء أن هؤلاء الأطفال تأثروا بالتجارب النووية . كما عانت هذه المنطقة التي يشكل المسلمون غالبية سكانها أيضاً من ترحيل جماعي من سينكيانج على مدى السنوات الخمس والثلاثين الماضية . وقد تعرضت اللغة الأويغورية للقمع ومُنع المسلمون من بناء المساجد .

ونتيجة هذه الانتهاكات الصينية لحقوق الإنسان التي بلغت ذروتها في حادث "ساحة السلام الدائم" ، فرضت الولايات المتحدة حظراً على أرسال الأسلحة إلى الصين ، غير أن بكين للأسف لا تزال تتلقى التكنولوجيا العسكرية الغربية المتطورة من طرف ثالث ، ولإسرائيل دور كبير في ذلك . وكان شاؤول إيزنبرغ أحد رجال الصناعة الإسرائيليين الذي تسري أقاويل عن علاقاته بجهاز الاستخبارات الإسرائيلي (الموساد) ، من حلقات الوصل في هذه العملية . ويُقال إن إيزنبرغ يبيع معدات وتكنولوجيا عسكرية إلى الصين ودول الشرق الأقصى لأكثر من عشر سنوات ، كان معظمها مرتبطاً ببرنامج الصين للتسلح النووي .

وكانت إسرائيل تستغل بذلك الحظر الأمريكي المفروض على الصين في هذا الميدان . ولم تمر أيام على التفجير النووي الصيني في لوب نور في تشرين الأول الماضي حتى زار إسحاق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي بكين . وفي هذا الوقت تقريباً أصدرت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (سي. أي. إي) تقويماً للعلاقات العسكرية في ميدان التسلح بين إسرائيل والصين . ويعتقد جيمس وولزي مدير الوكالة أن إسرائيل

باعت للصين معدات عسكرية تبلغ قيمتها بلايين عدة من الدولارات . وأوردت الشبكة التلفزيونية الأميركية (إن. بي. سي) أن محللاً سابقاً في وزارة الخارجية الأميركية أبلغها أن قيمة المبيعات العسكرية الإسرائيلية إلى الصين بلغت بين ثمانية وعشرة آلاف مليون دولار .

وأبرزت وسائل الإعلام في الآونة الأخيرة الممارسات القمعية الصينية ضد شعب التيبت كدليل آخر على انتهاكات بكين لحقوق الإنسان . والواضح أن شعب شرق تركستان ينبغي أن يُضاف إلى القائمة المتعاظمة من الفئات المضطهدة في الصين ، إذا لم تنتهك حقوق أفراده العرقية والثقافية والدينية فحسب ، بل تعرضوا أيضاً لأضرار جسدية وصحية بسبب برنامج التجارب النووية الذي تمضي الصين في تنفيذه على الرغم من الاحتجاجات الدولية .

جريدة « الحياة »

١٤ ديسمبر ١٩٩٣ م

مخاوف الصين من الصحوة الإسلامية
في تركستان الشرقية
بقلم : مادولكا سيكا وجيمس ميلوورد

الله أكبر الله أكبر نداء يتردد صداه في كل مكان . رجال يغطون رؤوسهم بأغطية رأس تتدلى لحاهم البيضاء الصغيرة المهذبة على وجوههم ذات البشرة السميكة يتجهون جميعاً لتلبية هذا النداء بحضور صلاة الجمعة في المسجد المحلي .

السوق الشعبي ينشط بالحركة التجارية وتنبعث فيه رائحة الكباب الذي يمكن شراؤه حاراً من فوق الفحم مباشرة ، أما تجار السجاد فيقفون شامخين بكل اعتزاز وفخر فوق سجاجيدهم يقدمون الشاي وقطع الخبز في محاولة منهم لتسهيل عملية البيع والشراء وهناك رجال كبار السن يبيعون نسخاً من القرآن الكريم كما يبيعون صوراً للأراضي المقدسة لكل من مكة المكرمة والمدينة المنورة .

صحيح أن هذا المنظر يعتبر شيئاً عادياً في أية دولة إسلامية لكنا هنا في الصين وهي دولة غير إسلامية بالتحديد ذلك أن من بين سكانها الذين يربو عددهم على البليون نسمة نجد ١٦ مليوناً من المسلمين يتركز نصفهم في اكسينج يانج - منطقة الأويغور للحكم الذاتي الواقعة في المنطقة البرية في غرب الصين، والتي تبلغ مساحتها ٢,٥ مرة مثل حجم تكساس وتحوي أغنى الاحتياطات من المعادن الاستراتيجية ، وتعتبرها بكين واحدة من أكبر مشاكل الأقليات فيها بالضبط كما هو الحال بالنسبة للقلق الذي تشعر به موسكو تجاه جمهورياتها الواقعة في آسيا الوسطى .

إن الشعب الأمريكي لا يعرف عن شعب الأويغور شيئاً ولا عن اكسينج يانج ، لكن بعضهم يعرف شيئاً عن المواطن الأويغوري الشاب ووابر كايكسي الذي شارك في ١٩٨٩م في الانتفاضة الديمقراطية للطلاب في بكين والذي واجه لي بينيج على شاشات التليفزيون الوطني الصيني ويعتبر من البارزين بين الطلبة الصينيين المنفيين في الغرب.

لكن موقف الطالب ووابر كايكسي ليس هو السبب في أن اكسينج يانج مهمة للصين وللغرب كذلك إذا ما اطلعنا على المعلومات الخاصة بسكان هذه المنطقة وموقعها ومواردها .

إن هذه المنطقة يمكن أن تكون ذات أهمية عظمى ، فالجيولوجيون الصينيون يقولون أنها تضم أكثر من ٥.٨ بليون برميل من النفط الخام ، وأن حوض التاريم سوف يصبح المركز الوطني الرئيسي في الصين لإنتاج البترول والغاز الطبيعي .

إن اكسين يانج (تركستان) تتمتع أيضاً بوجود احتياطات كبيرة من الذهب والبلاتين وخام الحديد والنحاس طبقاً لمعلومات حكومة الصين كما أن المنطقة تحوي ثلث إجمالي احتياطات الصين من الفحم .

أما صحراء (تاكلما كان) التي تغطي مساحة ١٢٠٠٠٠ ميلاً مربعاً فيقع فيها موقع إجراء تجارب الصواريخ النووية وهو أكبر موقع من هذا القبيل في العالم كله . ولقد استمرت التجارب فوق سطح الأرض في هذا الموقع سبعة عشر عاماً بعد توقف كل من السوفيت والأمريكان عن إجرائها فوق سطح الأرض في ١٩٦٣م ، ولا تزال التجارب تجري تحت الأرض في الموقع المذكور حتى اليوم وكانت آخر تجربة أجريت قد تمت في أغسطس الماضي .

من الناحية الاستراتيجية ربما تعتبر اكسينج يانج (تركستان) أكثر مناطق الحكم الذاتي في الصين حساسية ، فهي تقع على حدود آسيا الوسطى السوفياتية شمالاً ومنغوليا شرقاً وأفغانستان وباكستان غرباً والتيبت جنوباً .

يلاحظ أنه تتواجد قوة عسكرية يبلغ تعداد أفرادها ١٢٠٠٠٠ جندي في منطقة (لانزهو) العسكرية التي تعتبر اكسينج يانج (تركستان) جزءاً منها .

لكن وجود هذه القوات ليس بسببه الخطر الكامن وراء الحدود، إن هناك (العدو الداخلي) أيضاً على حد تعبير أستاذ في جامعة أوكلاند في روشستر ميتشجان متخصص في شؤون الصين الذي يضيف أن حجم القوات الصينية هناك يعكس قلق بكين بشأن السكان في اكسينج يانج التي لا يمكن لها أن تثق فيهم .

من بين الـ ٥٥ أقلية الموجودة في الصين تعيش ٤٠ أقلية في اكسينج يانج ، وأكبر الأقليات التي تعيش هناك هي الأويغور المسلمون وهم يتحدثون لغة أصلها تركي ويمثلون أكثر من ٤٠٪ من سكان اكسينج يانج البالغ عددهم ١٥ مليوناً ، أما بقية المسلمين فمنهم القازاق والقيرغيز والأوزبيك وكلهم من أصل تركي ، وهؤلاء بملامحهم القوقازية وأعينهم ذات اللون البندقي وشعرهم البني تربط بينهم وبين شعب الهان الذي

يزيد تعداده عن بليون نسمة في الصين أوجه شبه طفيفة للغاية ، وأغلب هؤلاء المسلمين يشتركون في صفات كثيرة مع إخوانهم من نفس الأصل العرقي الذين يعيشون في آسيا الوسطى السوفياتية المجاورة بما في ذلك اشتراكهم معهم في اللغة . وهناك قدر كبير من الاتصال بين اكسينج يانج والاتحاد السوفياتي ، وتعتبر الأوقات الحالية في الصين أوقات عدم استقرار خاصة وأن الحكومة قلقة بشأن الأقليات حيث إنها لا تثق فيها ولا تعرف ماذا تنوي هذه الأقليات أن تفعل .

لقد سبق إغلاق المنطقة المحيطة بقشغر تلك الواحة الأسطورية الواقعة على طريق تجارة الحرير القديم سبق إغلاقها رسمياً في وجه الأجانب منذ عام مضى بعد اندلاع ثورة إسلامية في بارن التي تقع على بعد ٢٢ ميلاً جنوب قشغر . إن التفاصيل المتاحة عما حدث قليلة للغاية لكن رفض بكين لإصدار ترخيص ببناء مسجد ترتب عليه اندلاع اضطرابات قُتل فيها ٢٢ شخصاً وفقاً للبيانات الرسمية في حين توضح البيانات غير الرسمية أن عدد القتلى بلغ ٦٠ شخصاً بسبب تدخل قوات الأمن . وقد سُمح في أواخر الصيف للأجانب بأن يدخلوا إلى هذه المنطقة مرة أخرى .

ونتيجة للانتفاضة تلك فإن الحكومة أعلنت في الخريف الماضي عن تطهير الحزب الشيوعي المحلي بالتخلص من بعض الأعضاء فيه ، وكذلك التخلص من بعض المسؤولين الحكوميين في بارن بسبب دورهم في التمرد ، وتم فرض قيود دينية جديدة منها حظر تشغيل المدارس القرآنية ومنع مناداة رجال الدين بشن الحرب المقدسة وحظر التقاء هؤلاء الرجال بالأجانب .

إن المنطقة ليست غريبة على التوترات بين فئات السكان المختلفة التي تسكنها ، إن تاريخ اكسينج يانج مليء بقصص مقاومة حكم الهان (المجموعة العرقية التي تشكل القدر الأعظم من الشعب الصيني ويزيد عددها على بليون نسمة) ، ولقد تم إخماد حركات التمرد الإسلامية الكبرى في القرن التاسع عشر الواحدة تلو الأخرى .

وخلال ذروة المظاهرات المنادية بالديموقراطية والتي اندلعت في ميدان تيانان من وفي ١٩٨٩م قام الآلاف من الأويغور باقتحام مكاتب الحكومة في أورومشي عاصمة اكسينج يانج للاحتجاج ضد نشر كتاب في شانغهاي يورد بالتفصيل الممارسات الجنسية للمسلمين بطريقة تسيء إليهم إساءة شديدة .

ويظهر أنه منذ الثورة الثقافية التي استمرت خلال الفترة ١٩٦٦ - ١٩٧٦م أن بكين كانت تتعامل مع القلاقل الإسلامية بحذر أكثر ، حيث جرى محو المساجد من الوجود كما تم إجبار كبار السن من المسلمين على أن يطوفوا الشوارع في شكل استعراض معلقين حول رقابهم رؤوس الخنازير . لكن العقد الأخير شهد أسلوباً خفياً اتبعته السلطات المركزية حيث سمحت للأقليات بالزواج في سن أصغر وأعطيت حريات دينية محدودة ، وحتى العام الماضي كانت سياسة هذه الأقليات معفاة من سياسة طفل واحد لكل أسرة وهي السياسة التي كانت تستهدف الحد من الزيادة في عدد السكان .

وفي السنوات الأخيرة تم السماح لمئات المسلمين من اكسينج يانج بالحج إلى مكة المكرمة ، ولكن هذا التخفيف من القيود قد زاد من حدة المشاعر القومية وهو الأمر الذي أرادت الحكومة أن تتجنبه .

إن تطبيق سياسة الأسرة المحدودة في عام ١٩٨٩م على الأقليات (طفلين لكل زوجين في المناطق الحضرية وثلاثة في المناطق الريفية) إضافة إلى تكبيل التعليم الديني أد إلى ظهور الاحتكاكات مرة أخرى .

يقول شاب متعلم تعليماً جيداً من أبناء الأويغور : «في داخل الصين ليست هنال مساحة كافية للسكان لكنا هنا في أراضينا لدينا المساحة الكافية . إن السياسة التي تطبقها الحكومة الصينية تحاول تفادي زيادة عدد أبناء الأقليات عن عدد شعب الهان» .

وفي الحقيقة فإننا نجد أن اكسينج يانج تملك المساحة الكافية . وهي لديها كذلك الشعور بأنها منطقة حدودية ، ففي القرون الماضية كانت هذه المنطقة تقع خارج نطاق أراضي الصين ، وكان طريق تجارة الحرير يمر إلى آسيا الوسطى عبر أراضيها . ولقد أدرك حكام الصين الإمبراطورية المزايا الاستراتيجية والاقتصادية للمنطقة وغزوها ثلاث مرات آخرها في القرن الثامن عشر أثناء عهد إمبراطورية شينج حينما كان المانشو يحكمون الصين . لقد كان هؤلاء هم الذين أطلقوا على المنطقة اسم اكسينج يانج والتي تعني بالصينية (الأرض الجديدة المملوكة) .

لكن تشديد قبضة الهان هنا فعلياً لم يحدث إلى أن أنهى الانتصار الشيوعي في عام ١٩٤٩م وجود جمهورية تركستان الشرقية قصيرة العمر، التي أعلنت نفسها دولة مستقلة خلال فترة الفوضى والاضطرابات التي سادت في فترة القيادة العسكرية

للصين . وكما حدث مع مناطق الأقليات الأخرى كالتيبت ومنغوليا الداخلية فقد تم منح اكسينج يانج وضع منطقة الحكم الذاتي في ١٩٥٥م ، لكن هذا الحكم الذاتي ما هو إلا حكم ذاتي بالاسم فقط .

ولما كانت بكين تخشى من القلاقل بعد قضائها على جمهورية تركستان الشرقية؛ فإنها قامت بنقل الملايين من شعب الهان إلى اكسينج يانج خلال الأيام الأولى للحكم الشيوعي في الصين .

في الخمسينيات كان الهان يمثلون أقل من ٦٪ من تعداد السكان هناك واليوم فإن هذه النسبة ارتفعت إلى ٤٠٪ (٨٠٪ منهم في مدينة كاشغر وحدها) ، ويسود المنطقة شعور بعدم الارتياح بسبب الضيوف الذين لا يلقون أي ترحيب هناك (الهان) ، لقد مرت أربعة عقود ، لم تنه العداوة القائمة بين الهان والأويغور .

في الحديقة الوطنية الواقعة في مدينة بينينج على بعد ٣٥ ميلاً من الحدود السوفياتية يوجد النصب التذكاري لشهداء جمهورية تركستان الشرقية . فبعد أن ساعدوا في الإطاحة بالوطنيين بقيادة شيانج كاي شيك، تمت دعوة الأويغور والقازاق والأوزبك الذين قادوا النضال من أجل الاستقلال إلى بكين لمناقشة مستقبل اكسينج يانج من الشيوعيين ، إلا أنهم قُتلوا في حادث سقوط طائرة تحوط به الشكوك اعتبره الكثيرون في اكسينج يانج حادثاً مدبراً بمعرفة ماوتسي تونج .

إن كادرات الحزب الشيوعي هناك إما أنها من شعب الهان أو من أناس من جهات أخرى خلاف اكسينج يانج وهم ينظرون إلى أبناء هذه الأقليات بشك وريبة ، وهذا الموقف من المواقف الشائعة بين كادرات الحزب ، ويقطن العديد من هؤلاء الحزبيين في أوروmشي العاصمة الإقليمية (يبلغ تعداد سكانها ٤٠٠٠٠٠ نسمة) ، للوهلة الأولى تظهر المدينة في مظهر لا يختلف كثيراً عن أي مدينة صينية صغيرة ، شوارع واسعة تتسم بالكآبة وقدر كبير من المباني الستالينية الضخمة ، لكن بعض المباني المبنية بالأسمنت المسلح مبنية على الطراز المعماري الإسلامي ، وتوجد نوافذ إسلامية قوسية الشكل بجزئها العلوي ، كما توجد منارات ، وكل اللافتات مكتوبة بلغة الماندرين والأويغور التي تستخدم حروفاً عربية معدلة .

وقد عادت الحكومة إلى أسلوب الشعارات كما تفعل أيام ذروة الثورة الثقافية . إذ

تجد في كل مكان شعارات صغيرة متقنة ولكنها تلخص مدى أهمية قضية الأقليات .

إن النزعة الانفصالية هي الخطر الرئيسي الذي يهدد الوطن الأم .

إن الأقليات لا يمكن أن تنفصل عن شعب الهان كما أن شعب الهان لا يمكن أن ينفصل عن الأقليات .

إن اللوم هناك يوجه دائماً إلى الأجانب الذين يخشى سكان اكسينج يانج التحدث إليهم لئلا يكونوا مراقبين . كذلك فإن الحكومة ألقت باللوم على الجهات المهيجة الخارجية بسبب المظاهرات التي اندلعت في بكين في ١٩٨٩م . وقد تم منع دخول الصحفيين حتى أواخر الصيف الماضي . والآن فإن الصحفيين يلقون الترحيب فقط حينما يكونوا مصحوبين بمسؤولين حكوميين .

لكنا حينما كسبنا ثقة الناس في اكسينج يانج شعرنا بالنزعة القومية لديهم وبرفضهم لوجود الهان .

ويقول أحد شباب الأويغور : «إن الأويغور والقازاق والقيرغيز هم أصحاب اكسينج يانج الحقيقيين . إن وجودنا كجزء من الصين يجعلنا أقلية وهذا أمر له مردوده المدمر على التنمية . ومن الأفضل لنا أن نكون مستقلين لأننا عندئذ سنكون أغلبية» .

إن نسبة مئوية كبيرة من سكان اكسينج يانج تعيش تحت مستوى الكفاف (٤٢,٥٠ دولار كمعدل دخل للفرد الواحد سنوياً) ولا تزال هناك حاجة إلى أن يصل الازدهار الذي تشهده المناطق الساحلية في الصين إلى المناطق الداخلية .

يقول طالب أويغوري : «إن الصينيين يريدون أن يجعلوا مستوانا متدنياً على الدوام لأنهم يعرفون أنهم إذا ما أعطونا الفرصة ؛ فإننا يمكن أن نقوى ونثير المتاعب كما فعل وواير كايكسي» . وأشار طالب آخر في جامعة اكسينج يانج إلى منع تداول عدد من مجلة تايم نشر قصة وواير كايكسي داخل الحرم الجامعي ، لكن رجلاً في أواسط العمر قال ساخطاً : «إذا كان هؤلاء الآلاف الذين تظاهروا في بكين لم يستطيعوا إحداث أي تغيير فكيف يمكن لنا أن نُحدث هذا التغيير هنا» .

ويقول البروفيسور بنسون من جامعة أوكلاند : «إن رغبة أبناء اكسينج يانج في السيطرة على مقدراتهم مثلما تم في التيبت وفي بعض أجزاء الاتحاد السوڤياتي لن

يضيع هباءً خاصة بالنسبة لجيل الشاب الأصغر سناً ، لكن يبدو أن تحقيق ذلك لن يكون في متناول حركة قومية قوية في وقت قريب .

مجلة "المجتمع" الكويتية

١٩٩٤م (العدد ١٠٦١)

(مترجم من "كريستيان ساينس مونيتور" الأمريكية)

الصين : الإمبراطورية الأخيرة

بقلم : د. مايكل سابا

علمت أخيراً حقاق جديدة عن مجلة الشعب في إقليم يقع فى أسيا الوسطى يُعرف باسم تركستان . يعيش شعب تركستان فى مقاطعة سينكيانج الصينية ، التي تعني (الأرض الجديدة) ، أو (الحدود الجديدة) باللغة الصينية . وجدت أن هناك معلومات ضخمة بخصوص هذا الجزء المهمل فى آسيا ، وشعبه ، غالباً ما يتم تجاهلها .

الأرض الأم للشعوب التركية هي تركستان . الاسم تركستان اسم فارسي الأصل ، ويعنى (أرض الشعوب التركية) ويعود إلى القرن السابع الميلادي . والجزء الغربى لتركستان تعرض لغزو روسيا القيصرية ، وأصبح معروفاً فى النهاية باسم تركستان الغربية . وبعد تكون اتحاد الجمهوريات السوفياتية عام ١٩٢٢م ، قُسمت تركستان الغربية إلى خمس جمهوريات هي أوزبكستان وكازاخستان وقيرغيزستان وتركمانستان وطاجيكستان . أما الجزء الشرقى من تركستان فتم غزوه من جانب حكام مانكو الصينيين في ١٨٧٦م ، وبالتالي سُميت تركستان الشرقية سينكيانج ، أو إقليم أويغور الذى يتمتع بالحكم الذاتي .

وتقع تركستان الشرقية في قلب آسيا ، تحدها من الشمال الغربى تركستان الغربية- وهي الآن جمهوريات كومنولث الدول المستقلة - وجمهورية الشعوب المنغولية فى الشمال الشرقي ، وأفغانستان فى الجنوب الشرقي ، وباكستان والهند والتيبت في الجنوب ، والصين في الشرق . ورغم أن الإقليم يشكل ١٧٪ من الأراضي الصينية ، فإنه يضم ١٪ من سكانها .

وأشهر مناطق تركستان هي لوب نور ، التي يتم فيها اختبار أسلحة الصين النووية، كما أنها أكبر موقع لاختبار الصواريخ النووية ، وأكثر من نصف سكان شرق تركستان مسلمون . وهؤلاء هم الشعب الذي عانى أكثر من غيره من الاختبارات النووية، وغيرها من انتهاكات حقوق الإنسان ، ورغم أن هناك عائلات سعودية كثيرة ينحدر أجدادها من تركستان ، لا يعرف الكثير هنا شيئًا عن مصير أولئك الذين لا يزالون يعيشون في الوقت الحاضر في الصين. ويمكن أن نجد أحفاد عائلات تركستانية في جميع أنحاء

الشرق الأوسط، وغالبًا ما يُشار إليهم باسم (بخاريين) . وكانت بخارى إقليميًا في وسط آسيا حول مدينة بخارى المعروفة فى أوزبكستان الحديثة . وكانت مدينتا بخارى وسمرقند الواقعتان في آسيا الوسطى مأوى الحضارة الإسلامية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر .

وكثيرًا ما طُلِبَ مني كمواطن أمريكي إعطاء انطباعاتى عن سبب عدم إعراب الولايات المتحدة ، التى عهد عنها الاهتمام بانتهاكات حقوق الإنسان - عن مزيد من القلق لانتهاكات حقوق الشعب في تركستان الشرقية، ورأيت أخيرًا وثائق عديدة ومقالات في الصحف عن قمع شعب شرق تركستان . وبعد أن علمت المزيد والمزيد عن انتهاكات حقوق الإنسان لهذا الشعب ، أعربت عن قلقى ، لأنه يجب أن يعلم جزء أكبر من العالم عن الظلم الذى يتعرض له شعب شرق تركستان ، دعوني أسرد لكم بعض أمثلة الانتهاكات التى يتعرض لها شعب تركستان على يد النظام الصيني .

سياسة تحديد النسل : يوجد نظام تحديد نسل ينص على أنه حين تُنجب الأسرة مولودًا واحدًا من وراء خطة تحديد النسل العامة ، فإنها تتعرض لعقوبة قاسية . تشتمل هذه العقوبة على دفع غرامة تصل إلى دخل عام كامل . ففى عام ١٩٩٢ مثلاً ، وفي إحدى مناطق شرق تركستان ، تُعرف باسم خوتن ، أجبر ٢٨ ألف رجل وامرأة على إجراء عمليات تعقيم ، وأجريت عمليات إجهاض لأكثر من سبعة آلاف امرأة ، كانت فترة الحمل لكل واحدة منهن تتراوح بين ثلاثة وأربعة أشهر ، وتُطبق هذه السياسات كوسيلة للإبادة العرقية .

قمع الأنشطة التجارية : يكثف النظام الصيني استغلاله الاقتصادي لشعب تركستان بفرض أنواع متعددة من الضرائب والرسوم على الأرض والمياه والزراعة والغابات والماشية وأماكن الإقامة . ورغم أن شرق تركستان مشهور بموارده الطبيعية الوفيرة ، فإن مستوى معيشة تركستان من أفقر المستويات ، إذا ما قورن بأجزاء أخرى من الصين . ويستغل الصينيون الموارد الطبيعية التى تشتمل على النفط والذهب والبلاتونيوم والنحاس وخام الحديد ، ويشحنوها من شرق تركستان مع كسب السكان المحليين القليل من هذه الموارد .

سياسة السخرة : ابتداء من عام ١٩٩٠ وما بعده ، طبق النظام الشيوعي الصيني نظام (العمل التطوعى الشاق) فى جزء كبير من شرق تركستان ، وأجبر ملايين

التركستانيين على الدخول فى هذا النظام العملي ، الذى يموت كل عام عدة مئات بسببه. وفى مشاريع ، مثل إنشاء محطات الطاقة الكهرومائية ، مات العديد من التركستانيين بسبب تعرضهم للتجمّد ، والعوامل المناخية القاسية الأخرى . ورفض كثير من الأشخاص العمل ، لكنهم أعيدوا إلى معسكرات العمل وتم سجنهم .

التعذيب وقمع الأنشطة الدينية : اعتنق شعب تركستان الإسلام فى عام ٩٢٠ ميلادى ، لكن منذ استيلاء النظام الشيوعي الصيني على السلطة عام ١٩٤٩م ، حتى نهاية أوائل الثمانينيات، مُنعت كافة الأنشطة الدينية . ويواجه المسلمون عقوبة السجن، أو الإعدام إذا صلوا أو صاموا . ومن خلال الضغط المحلى والدولى ، خفف النظام الصيني سياسته الرسمية الخاصة بالأديان فى أوائل الثمانينيات ، لكن القمع الديني لا يزال سائداً ، ولا يزال كثير من الناس يُعذبون أو يُسجنون بسبب ممارستهم الشعائر الدينية في شرق تركستان .

ومن الواضح أنه لو كانت الولايات المتحدة مخلصة في بياناتها حول انتهاكات حقوق الإنسان في الصين ، وأنها تحث الصينيين على الاعتراف بالتقاليد الثقافية والدينية للتيبت ، فإنها ستقف أيضًا وراء شعب شرق تركستان للأسباب نفسها . يجب أن تُعرض قضية هذا الشعب بقوة ووضح على شعب الولايات المتحدة وحكومتها .

جريدة « الاقتصادية»

١٩ سبتمبر ١٩٩٤ م

قصة كفاح تركستان الشرقية ضد الشيوعية

بقلم : دولقون عيسى

إن الشيوعيين الصينيين قاموا باحتلال تركستان الشرقية في الثالث عشر من أكتوبر عام ١٩٤٩م ، وعندما وصلوا إلى حدود تركستان كان الوضع السياسي مضطرباً جداً ، وحدثت حركات مقاومة للاحتلال الصيني ، وخلال شهر الاحتلال تجمع حوالي ثلاثمائة مجاهد في قضية آراتورك وما حولها بولاية قومول ،وأرسلوا مندوبين عنهم إلى المناطق والقرى المجاورة ؛ ليبلغوهم بأنهم بدأوا الثورة المسلحة ضد المحتلين الصينيين ويدعونهم إلى التضامن معهم ، وفي الثلاثين من يناير عام ١٩٥٠م اجتمع في حي بولوك باشي باراتورك أكثر من خمسمائة مجاهد بزعامة مؤسسي الجهاد الذين كانوا نواة للجيش الشعبي لمقاومة الشيوعية .

ومنذ ذلك اليوم وخلال عامين كاملين حدثت غارات مسلحة على القواعد العسكرية الصينية وكانت لها نتائج مهمة ، وتجمع في المناطق الجبلية من أورومشي أكثر من ألفي مجاهد بقيادة قاليبك ، ووضعوا نصب أعينهم طرد الصينيين الشيوعيين من تلك المناطق وتأسيس دولة مستقلة ، واستمرت الحروب بين الطرفين أكثر من عام .

وفي الشهر الثامن من عام ١٩٤٩ م انسحب المجاهدون إلى مدينة بش بالاليق بجوار التاي ، وهناك انقسموا إلى قسمين قسم توجه إلى أورومشي وما حولها وقسم آخر توجه إلى قومول وباريقول . وفي شهر أبريل من عام ١٩٥٠م التقى المجاهدون بقيادة عثمان باطور بمجاهدي قومول وبدأت حركة مسلحة قوامها عشرون ألف مجاهد، واستمرت المعارك بين المجاهدين وبين قوات الاحتلال أكثر من عامين، قُتل فيها أعداد كبيرة من جيش الاحتلال ، وقضى كثير من الشباب التركستانيين نحبه دفاعاً عن تراب الوطن .

لقاء المجاهدين

وفي عام ١٩٥١م اجتمع في غولجا (ايلي) مجلس المثقفين، وطالبوا بالاستقلال السياسي منذرين حكومة الاحتلال بقرب نشوب الثورة المسلحة العارمة في جميع أنحاء البلاد ، لكن حكومة الاحتلال اعتقلت أعضاء المجلس واحداً بعد آخر وأعدمتهم . وفي عام ١٩٥٣م حدثت ثورة شاملة في جميع القرى التركستانية الشرقية، لكن الجلاد الصيني (وانغ جين) أخمد هذه الثورة بشكل دموي فظيع ، كما أعتقل مئات الألوف من الوطنيين والمثقفين والعلماء ودمر كثيراً من القرى تدميراً كاملاً ، وحول البلاد إلى حمامات دم ، وأرادت حكومة بكين تهدئة الوضع ظاهرياً فاستدعت وانغ جين، لكنها من جهة أخرى اعتقلت كثيراً من زعماء وأعضاء الحزب الإسلامي التركستاني وقتلتهم .

حزب النجاة

وفي عام ١٩٥٤م دعا كل من الشيخ عبدالحميد وفتح الدين محسوم لمؤتمر حزب النجاة ويعقد في منزل نياز بك حاجي بمدينة أقجاي ، وتقرر في هذا المؤتمر الدخول في ثورة مسلحة اعتباراً من يوم ١٥ نوفمبر ١٩٥٥م ، وبدأت الثورة المسلحة في اليوم المحدد واستولى المجاهدون على مسجد أتجوي ، وأطلقوا سراح المعتقلين، وكانت مدينة خوتن هي الرحلة الثانية لكن بعض الخونة أفشلوا خطة الهجوم على (خوتن) ؛ وسالت دماء زكية في هذه الحركة كما أعدم زعماؤها .

ولم تدم هذه الحركة طويلاً لكن نتائجها كانت كبيرة ومهمة إذ عبرت عن الإرادة الحقيقية للشعب التركستاني ، وقوت الرغبة والتصميم في بلوغ أهدافها في الحرية والاستقلال ، وبعثت الأمل في النفوس وبينت للشعب أن طريق النصر يمر عبر الثورة المسلحة تدعمها الحركات الفكرية ووسائل الإعلام والنشر ، فصدر عقب ذلك عدد من الصحف والمجلات الوطنية مثل (نداء الشباب) و(دستور تركستان المستقلة) و(أرض للأمم المتحدة) وغيرها .

وفي شهر مارس من عام ١٩٥٦م بدأت حركة مسلحة في مدينة قراقاش بزعامة الشيخ عبدالباقي والشيخ عبدالصمد . وحقق أكثر من ٨٠٠ مجاهد هجوماً على (وحدات الأرض المسلحة) الصينية قتلوا فيها المئات من جنود الاحتلال الصيني ، واستشهد من المجاهدين مائتان .

وفي شهر مايو عام ١٩٥٦ اجتمع في مدينة لوب أكثر من ١٣٠٠ مجاهد بقيادة عبدالقادر وأعلنوا الثورة المسلحة . وفي عام ١٩٥٧م اعتقل المجاهدون التابعون لوحدات الفرسان في الجيش الوطني بأولو نباي .

سراح السجناء

وفي الشهر التاسع من عام ١٩٥٨ م حدثت ثورة مسلحة في مناطق كوكتوقاي وجنكيل وبيش بالاليق بزعامة جمشيد قان ودلي قان . وفي الشهر العاشر من العام نفسه قام أكثر من سبعمائة عنصر من الجيش الوطني بقيادة علي قربان بعملية مسلحة في منطقة طائري داغ ، فدخلوا دار الحكومة واستولوا على كميات مهمة من الذخائر الحربية كما قطعوا خطوط الاتصالات ، وأطلقوا سراح السجناء ، وألقى في قلوب الصينيين الرعب ، فغادر كثير من المهاجرين الصينيين أراضي تركستان الشرقية عائدين إلى بلادهم الأصلية . وفي عام ١٩٦٢م وقعت حركة مسلحة بزعامة حزب الشعب لكن جيش الاحتلال أخمد هذه الحركة بوحشية بالغة . واعتقلت أعداد كبيرة من الناس . وكان حزب الشعب التركستاني الشرقي من أدق المنظمات السياسية تنظيماً ووضوحاً في الهدف والبرنامج ، وأكثرها تفاهماً مع منظمات المثقفين والطبقة الوسطى والعليا من الموظفين والعمال دعامة الحزب وعموده الفقري .

وضمن برنامجه الثوري المنظم وسع حزب الشعب نطاق حركته بشكل قوي وأكمل الاستعدادات الأولية للثورة ، وعمل على تحقيق الشروط اللازمة لها وحدد يوم السادس والعشرين من يونيو تاريخ بداية الكفاح للثورة الكبرى . وأجرى اتصالاته المكثفة مع القوى المؤثرة في الداخل والخارج للتحرك المشترك وتطبيق خطط الهجوم العام .

لكن نشاط بعض الخونة في الداخل والخارج أدى إلى أن يقوم الشيوعيون الصينيون باعتقال زعماء الحزب وأعضاءه قبل موعد التحرك بثلاثة أيام ، حيث تم اعتقال أكثر من ٣٢ ألفاً من المجاهدين وفيهم زعيم المجاهدين أمينوف والمثقفون، وجمعهم في معسكرات الاعتقال التي أعدتها رئاسة الأركان الصينية . فاضطر المجاهدون في كاشغر بقيادة أخونوب ومجيد إلى التحرك قبل الموعد بثلاثة أيام ، ووقعت معارك قاسية مع الجيش الصيني الأحمر أبلى فيها المسلمون التركستانيون بلاءً حسنا.

وأوقعوا أكبر الخسائر في صفوف الشيوعيين ، وقاتل المجاهدون حتى استشهد آخر رجل منهم في ميدان الجهاد والشرف . وكان القائدان أخونوب ومجيد من بين الشهداء. وبدأت حملة الاعتقالات العشوائية والبحث عن المجاهدين الآخرين ، ومنحت حكومة الاحتلال السلطات المحلية في المدن والقرى صلاحية إعدام من تراه من المواطنين التركستانيين بعد محاكمته محاكمة ميدانية .

وفي يوم التاسع والعشرين من مايو عام ١٩٧٠م (وهو اليوم الذي يصادف مجزرة إيلي وكوجك) تمت محاكمة أيمنوف وثلاثين من إخوانه المجاهدين وحُكم عليهم بالموت ونُفذ الحكم علناً في أكبر ميادين أورومشي . كما قُتل في السجون كثير من المثقفين المعتقلين وبقى الألوف من الشباب التركستانيين قيد المعتقلات عشرات السنين . كانت الطريقة التي تم بها إخماد هذه الحركة من قبيل "قتل القرد حماية للنمر" في المثل الصيني الشهير ، لكن هذه الحركة أثبتت من جانب آخر وضوح الرؤية لدى الشعب التركستاني وشدة التكاتف والتضامن بين أبنائه . كما شد من عزيمة الإنسان التركستاني وقوى من إيمانه بعدالة قضيته ، وأقلقت (الحكومة المركزية) في بكين .

وفي الثمانينيات دخل كفاح الشعب التركستاني الشرقي من أجل الاستقلال مرحلة جديدة ، فصارت التنظيمات أكثر سرية ودقة ، وانتشر الوعي الوطني وإيقاظ الشعور القومي في كل الأصقاع .

وفي شتاء عام ١٩٨٠م تعرض الكاتب الوطني المعروف عبدالحميد مسعود لعملية قتل متعمد ، فحمل آلاف العمال جثته الملطخة بالدماء وطافوا بها في شوارع أورومشي وهتفوا (العين بالعين والسن بالسن) ، واشترك في هذه المسيرة الطلبة والمواطنون في

المدينة حتى وصلوا إلى دار الحكومة المحلية ، وتحاشى الصينيون التعرض للمسيرة مع أنها كانت مخالفة للأحكام العرفية ، وكان من نتائجها أن اضطر الصينيون إلى إجراء تعديلات في بعض مواد الدستور الصيني . وفي عام ١٩٨١م قام أكثر من مائتي شاب تركستاني بفتح فرع للحزب الإسلامي التركستاني ، وقام هؤلاء الشباب فيما بعد بهجوم على مديرية الأمن في المدينة واستولوا على كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر ، لكن يد الخيانة طالتهم مرة أخرى فقُتل أكثرهم في عمليات قام بها الجيش الصيني في المنطقة . وفي الأعوام التي تلت هذا التاريخ نشأت أحزاب وطنية أخرى مثل حزب طائري داغ وحزب شرارة الشباب ، وأحزاب أخرى نحجم عن البوح بها لأنها غير معروفة من قبل المحتلين حتى الآن .

واستأنف هذا الحزب والمنظمات الوطنية الأخرى الكفاح لتحقيق الأهداف المحددة ضمن نطاق دولة تركستان الحرة المستقلة . وتجذرت فكرة الحرية والاستقلال في أعماق هذا الشعب ، كما انتشر بين الشباب بصورة خاصة تيار الديموقراطية الحديثة . وأثبت هذا التيار نفسه في أوساط الشباب الجامعي بصورة خاصة ، ففي عام ١٩٨٥ نظم هذا التيار المظاهرات الطلابية التي تعتبر صفحة جديدة ومتطورة في الحركة الطلابية الرافدة للحركة الوطنية بصورة عامة .

وأكد أن شعب تركستان الشرقية قام خلال حكم الاحتلال الصيني منذ ٤٥ عاماً بمئات من الثورات المسلحة إلى جانب النشاط السياسي في كل المجالات وقدم مئات الألوف من الشهداء ، وكتب صفحات التاريخ بدماء شهدائه ، حيث بلغ عدد من استشهد في الصراع ضد المحتلين الصينيين أكثر من نصف مليون شهيد .

بقاء الاحتلال

يرجع بقاء تركستان تحت الاحتلال إلى عوامل كثيرة ومعقدة داخلياً وخارجياً ، وتتضمن :

- لم تكن لحركات التحرير هذه زعامة أو منظمة لها ماض تاريخي تخطط للتحرير بشكل صحيح ، وتجمع جميع قطاعات الشعب حولها وتحظى بدعم سياسي داخلي وخارجي .

قصور الإعلام الخارجي لهذه الحركات حيث لم تعلم بها المنظمات والجمعيات والمؤسسات التركستانية الشرقية ولم تقم بواجبها في إبلاغ دول وشعوب العالم بالقضية الوطنية .

- ليس لدى الصينيين المحتلين ثقافة وأفكار ديموقراطية كما عهدناها في المستعمرين الآخرين كالإنجليز والفرنسيين . لذلك فإن المحتلين الصينيين لم يكتفوا بإخماد حركات التحرر التي قام بها الشعب التركستاني ، بل عمدوا إلى التعتيم الكامل على أخبار هذه الحركات . كي تبقى الأحداث في أضيق الحدود . لقد دفع شعبنا الثمن غالياً ، وسيبقى على درب الجهاد حتى يتحقق النصر المؤزر .

جريدة « المدينة »

١٥ يونيو ١٩٩٥ م

١٧ محرم ١٤١٦ هـ

الصين تعاود اضطهاد المسلمين

بقلم : توختي آخون اركين

تقوم نظرة الشيوعيين الصينيين إلى الدين على مقولة كبيرهم ماوزيدونغ الذي يزعم «بأن الفلاحين الذين يصنعون آلهتهم هم الذين يزيلونها بأيديهم عندما يحين الوقت ولا يحتاج أن يتولى غيرهم ذلك . ولكن سياسة الحزب الشيوعي الدعائية هي أن توجه السهام وتدعو الفلاحين لإطلاقها» ويعود ماوزيدونغ يشرح سياسته التي أشار إليها «لا نستطيع أن نجبر الناس على ترك معتقداتهم ونجبر غيرهم على الاعتقاد بالماركسية، ولكن الأسلوب الوحيد لحل قضايا الاعتقاد والخلاف هو استعمال الديموقراطية والنقاش والنقد والإقناع والتعليم .. ولكن لن يكون عن طريق الإكراه والإجبار» ومع ذلك يؤكد على رفض مبادئ الدين ، إذ يقول : قد يشكل الشيوعيون جبهات سياسية مع أصحاب المثل وأتباع الأديان لمقاومة الإمبريالية والإقطاعية ، ولكن لن نوافق على مثالياتهم ومبادئهم الدينية ، لأن الماركسية الصينية هي دين الشعب الصيني

ويشرح المنظر الشيوعي ياهان جانغ ، عن الأساليب التي ينبغي استخدامها لإنفاذ نظريات ماو الإلحادية ، فيقول في مقال طويل نشرته جريدة الشعب اليومية الرسمية : «النضال ضد الدين الصحيح هو نضال عقائدي ، وينبغي فقط استعمال الأسلحة الأيدلوجية النقية ، ومثل هذه الأسلحة تكون في التعليم الإلحادي الإيجابي، والتركيز على تدريس التعاليم الماركسية والنشاط الدعائي، لرفع مستوى الوعي الجماهيري ولا يعني هذا استخدام وسائل الإكراه ، بل من الضروري عدم إيذاء مشاعر المؤمنين .

وتتلخص هذه النظريات التي صاغها الشيوعيون الصينيون بمنح أصحاب المعتقدات الدينية حرية ممارسة شعائرهم الدينية العادية ، ومنعهم من ترويج دعايتهم الدينية مع تأمين حرية الملحدين فيما يذهبون إليه من نشر دعاياتهم الإلحادية وتعليمهم المادي، لأنهم يزعمون أن ذلك يؤدي إلى تلاشي الدين بالتدريج . وإذا كانت السلطات الشيوعية قد شنت حرباً ضارية ضد الدين إبان الثورة الثقافية بتهمة الرجعية ومعاداة الثورة العمالية ، ولكنها مع ما تسميه بالانفتاح السياسي والاقتصادي الحديث عادت تؤكد موقفها السابق ، حيث نص الدستور الذي أقره مجلس الشعب الصيني في دورته الخامسة المنعقدة في الرابع من ديسمبر ١٩٨٢م على ما يلي :

المادة ٣٦ : مواطنو جمهورية الصين الشعبية يتمتعون بحرية الاعتقاد الديني ، ولا يحق لأية هيئة حكومية أو مؤسسة شعبية أو لأي فرد أن يضغط على المواطنين للاعتقاد بدين أو الإنكار به ، والحكومة تحمي النشاطات الدينية العادية ، ولا يجوز لأي أحد كان أن يستخدم الدين في نشاطات تؤدي إلى إزعاج النظام العام أو الإضرار بصحة المواطنين أو التدخل في النشاط التعليمي والهيئات الدينية لا تخضع مطلقاً لأي سيطرة أو تدخل أجنبي .

المادة ٢٤ : تعمل الدولة على بناء الثقافة الروحية الاشتراكية من خلال نشر التعليم في المثاليات والأخلاق والتعليم العام والأدب والنظام ، كما تعلم الناس الوطنية والجماعية والعمالية والشيوعية والجدلية التاريخية والمادية وتحارب الرأسمالية والإقطاعية وغيرهما من الأفكار الضارة .

ومع أن هذه المادة الأخيرة تشير إلى إمكانية ترويج الثقافة الدينية بما تعكسه كلمة الروحية من معنى وهي كلمة شاذة في القاموس الماركسي، ولكن صفة الاشتراكية التي لحقتها تعني تسخير الأفكار الدينية لبناء الاشتراكية، ولا يعني البتة نشر الإيمان الاعتقادي؛ لأن إمكانية ذلك تتلاشى مع المادة ١٩ التي تنص على أن الدولة تطور التعليم الاشتراكي لرفع المستوى العلمي والثقافي لكل الأمة. وتأتي الفقرة الموجودة في المادة ٣٦ التي تقول : بعدم التدخل في نشاط التعليم الحكومي ، بالتقييد لحرية النشاط الديني .

وتوضح ذلك الدكتورة فرانسواز أوبان مديرة أبحاث مركز الدراسات الصينية في المدرسة العليا للعلوم الاجتماعية في باريس في مقالها "كيف يعاش الإسلام في الصين" حيث تقول :

يعود تاريخ النصوص القانونية الأساسية التي تنظم الممارسة الدينية – أو بالأحرى التي تنظم نقصان الحرية الدينية كما يقول المؤمنون – إلى عام ١٩٨٢م (المادة ٣٦ من الدستور) ، والوثيقة الصادرة عن اللجنة المركزية المعروفة بالوثيقة رقم ١٩) وتؤكد هذه النصوص تقريباً المبادئ المطروحة للسنوات الأولى للنظام : للإلحاد نفس الحقوق والوظائف الممنوحة لكل دين ، دون أن يسمح بممارسته داخل أماكن العبادة الرسمية ، وتعود إدارة الأمور الخاصة بكل دين إلى جمعية وطنية تلزم القائمين بمراسيم العبادة الانتماء إليها ، لقاء الاعتراف بهم رسمياً والحصول على أجر محدد ، كما أن التربية الدينية ممنوعة للقاصرين أي لمن لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره ، يضاف إلى ذلك أن النشاطات الدينية محظورة خارج أماكن العبادة المصرح بها ، مما

يعني بوضوح أن الدعاية المضادة للدين يمكن ممارستها في كل مكان باستثناء المعابد والأديرة والجوامع والكنائس ، في حين أن التبشير الديني ممكن فقط للراشدين وداخل عدد من الأسوار والأبنية المحددة .

ويقول تانغ شي مين : إن معاداة الدين هو أساس الفلسفة الماركسية التي يبني عليها حزب البرولتياريا نظامه في تسيير الحكومة الاشتراكية، وما يطبقه الحزب الشيوعي الصيني من نظرية ماركسية وحرية دينية معاً يعني حرية ممارسة شعائر الدين مع تكثيف الدعاية والتعليم الماركسي، ثم يفصل في مقاله الطويل مفهوم الحرية الدينية على أنها تصرف شخصي ضمن إطار قانون وأحكام الحزب الشيوعي، التي تحدده طبقاً لظروفه وسياسته ، ولا يمكن أن يخرج بأي حال من الأحوال عن ذلك . ويتطلب في الوقت ذاته ترويج الدعاية الإلحادية ودعوة الناس إلى ترك ممارسة شعائر الدين وفرض الاحترام على المعتقدين بالدين وغيرهم من الملحدين . كما ينبغي تكثيف التعليم الماركسي وترويج نظريات ماركس ولينين وماوزيدونغ بالأساليب الإعلامية الحديثة على نطاق شامل وأعم .

وعلى ضوء هذا الاتجاه الماوي الشيوعي فقد قرر الحزب الشيوعي الصيني منع الأطفال من التعليم الديني قبل أن يبلغ الثامنة عشر عاماً من العمر، وأن يكون التعليم الديني بعد ذلك أيضاً في معاهد تشرف عليها السلطات الشيوعية .

إذ إن الهدف الرئيسي منها هو تأهيل الموظفين الذين يستطيعون تطبيق سياسة تسخير الدين لأهداف الحزب الشيوعي ، وهذا ما شرحه بالتفصيل كتاب التوجيه في تفعيل الاشتراكية بالدين - الذي وضعه قسم الجبهة المتحدة في الحزب الشيوعي الصيني لولاية كاشغر بالاتفاق مع الإدارة الدينية للأقليات في محافظة كاشغر ، حيث ضم الكتاب دروساً ومحاضرات ألقيت في ندوة ضمت ٤٨ شخصاً من مسؤولي الأديان و٢٤ شخصاً من رؤساء الإدارات الدينية الحكومية و٢٠ شخصاً من مسؤولي المكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني و٤٣ شخصاً من مدرسي الأديان ، وهذه الندوة التي ضمت ١٣٥ شخصاً وعقدت في كاشغر فيما بين ٥ - ٩ سبتمبر ١٩٩٤م ووُضعت الخطوط الرئيسية لإنفاذ خطة الحزب الشيوعي الصيني في محاربة الدين وبالأخص الدين الإسلامي وتركزت على ما يلي :

- يمنع حلقات حفظ القرآن الكريم وتعليم أحكام الدين في المساجد والمنازل وأن يتم ذلك فقط في المعاهد الإسلامية التي تفتح في المدن الرئيسية تحت إشراف السلطات الرسمية .

- أن يكون التعليم الإسلامي قاصراً فقط على من بلغ الثامنة عشرة من العمر .

- لا يتم ترميم المساجد وإصلاحها أو بناء الجديد منها إلا بإذن رسمي من السلطات الرسمية .

- يمنع تدخل علماء الإسلام في الأحوال الشخصية الإسلامية من عقود الأنكحة والطلاق والميراث وتحديد النسل والتعليم وجمع الزكاة وصرفها .

- تسخير المفاهيم الإسلامية في ترويج النظام الشيوعي وتأييد ممارسات السلطات الصينية لأعمالها ، ويمنع الإشارة إلى أي مفهوم ديني ينتقد الفكر الماركسي الماوي الشيوعي الصيني .

- رجال الحزب الشيوعي الصيني لا يمارسون شعائر الدين ؛ لأنهم العاملون بنظامه ومنفذو تعليماته ولا يحق لأي كائن أن يحتقرهم ويسيء إليهم بسبب مواقفهم من الدين.

- يمنع اتصال الهيئات الدينية ورجالها بالمؤسسات الإسلامية وشخصياتها في خارج الصين ، كما يمنع تلقي المساعدات منهم بدون تصريح حكومي ، ويمنع السماح لأي عالم أو إمام أجنبي أن يؤم المسلمين أو أن يخطب فيهم في المساجد .

- يحظر لغير الإمام الرسمي الإمامة والخطابة، كما تمنع الصلاة والوعظ في غير المساجد التي تفتح بإذن السلطات الرسمية وتحت إشرافها .

- وقد أكدت القرارات الحكومية تطبيق هذه التعليمات الشيوعية التي تهدف إلى محاربة الإسلام حيث نشرت جريدة شينجانغ اليومية الرسمية في ٦ أغسطس ١٩٩٤م قانون (مراقبة النشاط الديني) الذي يتكون من ٢٢ مادة ، وصادق عليه مؤتمر شينجانغ الشعبي في ١٦ يوليه ١٩٩٤م ، ووضع موضع التنفيذ من أول أكتوبر ١٩٩٤م وجاء فيه:

- لا تخضع المؤسسات الدينية والنشاط الديني لأي قوى أجنبية .

- جميع رجال الدين من العلماء والأئمة يخضعون لزعامة الحزب الشيوعي الصيني ويعملون بالنظام الاشتراكي ويدافعون عن وحدة الأمة والشعب .

- يخضع الإمام والعالم لشروط الحكومة وموافقتها .

- يجب تسجيل جميع الأماكن الدينية وموافقة الجهات الرسمية حتمية لإنشاء المسجد أو ترميمه .

- تعمل الهيئات الدينية على تنفيذ سياسة الحزب الشيوعي تجاه الدين .

- يمكن أن تفتح الهيئة الدينية مدرسة دينية بشرط موافقة مجلس الوزراء ، وبدون موافقته لا يمكن لأي هيئة أو شخصية دينية أن تفتح مدرسة دينية أو فصلاً دينياً .

- يمكن أن تقيم هيئة أو شخصية دينية علاقة صداقة على أساس المساواة مع هيئة أو شخصية دينية أجنبية بشرط موافقة مجلس الوزراء على ذلك .

- لا يمكن طبع ونسخ وتوزيع الكتب أو المنشورات أو التسجيلات الدينية بدون موافقة السلطات الرسمية .

- يعاقب بشدة جميع الهيئات والشخصيات الدينية التي تعترض تنفيذ هذا القانون.

ولم تكن هذه المواد هي النهاية في محاربة الدين ، بل اتخذت السلطات الصينية حادثة مسجد بيت الله في خوتن لإصدار القرارات التالية في العشرين من يولية عام ١٩٩٥م وكانت كالآتي :

١ - يمنع الاستفادة من الحرية الدينية لمعارضة النظام الشيوعي وسياسة الحزب الشيوعي الصيني أو ترويج الدعاية ضدهما.

٢ - يمنــع تدخل الأئمة وعلماء الدين في نظام التعليم الحكومي وصرف الشباب عن ذلك .

٣ - يمنع اشتغال الشباب بالشعائر الدينية .

٤ - يمنع استخدام مكبرات الصوت في المساجد كما يمنع استخدام التسجيلات الدينية في أماكن الاجتماعات العامة .

٥ - يمنع النساء من دخول المساجد .

٦ - يمنع أعضاء الحزب الشيوعي الصيني من ممارسة شعائر الدين من صلاة وصيام وعبادة ويعاقب من يفعل ذلك .

وفي نفس يوم ٢٠ يولية ١٩٩٥م نشرت جريدة الصين اليومية التي تصدر باللغة الإنجليزية في بكين عاصمة الصين الشعبية كلمة بعنوان : «الصين تمنع السيطرة الأجنبية على الدين» كتبها شي ليانغ جون ، على لسان زانغ شنغ زوه ، رئيس مكتب شؤون الأديان التابع لمجلس الوزراء الصيني من مقابلة صحفية نشرت في العدد الأول من (مجلة الأديان) للدورية التي صدرت في بكين في ١٩٩٥/٧/١٩م أن حكومة الصين

والهيئات الدينية الصينية لن تتدخل في الشؤون الدينية في الدول الأخرى ، كما أنها في الوقت نفسه لن تسمح بتدخل القوى الأجنبية في الشؤون الدينية والجماعات الدينية الصينية، وأن اتصال الهيئات والشخصيات وتعاونها مع مثيلاتها وراء البحار سيكون على أسس الود والمساواة . وطبقاً لنظام حكومي صدر في الأول من يناير ١٩٩٤م يمنع الأجانب من تأسيس مدارس دينية أو مكاتب دينية أو أماكن للأنشطة الدينية في الأراضي الصينية . ثم أشار إلى معاقبة عدد من المعتقدين بالدين بسبب اشتراكهم في أعمال تضر المصالح الوطنية وسلامة الناس وأملاكهم .

والواقع أن جميع الأحداث التي تورط فيها المسلمون في تركستان الشرقية أو في الصين نفسها لم يكن المسلمون من أسبابها ، بل الجانب المدافع للإساءة ، ومن ثم تحمل نتائجها ، حيث كان عليهم قبول الإساءة أو رفضها أو قبول العقوبة . فمثلاً عندما نشرت جميعة شنغهاي لنشر الثقافة كتاب العادات الجنسية ، لمحرره كي لي وسانغ باللغة الصينية في شنغهاي في أواخر شتاء عام ١٩٨٩م ، قام المسلمون بمظاهرات حاشدة للمطالبة بمصادرة الكتاب المذكور الذي يسيء إلى تعاليم الإسلام ومعاقبة كل من المحررين ودار النشر وذلك في بكين ولانجو وينجوان وشينيغ وأورومشي في شهر مايو وأبريل عام ١٩٨٩م ، ومع أن السلطات الشيوعية أعلنت اتخاذ إجراءات لإنصاف المسلمين ، ولكنها كانت إجراءات طالت المسلمين أنفسهم حيث اعتقل عدد منهم شينيغ وأورومشي ولانجو .

وفي أغسطس عام ١٩٩٢م في جنغدو عاصمة مقاطعة سيشوان ، نشرت دار نشر محلية سلسلة كتب للأطفال بعنوان "فكر وأجب" وجاء في الكتاب العاشر ، وهو بعنوان "دوران الدماغ السريع" صورة كاريكاتورية لخنزير يقف خلفه رجل مسلم يصلي له وخلفهم صورة مسجد وكُتب في التعليق تحت الصورة : لماذا لا ياكل المسلمون الخنزير؟ الإجابة لأنهم يعبدونه . وقد أثار هذا غضب المسلمين فقامت مظاهرات حاشدة في أرجاء الصين في أكتوبر ١٩٩٣م وتم اعتقال الكثير من المسلمين منهم الشيخ إسحاق هان ون ، مدير المدرسة الإسلامية الخاصة في بكين ولا يزال المذكور في السجن والمدرسة مغلقة بحجة أنها لم تُرخص مع أنها مفتوحة منذ أكثر من ثمانية أعوام .

وفي يوم ١٤١٤/١٠/١١هـ اقتحمت القوات الصينية منازل المسلمين في قرية خوشين في مقاطعة خينان في جنوب الصين بدعوى أنهم يبحثون عن الأسلحة ، واعتقلت ٥٢٠ مسلماً ولا يزال في السجن ٦٥ منهم حتى الآن .

ومع أن النظام الشيوعي يمارس دائماً خلاف ما يقننه في دستوره ، إلا أن بوادر الانفتاح السياسي والاقتصادي الذي بدأ دينغ شياوبينغ عهده أضفت على الممارسات الدينية حرية نسبية كانت مفقودة في عهد سلفه، وأوحت بالآمال بتحسن أحوال المسلمين .. بيد أن ذلك لم يدم وبدأ التراجع عملاً بالمفهوم الماركسي : «خطوتين إلى الأمام ثم خطوة إلى الوراء» ، وما يعانيه المسلمون من إجراءات تعسفية يعكس أن حكومة الصين الشعبية قد حققت هدفها من الانفراج النسبي تجاه الدين وخاصة مع المسلمين ، حيث تمكنت من دخول أسواق دول الخليج وحققت علاقات دبلوماسية مع العالم الإسلامي وهي خطوات مهمة في سياستها الدولية ، وبدأت حالياً خطوة إلى الوراء .. فهل يعي المسلمون ما تمارسه الصين من أعمال في المجالين الداخلي والخارجي .. أم يترك المسلمون لمصيرهم المجهول ضحية المصالح والمنافع الاقتصادية والسياسية .

مجلة «الدعوة»

٢٨ مارس ١٩٩٦م

٩ ذي القعدة ١٤١٦هـ

الوضع الراهن .. سيد الأحكام

بقلم : إياد أبو شقرا

عندما تضع الدول الكبرى «سيناريو» لأصول المواجهات السياسية في العالم يطيع الصغار فوراً بلا استفسار ، وعندما قررت عواصم القرار الدولي أن مصطلح «الأصولية» صار المرمى الواجب التسديد عليه ، تحولت الكلمة إلى مصطلح دارج يردده كثيرون كالببغاوات من دون حتى محاولة فهمه . والأخطر من ذلك أنه نشأت حالة «استقطاب» شبه متعمدة ، دفع فيها كثيرون دفعاً نحو التحالف تكتيكياً مع ما يُسمى بـ (المعسكر الأصولي) على اعتبار أن معسكراً كهذا يصلح «مظلة» لكل معارضي النظام العالمي الجديد . والأمر الجدير بالدراسة حقاً هو معيار الربح والخسارة وراء قبول معارضي هذا النظام الجديد التجمع في جبهة واحدة ، ومدى قدرتهم على تقديم جبهة كهذه بواجهات أيديولوجية غير «أصولية» .

في حقبة الستينيات والسبعينيات مثلاً ، وجد الاشتراكيون الأوروبيون صعوبة كبرى في التخلص من تهمة «الشيوعية» التي ألصقتها بهم الأحزاب المحافظة والديموقراطية المسيحية . وقبلهم - خلال الخمسينيات - وجد الليبراليون الأميركيون أنفسهم في قفص الاتهام تحت وطأة الهجمة المكارثية . واليوم نلاحظ أنه حتى الحركات القومية في آسيا وأفريقيا تصبح عرضة لتهمة «الأصولية» إذا فكرت في التعاون ولو تكتيكياً مع تنظيمات أصولية .

ما فعلته السلطات الصينية في الأسبوع الماضي مهم جداً على صعيد السياسة الدولية والطريف أن بكين ، التي يعدها نفر من المراقبين «منارة» التحدي الوحيدة للنظام العالمي الجديد ، تتصرف الآن بطريقتها الخاصة كشريك فيه .

فمن ناحية أدى التفاهم الحار مع الرئيس الروسي بوريس يلتسين ، وخاصة

توقيته في خضم حملة انتخابات الرئاسة الروسية ، ليعزز موقع يلتسين السياسي على الرغم من أن بكين تدرك مدى أهميته لواشنطن ، وتفهم أن يلتسين لم يُدر ظهره لواشنطن في المرحلة الحالية على الأقل . وهكذا يمكن القول أن القيادة الصينية أعلنت عملياً عن أن مصالحها «الوطنية» الخاصة ، لا طموحاتها الدولية ، تحتل المرتبة الأولى في قائمة أولوياتها السياسية . وما قدمه يلتسين للصين في الأسبوع الماضي هو حقاً خدمة ثمينة جداً ، إذ جلب معه «رجال موسكو» - وواشنطن أيضاً - من رؤساء جمهوريات آسيا الوسطى (السوفياتية سابقاً) ووقّع وإياهم مع القيادة الصينية اتفاقية ذات شقين : إجرائي وأيديولوجي تثبت ديمومة حدود إقليم سينكيانج (أو تركستان الشرقية) .

فتحت العنوان البريء لـ «اتفاقية الحدود» حصلت الصين على مباركة مطلقة من القزق والقيرغيز والتاجيك والأويغور القاطنين في أراضي الاتحاد السوفياتي السابق لاستمرار الهيمنة الصينية المطلقة على أهلهم عبر الحدود . مع العلم أن الأويغور خاصة، الذين يشكلون غالبية العناصر غير الصينية في سينكيانج ، يواجهون سياسة توطينية وتذويبية منظمة وقديمة من بكين تقضي بزرع مئات الألوف من الصينيين العرقيين (الهان) في الإقليم الغني بالثروات الطبيعية .

أما شعار «مكافحة الأصولية» ، فيقدم التبرير الأيديولوجي - الذي قد لا يكون صحيحاً - الذي يشرّع تلك الخطوة الإجرائية ، على اعتبار أن «الأصولية» هي المظلة التي يلجأ إليها القوميون الرافضون لـ «الوضع الراهن» الصيني .

جريدة "الشرق الأوسط»

٢ مايو ١٩٩٦ م

مأساة مسلمي تركستان الشرقية

بقلم: فهمي هويدي

آخر ما كان يخطر على بال واحد مثلي أن تظهر « الأصولية» بين مسلمي الصين فى (سينكيانج) لسبب بسيط هو أنه أتيح لي أن أزور هذه المنطقة في بداية الثمانينات موفداً من مجلة (العربي) الكويتية التي عملت بها آنذاك ، وقد ظهرت حصيلة تلك الرحلة لاحقاً في كتاب بعنوان "الإسلام في الصين" صدر ضمن سلسلة (عالم المعرفة) في شهر يوليو (تموز) ١٩٨١م.

كنت أول صحافي عربي زار المنطقة منذ استيلاء الشيوعيين الصينيين عليها في عام ١٩٤٩ أو هكذا أخبرونى هناك على الأقل . إذ ظلت مقاطعة (سينكيانج) معقل مسلمي تركستان الشرقية مغلقة في وجوه الأجانب طوال الوقت . وإذ تمت زيارتي بعد القضاء على ما سمي آنذاك بـ « عصابة الأربعة » فقد أرادت السلطات الصينية أن تعطي انطباعاً بأن ثمة جوا من الانفراج في البلاد خصوصا بعد أن ارتبط عنوان « عصابة الأربعة » بكارثة الثورة الثقافية التي ضربت البلاد وأرعبت العباد. وكان المسلمون في مقدمة ضحاياها . لذلك فإنهم استجابوا لطلبى زيارة مقاطعة (سينكيانج) ، وأتاحوا لي قدراً طيباً من إمكانية الحركة والاتصال مع تجمعات المسلمين هناك، وإن ظلت حائلاً اضطرني دائماً للاستعانة بمترجم ، كان في أغلب الأحوال إن لم يكن كلها عيناً للأجهزة الأمنية.

هوية أكثر منه ديناً

من بين أهم الملاحظات التي خرجت بها أن الإسلام في تلك المناطق هوية أكثر منه دينا ، حيث لا تعرف الأغلبية الساحقة شيئاً عن الدين الإسلامي، بعضهم لا يعرف سوى عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والبعض الآخر يحفظ فاتحة الكتاب بالكاد، و«علماؤهم» - وفي الوصف مبالغة كبيرة - يحفظون بعضاً من قصار السور في جزء «عم»!.

أديت صلاة الجمعة في مسجد مدينة (شيآن) إحدى أهم المدن في سينكيانج ، كان المسجد باسم (تشينغ تشن داسي ، جان داسي) ومعناها (بيت الله العظيم) ، ووجدت أن ثمة حماماً ملحقاً بالمسجد ، يقصده من يشاء من المسلمين كل يوم جمعة ، حيث يغتسلون بالماء الساخن ويتعطرون قبل أن يتوجهوا إلى الصلاة ، ولفت نظري أن المسجد

مكتظ بالمصلين الذين تجاوز عددهم ١٥٠٠ شخص، وقد أعتبرت ذلك أمراً مثيراً لأن المساجد التي رأيتها في مجتمعات المسلمين الأخرى كانت تضم أعداداً بسيطة نسبية يوم الجمعة (كان متوسط عددهم في مدينة كانتون الجنوبية في حدود مائة شخص فقط) .

لاحظت أيضاً أن بين المصلين أعداداً كبيرة من الشباب ، بينما نسبة الشيوخ كانت أكبر في المساجد الأخرى التي مررت بها ، ولم يكن هناك من تفسير لتلك الظاهرة سوى أن منطقة سينكيانج يتجسد فيها تحدي المسلمين ليس فقط للشيوعية، ولكن للهيمنة الصينية. فسكان هذه المقاطعة الذين تقدرهم السلطات بـ ١٦مليوناً ويقول ممثلو تركستان الشرقية في الخارج أنهم ٢٦مليوناً - بخلاف مسلمي الصين - يعتبرون أنفسهم جنساً مختلفاً (أصولهم تركية) ، كما يعتبرون بلادهم (تركستان الشرقية) أرضاً محتلة . لذلك فإنهم ما برحوا يعبرون عن تحديهم واحتجاجهم على ممارسات السلطات الصينية ، وهذا الإقبال على المساجد يعد إحدى صور التحدي السلمي الذي يعبرون به عن تمسكهم بالهوية الإسلامية، ورفضهم الذوبان في البوتقة الصينية.

كانت أغلبية المصلين الذين يتوافدون على المسجد للاغتسال منذ صباح الجمعة الباكر ، يقفون صامتين تجاه القبلة ، لأنهم لا يحفظون شيئاً ولا يعرفون ما الذي ينبغي عليهم أن يقولوه حتى في الركوع والسجود.

خطبة الجمعة بدت عرضاً صاخباً ومثيراً ، فحين صعد الخطيب - كان اسمه الشيخ محمد يونس - إلى المنبر ، ظل يتلو مجموعة من الأناشيد والأدعية والآيات القرآنية ، بعض كلامه كان بالعربية والبعض الآخر بالفارسية ، وفي حين ثالثة كان يتكلم بالصينية، ومرة يلحن كما لو كان يقدم مقطوعة غنائية ، ومرة يتكلم بوقار وجدية، وأحياناً يرفع صوته مجلجلاً ومدوياً ، ثم ينتقل إلى حالة أخرى فيتكلم بصوت هامس وخفيض، كأنه مجموعة من المنشدين يقدمون فقرات مختلفة، كل واحد بأداء مختلف ولحن مميز. . وفي جميع حالاته فإن وجهه ظل ثابتاً كالصخر، لا تتحرك فيه عضلة، ولا يهتز له جفن.

لم أفهم إلا القليل مما قاله بالعربية ، ولكني التقطت كلمات مبعثرة أتاحت لي فقط أن أميز بين المدائح النبوية والقرآن الكريم. ورغم ثقتي في أن أغلب الجالسين لم يفهموا بدورهم شيئاً يُذكر من الخطبة - باستثناء ما ألقي منها بالصينية - إلا أنني استغربت كونهم بدوا متجاوبين معه إلى أبعد الحدود، غير أن أكثر ما شد انتباهي في الخطبة أن الشيخ محمد يونس وهو يردد الأدعية في نهايتها قال: اللهم أمِّن دولة السلطان المعظم!.

وجدتهم يصلون ١٢ ركعة منذ دخولهم المسجد لصلاة الجمعة حتى لحظة خروجهم ، أربع ركعات سنة عند الدخول ، ثم ركعتان للجمعة ، وبعد الجمعة يصلون أربع ركعات أخرى تعقبها ركعتان ، وفهمت من الإمام الشيخ محمد يونس ، أن الركعات الأربع هي لصلاة الظهر وأن الركعتين هما سنة الظهر ، وحين سألته عن السبب في ذلك قال إنهم يصلون الظهر بعد الجمعة لأن هناك شكاً في صحة صلاة الجمعة - لماذا - ؟ سألته فقال: لأننا لسنا في دار الإسلام وليس هناك إمام للمسلمين، لذلك فإن فقهاءنا القدامى لم يطمئنوا إلى سلامة صلاة الجمعة ، وجاء اجتهادهم لحل الإشكال على ذلك النحو ، فإذا كانت صلاة الجمعة صالحة فقد كسبنا ثواب الجمعة والظهر ، وإذا كانت باطلة فقد نجونا من إثم ضياع الفرض!.

ظلت تلك الصورة المؤثرة والمبسطة للغاية منطبعة في ذهني طيلة السنوات التي خلت، إلى أن استعدت الشريط كاملاً حين قرأت حديثاً أن الصين وقعّت معاهدة مع بعض جمهوريات آسيا الوسطى لمكافحة « الأصولية»!.

أدهشني الخبر وقلت: الأصولية مرة واحدة؟!.. هل يعُقل أن يكون أولئك البسطاء الذين لا يحفظون فاتحة الكتاب قد تحولوا إلى « أصوليين» ، هكذا بقدرة قادر ؟!.

سجل حافل بالتمرد: لماذا ؟

لقد أبرزت أكثر الصحف العربية الخبر ، خصوصاً الصحف وثيقة الصلة بالأنظمة المشتبكة مع بعض الجماعات الإسلامية التي يطلق عليها وصف « الأصولية» ، لكن أحداً لم يسأل : أية أصولية هذه التي ظهرت في سينكيانج؟ بل أية أصولية تلك التي تجلت في آسيا الوسطى ، التي ظلت تحت شيوعية الاتحاد السوفياتي طيلة أربعين عاماً ، وانحسر فيها الإسلام حتى لم يبق منه سوى بعض الآثار الباهتة والقشور البسيطة والمباني التاريخية؟.

سنبقى في حدود سينكيانج لظني أن المأساة فيها أكبر ، وربما أتيح لنا أن نعود إلى حديث « أصولية » آسيا الوسطى في وقت لاحق.

في الثاني والعشرين من شهر مايو (آيار) الماضي بثت وكالة رويتر من بكين تقريراً قالت فيه إن المسؤولين الصينيين صرحوا بأن « عصابة » من تسعة انفصاليين يحملون متفجرات بدائية الصنع وأسلحة نارية قُتلوا هذا الشهر (مايو) في معركة دامية بالرصاص

مع الشرطة في منطقة سينكيانج شمال غربى البلاد ، وقال ضابط شرطة في بلدة (كوكا) على طريق الحرير أن هؤلاء الرجال التسعة كانوا جميعاً مسلمين يدعون إلى الانفصال ، وأن التحقيقات ما زالت جارية لمعرفة خلفيات الحادث . وأضاف أنه لا يمكنه التعقيب أكثر من ذلك على الطبيعة السياسية للحادث ، في المنطقة التي تتاخم الدول الإسلامية في آسيا الوسطى وأفغانستان وباكستان.

وجاء الحادث في أعقاب إصدار السلطات في سينكيانج أمراً بشن حملة على الانفصاليين الذين تهدف أنشطتهم «الإرهابية» العنيفة إلى إثارة اضطرباب أدت إلى مقتل عدد من المدنيين الأبرياء في المقاطعة ذات الأغلبية المسلمة.

ونشرت صحيفة (سينكيانج دايلى) في ١٦ (آيار) أن شرطة الإقليم قضت في الثاني من الشهر نفسه على مجموعة من المحترفين نفذوا تفجيرات قنابل واغتيالات ونشاطات إرهابية أخرى ، وقالت الصحيفة أن الحادث بدأ في ١٦ من أبريل (نيسان) عندما دخلت العصابة قرية في مقاطعة (كوكا) ونفذت تفجيرات عدة.

روت الصحيفة تفصيلات مقتل الأفراد التسعة الذين هربوا وشكلوا مجموعة انتحارية، اشتبك بعض عناصرها مع الشرطة ، وعثر مع القتلى على بنادق وطلقات رصاص وقنابل لم تنفجر ، ثم ختمت قائلة أن حكومة الصين لم تتردد في القضاء على الاتجاهات الانفصالية الدينية والانفصالية في سينكيانج ، وأنها عملت بجد على سحق «الانتفاضة»، والضغط على الجمهوريات المحيطة في آسيا الوسطى للتضييق على انفصالى سينكيانج الذين يعملون انطلاقاً من أراضي تلك الدول.

في اليوم التالى مباشرة بثت وكالة الأنباء الفرنسية تقريراً آخر من العاصمة الصينية قالت فيه إن السلطات الصينية أدانت بشدة استغلال الدين لأغراض سياسية في منطقة سينكيانج المسلمة.

وذكرت أن صحيفة (سينكيانج دايلى) نشرت على صفحتها الأولى أن نفوذ الحركات المناهضة للصين بدأ يتسع بين صفوف المسؤولين الدينيين والسياسيين في سينكيانج ، وقالت تعليقاً على ذلك أن « حرية المعتقد لا تعنى أن الدين حرية مطلقة للقيام بكل ما يحلوا له».

أضافت الصحيفة أنه : يجب محاربة « الذين لا يحترمون غير المؤمنين ويجبرون

الأشخاص على الإيمان» ، في إشارة إلى المجموعات المسلمة الناشطة في مجتمعات المسلمين هناك . قالت أيضا إنه : يجب التميز بين النشاطات الدينية المشروعة وغير المشروعة ، والتمييز بين المؤمنين الحقيقين ، والذين يتأمرون للانفصال».

ذكرت الصحيفة أن الماركسية تعتبر الدين « أفيون الشعوب » ، وبالتالي يجب ألا يُسمح للكوادر والأعضاء في الحزب الشيوعي الماركسيين الملحدين ، بالاشتراك في النشاطات الدينية » وختمت قائلة أن تدخلات الدين في الشؤون الاجتماعية والسياسية يجب أن تتوقف.

وهي تعقب على التقرير قالت الوكالة الفرنسية إن مثل هذه البيانات بدأت تُنشر في الصين في أعقاب اعتقال ١٧٠٠ « مجرم انفصالي» في سينكيانج!.

تكشف هذه البيانات عن طبيعة الأجواء المخيمة على سينكيانج ، حيث تلقي بعض الأضواء التي لا تدع مجالاً للشك في أن المقاطعة تعيش حالة من التوتر والاضطرابات حيث شهدت عمليات عنف متعددة ، قابلتها السلطات الصينية المحلية بكل قسوة.

وطبقاً للمعلومات الصحافية فإن المقاطعة شهدت في عام ١٩٩٥ المنصرم ٢٧ اشتباكاً مع العناصر الإسلامية ، أدت إلى سقوط قتلى وجرحى لم يُعرف عددهم.

وهى اشتباكات ما زالت مستمرة ، غير أن السلطات الصينية تفرض تعتيماً عليها ولا تسمح للصحف المحلية بالإشارة إليها ، إلا فيما ندر.

٣٧ تجربة نووية في بلادهم

في ملف الصين الذى احتفظ به وجدت قصاصة تضمنت تقريراً بثته الوكالة الفرنسية في ٧ / ١٠ / ١٩٩٥ قالت فيه أن الحكومة الصينية أعربت عن قلقها من تنامى التطرف الإسلامي في مقاطعة سينكيانج ، ولذلك قررت التحقيق في وضع المساجد ورجال الدين المسلمين للقضاء على النشاطات التي وصفتها بأنها « غير مشروعة ورجعية» في المنطقة ، وقد حذر إبراهيم رضا مدير مكتب الشؤون الدينية(؟!) في مقال نشرته صحيفة محلية من ارتفاع عدد المساجد والمدارس الدينية التي تفتح أبوابها دون إذن ، وبأموال من الخارج في غالب الأحيان ، وأضاف مسؤول الشؤون الدينية قائلاً : « علينا أن نقف بحزم في وجه النشاطات الدينية غير المشروعة التي تعارض النظام الاشتراكي ، وتقسم الوطن وتحرض على التطرف عبر بث الدعوة إلى الجهاد في المساجد، وطالب « الأخ» بإخضاع

رجال الدين « لامتحان» ، وتوزيع شهادات على الذين ينجحون فيه ، ودعا إلى وضع لائحة بأماكن العبادة التي يسمح بوجودها القانوني ، وبرجال الدين المسجلين رسمياً «لتسهيل مراقبة المساجد».

أشار التقرير إلى أن الانفصاليين شكلوا في أكتوبر (تشرين الأول) عام ۱۹۹۰ منظمة معادية للثورة تحت اسم (حزب الإصلاحيين الإسلاميين)، وأنه تم إعدام خمسة من عناصر ذلك الحزب في يونيو (حزيران) ۱۹۹۲، وأن المنطقة شهدت اضطرابات في وقت لاحق أوقعت رسمياً ۲۳ قتيلاً ، بينما أشارت مصادر رسمية إلى ثلاثة أضعاف ذلك العدد!.

استوقفني في الملف أيضاً خبر مثير يقول : في الخامس من أكتوبر (تشرين) عام ۱۹۹۳، تجاهلت الصين احتجاجات الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا وعدد كبير من الدول الآسيوية ، وأجرت تجربة نووية تحت الأرض ، وسجل الانفجار خمس نقاط وثمانية أعشار النقطة على مقياس ريختر للزلازل - أقصاه ۷ نقاط - وكشفته مراكز المراقبة الدولية في أنحاء العالم، وأفادت الأنباء أن التجربة الذرية حدثت في صحراء (لوي نون) ، حيث « موقع التجارب » في إقليم سينكيانج ، وكانت الصين قد بدأت تجاربها في ذلك الموقع في عام ١٩٦٤ ، الأمر الذى أدى إلى إصابة مليوني شخص من الذين يعيشون في المنطقة بأمراض غريبة ، شاعت بين الأطفال خاصة وأدت إلى وفاة نسبة كبيرة منهم.

تساعدنا تلك التقارير والأخبار على فهم طبيعة النشاط « الأصولي » الذي برز في سينكيانج خلال السنوات الأخيرة ، فملايين المسلمين الذين يسكنون المنطقة التي تعد من أغنى أقاليم الصين (مواردها الطبيعية كثيرة في مقدمتها النفط والذهب والبلاتين والنحاس)، ما كانوا يوماً راضين بهيمنة الصين على بلادهم تركستان الشرقية ، لذلك فإن تاريخهم مع حكومة بكين حافل بصور التمرد والانتفاض ،و بعدما تم استقلال جمهوريات آسيا الوسطى المحيطة بهم في مستهل التسعينيات ، كان من الطبيعي أن يحيي ذلك آمال المسلمين في أن تُتاح لهم فرصة مماثلة للاستقلال، وإذ يبدو الحلم بعيداً بحجم الاختلاف بين الذى جري للاتحاد السوفياتي وبين الحاصل في الصين ، فإن السلطات الصينية لم تقابل تطلعاتهم بمحاولة لتحسين أوضاعهم ، خصوصاً أن المنطقة يُفترض أنها تتمتع بالحكم الذاتي ، وإنما عملت على قمعهم وإجهاض أحلامهم أولاً بأول ، ليس

ذلك فحسب ، وإنما عمدت إلى العبث بالتركيبة السكانية للإقليم ، وقامت بتهجير حوالي عشرة ملايين صيني إلي سينكيانج ، والأدهى والأمر ، أنها استخدمت بلادهم الشاسعة التي تعادل ثلاثة أضعاف فرنسا و١٧ ضعفاً بالمقارنة بهنغاريا حقلاً لتجاربها النوية، التي تم رصد ٣٧ تجربة منها ، خلال الثلاثين عاماً الماضية.

ولأنهم مسلمون ، بصرف النظر عن مدى معرفتهم بالإسلام ، فكان لابد أن يوصموا بمختلف مفردات القاموس المتداول هذا الزمان : متطرفون - إرهابيون - أصوليون ، وهي مفردات أصبحت محملة بمعاني الاتهام والإدانة ، التي تصادر حق « المتهم» في شرح موقفه أو تبرئة نفسه.

إن العالم الغربي يتحدث كثيراً عن انتهاكات حقوق الإنسان في الصين ، ويحتفي بزعيم التبت ويدافع عن حق شعبه في الحياة المستقلة والكريمة، لكننا لم نسمع أحداً يتحدث عن مأساة مسلمي تركستان الشرقية الذين يعيشون في ظل ظروف شديدة البؤس والتعاسة ، تفوق بكثير ما يتعرض له شعب التبت على سبيل المثال.

إن المسلمين لا بواكي لهم.

حسبنا الله ونعم الوكيل!

مجلة "المجلة"

١١يونيو ١٩٩٦م

ماذا يحدث للمسلمين في شينجيانغ؟

بقلم توختي آخون أركين

منذ أكثر من أسبوعين والصحف تنقل أخبار الأحداث الدامية في منطقة إسلامية في الصين وتكتب عنها وكأن اسمها الأصلي مجهول مع أنها هي الجزء الشرقي من امتداد العالم الإسلامي في آسيا ، وعُرفت في أمهات المصادر الإسلامية باسم تركستان ولا يزال أبناؤها يصرون على أنهم تركستانيون، إنهم أحفاد من ساهم بقسط وافر في الحضارة الإسلامية منذ أن فتح القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي ولاية (كاشغر) عام ٩٥هـ ، وقد أطلق عليها الاسم الصيني شينجيانغ xinjiang الذي حُرّف إلى كسينجيانج أو شينجيانج وهو اسم مركب من كلمتين صينيتين شين xin جديدة وجيانغ Jiang مستعمرة ، وقد أطلقه الصينيون بعد احتلالهم تركستان الشرقية عام ١٨٧٨م.

وإذا كانت الصحف الإسلامية التي تناقلت الأنباء لم يتعرف بعضها إلى اسمها الإسلامي ولم تعرف صحة نطق ورسم الاسم الصيني الجديد فإن ما تناقلته من أخبار معتمدة على مصادر - كما أشارت - رسمية تحتاج إلى تفحص وتحليل إذا أرادت إثبات حقائق ووقائع ما يحدث في ذلك الجزء الإسلامي المبتور.

والسؤال هل هناك أسباب لهذه الاضطرابات ؟ أم هي نزعة المسلمين للانفصال عن الصين ؟ أم هما الاثنان معا؟ ولماذا؟

التجارب النووية

أولاً : تمارس الصين تجارب التفجيرات النووية في وسط تركستان الشرقية موطن المسلمين منذ عام ١٩٦٤م وقد بلغ عدد تجاربها أكثر من ٤٦ تجربة منها ٣٣ تجربة جوية ، وقد أكدت هيئات صينية قبل الهيئات الغربية تلوث البيئة وأثرها على حياة الإنسان من ملاحظة تزايد حالات مرض السرطان وانتشار وباء تليف الكبد والمواليد ذوو التشوهات الخلقية، كما جاء في مجلة القوميات في الصين الصادرة في بكين في شهر فبراير ١٩٩٢م.

وبالرغم من مطالبة المسلمين بوقف هذه التفجيرات النووية بل وبالرغم من مطالبة المجتمع الدولي إلا أن الصين ما زالت مستمرة في تفجيراتها والضحايا هم المسلمون الذين لا يتوفر لهم أدنى حد من الرعاية الصحية، بينما يتعرضون يومياً لإخطار التلوث الإشعاعى.

ثانياً : تمارس الصين سياسة سكانية مزدوجة لمحاربة المسلمين التركستانيين فهي تطبق عليهم سياسة تحديد النسل بصرامة، كما تقوم بتهجير ملايين الصينيين وتوطينهم في تركستان تحقيقاً لعملية الامتصاص والإذابة العنصرية والثقافية لمسلمي تركستان ، وذلك يتضح في:

١ - إلزام النظام الصيني الزوجين بإنجاب طفل واحد إذا كان كلاهما من قومية هان ويسكنان في المدينة ، وأما إذا كانا فلاحين فإن لهما الحق في طفلين ، وأما الأقليات القومية والمسلمون منهم فالزوجان لهما الحق في طفلين إذا كانا يقيمان في مدينة ، وأما إذا كانا فلاحين لهما الحق في ثلاثة أطفال.

ومن يخالف ذلك يتم إلزامه بدفع غرامة مالية مع إسقاط حق المواطنة عن الطفل الزائد.

ولكن هذا النظام يبقى حبراً على ورق إذ أن ما يطبق على المسلمين يعمل على تحديد زيادة سكانية معينة سنوياً ، فمثلاً بلدة سكانها ١٨٠ ألف نسمة تحدد لها الزيادة السنوية بأربعة آلاف نسمة ويُشترط ألا يزيد سكانها عن ١٩٠ ألف نسمة خلال ثلاث سنوات.

القتل بالإجهاض

وفي عام ١٩٩١م قدرت الإحصائية الحكومية بأن عدد سكان بلدة (ينكي حصار) حوالي مائتي ألف نسمة وأن عدد النساء اللاتي بلغن سن الإنجاب ٣٥ ألف امرأة فقامت السلطات الصينية بالآتي :

٩٣٦٠ امرأة أجبرن على استخدام اللولب.

٤٢٠٠ امرأة أجبرن على ربط مبايضهن.

٩٥٣٠ امرأة أجبرن على الإجهاض.

٧٤٢٠ امرأة أجبرن على أخذ حقن منع الحمل.

١٠٧٠ امرأة توفين بسبب الإجهاض الإجباري.

١٤٩٣ امرأة خضعن لتجارب منع الحمل.

والنتيجة أن من تم السماح لهن من النساء بالحمل هو أقل من ألفين ومن حُرم منهن من الذرية أكثر من ٣٣ ألف امرأة.

وفي عام ١٩٩٢م بلغ عدد الرجال والنساء الذين فُرض عليهم عمليات منع الحمل ٢٧٩٠٠ شخص وتم إسقاط جنين ٧١٠٠ امرأة في خوتن وقد أدت هذه الإجراءات إلى انخفاض عدد المواليد إلى ٩٧٠٠ مولود أي بنقص ١١٧٣٩ مولود عن عام ١٩٩١.

٢ - في مقابل هذا التحديد الإجباري لنسل المسلمين في بلادهم تركستان تقوم السلطات الصينية بنقل ملايين الصينين وتوطينهم فيها بدعوى نقص الأيدي العاملة.

توطين الصينين في مناطق المسلمين

ومع الاحتلال الشيوعى لتركستان ١٩٤٩ كان عدد سكان تركستان ٤,٣٣٣,٤٣١ نسمة منهم الصينيون ٢٩١,٠٠٠ نسمة ونسبتهم ٦,٧١٪ والأويغور وعددهم ٣,٢٩١,١٤٥ نسمة ونسبتهم ٧٥,٩٥٪ وفي عام ١٩٩٣م بلغ عدد الصينيين ٦,٠٣٦,٧٠٠ نسمة وارتفعت نسبتهم إلى ٤٧٪ من جملة عدد السكان ١٦,٠٥٢,٦٤٨ نسمة مع ملاحظة أن عدد الصينين ليس الرقم النهائي فهو ينتهي بصفرين دوماً، وهناك مدن وولايات بلغ التصين فيها أكثر من ٦٠٪ مثل مدينة أورومشي التي يبلغ عدد سكانها ١,٣٧٩,٣٢٧ نسبة الصينيين ٧٣٪ وولاية قمول التي يبلغ عدد سكانها ٤٢٥,٠٠٨ نسمة منهم ٢٨٠,٥٩٥ صيني بنسبة ٦٦٪ ومع ذلك فالصين تنفذ حالياً نقل خمسة ملايين صيني إلى تركستان فقد ذكرت مجلة الاتجاه في عددها الصادر في شهر أكتوبر عام ١٩٩٢م تحت عنوان « توطين خمسة ملايين صيني في تركستان الشرقية » بأن الحكومة المركزية قد صادقت على تنفيذ خطة مدير مركز الدراسات لمجلس الوزراء الصيني يوان مو التي تتضمن ما يلي :

١ - خلال عامي ١٩٩٢م - ١٩٩٥م تم تهجير مليوني عامل من مقاطعات سيشوان وشانشى وخينان وانخوى وتوطينهم في تركستان الشرقية وإلحاقهم بواحدات جيش الإنتاج والبناء وأعمال الطرق ومصادر الطاقة وصناعة الزيت.

٢ - نقل مائة ألف جندي من جنود صف ضباط من مختلف وحدات الجيش الصيني لتغزيز مختلف قطاعات الدفاع والأمن والإدارة في تركستان الشرقية.

٣ - مع عام ٢٠٠٠ ميلادية سوف يتم توطين خمسة ملايين صيني لرفع نسبة الصينيين وتحكيم سيطرتهم على مواقع الاقتصاد والإدارة في تركستان الشرقية.

وتأكيداً على هذا الموضوع فقد نشرت جريدة الصين اليومية التي تصدر باللغة

الإنجليـزية في بكين بعددها الصادر في يوم السبت ٥ ديسمبر ١٩٩٢م تقول : إن سلطات ولاية كاشغـر التي استقبلت ١٥,٠٠٠ مهجر صيني رحـبت على الفور بتوطين مائة ألف مهجر صيني وأبدت عن استعدادها لاستقبال وتوطين ٤٧٠,٠٠٠ مهجر صيني في كاشغر ممن يتم نقلهم من منطقة مشروع الممرات الثلاثة لسـد غزوبا الذي يجري تشييده على نهر يانغتسي في هوبي بوسط الصين.

وقد حذر الصينيون أنفسهم من هذا الاكتظاظ السكاني في تركستان حيث كتب شيونغ يونغ خوى (في مجلة اتحاد جمعيات الفلسفة الاجـتماعية العملية لشينجيانج - أورومشي عام ١٩٨٨ العدد الثـالث) أن تركستان تأتي في مقـدمة مقاطعات الصين كلهـا في سرعة النمو السكاني والكثافة إذ بلغت الكثافة السكانية ٨,٥ نسمة في كل كيلومتر مربع واحد ، وهو أعلى ممـا تقرره منظمة الأمم المتحدة لسكان البـلدان الصحراوية وهو ٧ أشخاص في الكيلومتـر المربع الواحد ، كما أنه أعلى من مـعدل الكثافـة السكانية في الصين الذى هو ٧,٥ شخص في الكيلومـتر المربع الواحد ، وفي الإحـصائية التي أجـريت عام ١٩٨٢م اتضح أن معدل سكان الأراضي الزراعية في تركستان هو ٢٦٢ شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد وهو مـعدل أعلى مما هو في مقاطعـتي خونهن ، وخوبى الصينيـتين ، بل هو لا يقل عن معدل أكـثر مناطق الصين اكتظاظاً بالبـشر، فمثلاً في تورفـان فالمعدل ٣٦٥ وفي كـاشغر ٤٧٥ وفي شيـخنزة فهو ١١٩٥ نسـمة في كل كيلومتر مربع واحـد ، وهو معدل أعلى حتى عن معدل كثافة سكان بكين ونانكين أكبر مدينتين في الصين.

وهذا النمـو المفاجىء في السكان والاكـتظاظ البـشري بالمهجرين الصـينيين أدى إلى انخفاض مستـوى التعليم ، لأن أكثر من ٩٥٪ من سكان تركستـان وهم ممن يقل تعليمهم عن مستوى التعليم الإعدادي ، كـما أدى انخفاض دخل الفرد حيث بلغ ٩١٠,٧٠ يوان بينمـا ارتفع دخل الفـرد في الصين إلى ١٢٧٥,٧٨ يوان أي بفـارق ٣٦٥ يوان وإذا كـانت الأراضي الزراعيـة بلغت ٤٧,٢٩٠ مليون مـو في عام ١٩٨٤ أي بزيادة ٢,١١مرة عـما كـانت في عام ١٩٤٩م إلا أن النمو البـشري بلغ ٣,٢٠مرة وانخـفضت حصـة الفرد من الأراضي الزراعية من ٤,١٩ مو إلى ٣,٥٢ مو أي بمقدار ٠,٦٧ وبالتالي فإن نصيب الفرد من الإنتاج الزرعي انخفض أيضاً.

علاوة على أن الاستـعمال الواسع والمجهـد للأراضي الزراعية والإفراط في اسـتخدام المياه بهدف احتياج المهجرين الصينيين من الغذاء أدى إلى شح المياه.

أكذوبة الحرية الدينية

ثالثاً : الحرية الدينية التي يقول بها الدستور الصيني حالياً لا يؤمنها الواقع العملي في تركستان والأمثلة كثيرة منها:

١ - منع بناء مساجد جديدة في الأحياء الجديدة التي ظهرت بعد الاحتلال الشيوعي ولم يكن فيها مسجد مع أن سكانها أو أكثرهم من المسلمين وقد أدى هذا المنع إلى حادثة مسجد بارين الدموية التي وقعت في العاشر من رمضان ١٤١٠هـ وتناقلت وكالات الأنباء العالمية أحداثها حينذاك.

٢ - منع النساء من الصلاة ومنع الفتيات من التعليم الإسلامي في المساجد وقد تسبب ذلك في حادثة مسجد بيت الله في خوتن بتاريخ التاسع من صفر عام ١٤١٦هـ.

٣ - منع موظفي الدولة عموماً والمتقاعدين منهم خاصة من الصلاة وممارسة الشعائر الدينية بحجة فرض التزامهم بمبادئ الحزب الشيوعي وفصل المخالف وإيقاف راتبه.

٤ - منع تداول الكتب الدينية والأشرطة الدينية وإذاعتها ومصادرة الكتب الإسلامية.

٥ - حظر التعليم الإسلامي في جميع مساجد تركستان وحصره في المعهد الإسلامي في أوورمشي وأربعين مدرسة أخرى بشرط ألا يزيد طلابها عن ألف طالب. ومنع الطلاب الذين تقل أعمارهم عن ١٨ عاماً وكذلك الفتيات بشكل عام من التعليم الإسلامي أياً كان.

٦ - السماح لألف ومائتي شخص فقط بالحج تحت إشراف بعثة الحج الرسمية من تركستان سنوياً ومضايقة سواهم الذين يحصلون على جوازات سفر بدعوى الزيارة ويقصدون الحج.

وتأكيداً لما سبق أود أن أشير إلى أن السلطات الشيوعية هي التي تستغل الدين لأغراض سياسية فقد عقدت الجمعية الإسلامية لمقاطعة شينجيانغ مؤتمرها السادس تحت إشراف السلطات الشيوعية في مدينة خوتن بالتركستان وفي يوم الأحد ١٦ يوليو ١٩٩٥م الموافق ١٨ صفر ١٤١٦هـ أصدر المؤتمرون القرارات التالية:

١ - السلطات الشعبية هي حكومة منبثقة من الحزب الشيوعي الصيني وهي ترعى عامة الشعب الصيني ومنه المسلمين وفي دولة ذات كيان وحزب عمالي شعبي تحكمنا

ونحن نثق بها ولم تسيء إلينا وعلى ذلك وجب أن ندافع عنها وننفذ قوانينها.

٢ - المسجد هو مكان للعبادة وإذا كـان يُكره رفع الصوت فيه حتى لا يكون في ذلك إيذاء للآخرين فإنه بناءً على ذلك يُمنع استعمال مكبرات الصوت حتى لا يكون في ذلك إزعاج لمن يجاور المسجد وضرر بالصحة العامة كـما يُمنع جمع التبرعات لأعمال الترميم والإصلاح والنشاط الديني.

٣ - ما دام المسلمـون يمارسون شعائرهم الدينية العـادية في المساجـد بفضل سيـاسة الحزب الشيـوعي الصيني فالوعظ لا يكون إلا في شؤون الأخلاق العـامة التي لا تسبب الخلاف ودعـوة المسلمين إلى احترام القـانون والنظام وكل حديث ينتقد النظام الحكومي وسياسة الحزب الشيوعي الصيني يعتبر مذنباً.

٤ - الجهـاد مفـهوم شرعي ألـغي حكمه بعـد أن تأسس الحكم الإسلامي إبان عـهد الرسـول صلى الله عليـه وسلم والخلفـاء الراشدين ، والغـزاوات التي تمت بعـدهم هي حروب توسعية فلا يجوز الكلام فـيه وإثارة المسلمين بحكم انتهى صلاحيته، وعلى ذلك يُمنع الخطبة والوعظ في الجهاد وكل من لم يلتزم بذلك يعتبر مذنباً.

٥ - جاء في المادة الخامسة من نظام إدارة الشؤون الدينية أن ممارسة الحرية الدينية تكون ضمن الأنظمة التي تحددها السلطات الرسمية ، كما جاء في المادة الثانية عشرة من النظام المذكور أن أمـاكن العبادة المسمـوحة هي المسجـد والمعبد والكنيـسة التي تجيزها الجـهات المختصة ، ويعني هذا أن ممـارسة الشعائر الدينية تكون في الأماكن التى خـصصها النظام وكل ممارسة دينيـة خارج هذه الأماكن المخـصصة تعـد غير قـانونية ويستـحق صاحبـها العقوبة، المسلمون يجب عليهم اتباع القوانين وترك ما يخالف الأنظمة الحكومية.

٦ - ما دامت حكومة الصين الشعبية قد طلبت عدم التدخل في سيـاسة تحديد النسل وقضايا الزواج والأمور العـدلية والتعليم والميراث؛ فيجب أن يحـقق المسلمون هذا الأمر ولا يتدخلون فـيها بل يجب مـساعدة الحكومـة الشعبـية على تربية الشـباب على النظام الاشتراكي والتعليم الحديث. وحيث أن حكومتنا الشعبية تطلب عدم مشاركة الشباب في الدروس الدينيـة فلابد أن نفهم الـشباب ذلك وندفـعهم إلى التـعليم الحكومي، وإذا بلغ الفرد منهم السن القـانونية وأكمل دراساته وعرف واجباته عندئذ يمكن إذا أراد أن يتلقى التعليم الديني.

٧ - طالما أن حكومة الصين الشعبية يسرت فتح المساجد في مختلف التجمعات الإسلامية فإن ترك المسلمين لمساجد أحيائهم القريبة من منازلهم والانتقال إلى مساجد معينة يشكك في سلامة نواياهم كما يسبب إزعاجاً إلى السلطة الرسمية وازدحاماً واكتظاظاً في مساجد معينة وحيث إن المساجد كلها متساوية في الأفضلية فلا يصح أن يترك المسلم مسجداً لأداء الصلاة في مسجد آخر.

٨ - في الشريعة والقانون لا يوجد تميز بين الجنس والعرق فالكل متساوون في ممارسة الحرية الدينية، ولكن حسب الأعراف الإسلامية لم يحدث أن ترددت النساء مع الرجال على المساجد، بل إن الأحاديث وإرشادات الصحابة تحث على التخفيف عنهن، ولم يفرض عليهن صلاة الجمعة وهذه الأمور واضحة في كتبنا الدينية ولا بد من توضيح ذلك لهن ومنعهن من دخول المساجد.

وفي ١٦ سبتمبر ١٩٩٠م صدرت الأوامر إلى رجال الدين بدعم زعامة الحزب الشيوعي الصيني ، وفرض عليهم استخراج بطاقة عمل من الجهات الحكومية الرسمية ، وتجديدها سنوياً ، وفق التقارير السرية ، وأخذ تعهدات منهم بعدم تدريس الدين أو توزيع المواد الدينية في غير الأماكن التي تسجل رسمياً ، وفي ٢٤ نوفمبر ١٩٩١م أفاد مراسل وكالة الأنباء الفرنسية بتسريح ٢٥ ألف إمام من عملهم ، لأن السلطات الشيوعية الصينية اعتبرتهم غير صادقين في ولائهم لها.

وفي ٢٥ نوفمبر ١٩٩٠ ذكرت جريدة شينجيانغ الرسمية أن الحكومة الإقليمية لمقاطعة تركستان الشرقية أمرت بوقف بناء ١٥٣ مسجداً وإغلاق ٥٠ مسجداً، كما أكد مراسل وكالة أنباء رويتر في بكين في ١٥ ديسمبر ١٩٩٠م ذلك وأشار إلى إغلاق خمسين مركزاً دينياً.

وفي ١٥ مايو ١٩٩٠ اعتقل الإمام عبيد الله البالغ من العمر ٧٠ عاماً بتهمة فتح مدرسة إسلامية في بلدة شهيار وحكم عليه بالسجن لمدة سبعة أعوام ولا يزال في السجن. وأما في بلدة توقسو فقد حكم على الشيخ ياسين إشباز بتهمة بناء مسجد في أوائل يونيه ١٩٩٠م.

حياة الحرمان والمرض

إن حرمان التركستانيين من ثروات بلادهم التي يستنزفها الحكم الصيني الذي يفرض عليهم حياة الجوع والحرمان والمرض والأمية مع الممارسات الجائرة التي يطبقها ضدهم لإبعادهم عن إدارة شؤون بلادهم وتطوير حياتهم وتنفيذ عمليات الامتصاص الثقافي

والإذابة العرقية لشخصيتهم الإسلامية كما أوضحنا بعضها سابقاً هو السبب الرئيسي الذي يدفع المسلمين إلى مقاومة الظلم لأنهم يتطلعون إلى حياة إسلامية كريمة هادئة يحافظون فيها على أرواحهم ودينهم وشخصيتهم الثقافية والإنسانية. ويرفضون الإرهاب الشيوعي الذى يُمارس لإذابة هويتهم الإسلامية، فهل تعمل الصين التي تبذل جهوداً مضنية لتوطيد علاقاتها بدول الخليج العربية خاصة وبلدان العالم الإسلامي عامة على تحسين معاملة المسلمين التركستانيين بالفعل بوقف التهجير الصيني وإيقاف التفجيرات النووية ومنحهم حقوقهم الاقتصادية والإدارية والثقافية وحرياتهم الدينية والإنسانية ؟ ، إن الواجب الذي يفرضه الإسلام على المسلمين كافة شعوباً وحكومات هو أن تطالب بحماية المسلمين من الإبادة والإذابة ، وتطالب بصون حقوقهم الدينية والإنسانية تلك من أهم واجبات الأخوة الإسلامية التي فرضها الله - عز وجل - على المسلمين عندما ارتضى لهم الإسلام ديناً.

مجلة "المجتمع" الكويتية

٢٥ يوليو ١٩٩٦م

٩ صفر ١٤١٧هـ

سياسة الصين في تركستان
لقمع الدين وتجفيف منابعه

بقلم : د. عبد القادر طاش

تشير الدلائل القادمة من منطقة تركستان الشرقية ، أو ما يُطلق عليها الصينيون منطقة سينكيانج الأويغورية للحكم الذاتي ، والتي تقع في الشمال الغربي من الصين ، إنها ستشهد صيفاً ساخناً مليئاً بالأحداث الدامية . وقد بدأ تصاعد هذه الأحداث تدريجياً مع بداية هذا العام الميلادي ١٩٩٦ ، ولكنها تكثفت ووصلت إلى درجة عالية من السخونة خلال الشهرين الماضيين.

ويبدو أن هناك علاقة وثيقة بين الحملة الضارية التي تشنها السلطات الصينية هذه الأيام على من أسمتهم بـ " الانفصاليين " أو " الاستقلاليين " وبين نجاحها الكبير الذي حققته في أوائل شهر أبريل (نيسان) الماضي عندما وقّعت الصين اتفاقيتين مهمتين إحداهما مع روسيا وثلاث جمهوريات سوفياتية سابق هي قازاقستان وطاجيكستان وقير غيزستان لترسيم الحدود بينها ومنع الصدامات الحدودية.

أما الاتفاقية الأخرى فتمت بين الصين وكل من قازاقستان وطاجيكستان وقيرغيزستان وأوزبكستان وأطلق عليها " معاهدة مكافحة الأصولية" . وتقول مصادر دبلوماسية إنه تجري الآن مباحثات لإقناع تركمانستان - وهي خامس الجمهوريات السوفياتية السابقة في آسيا الوسطى - بالانضمام إلى المعاهدة . كما أن الجمهوريات الموقعة للاتفاقية تأمل في أن تنضم بلدان إسلامية أخرى إلى المعاهدة فيما بعد . وتعد باكستان من المرشحين للانضمام إليها.

ومن الواضح أن الصين كانت تهدف من وراء هاتين المعاهدتين إلى تحييد الدول المشاركة فيهما ، وقطع الطريق أمام تعاطفها أو تغاضيها عن النشاطات أو حتى المشاعر المؤيدة لمسلمي تركستان الشرقية في بلدانها ، وبخاصة إذا ما عرفنا أن جميع الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى تضم في أراضيها جاليات أويغورية (تركستانية شرقية) بنسب متفاوتة . كما أن التركيبة السكانية في تركستان الشرقية تضم أيضاً مواطنين ينتمون إلى الانتماء العرقي لتلك الجمهوريات كالقازاق والطاجيك والأوبك والقيرغيز وغيرهم.

وقد لّمح وزير الخارجية الصيني يان كيتشين الى شيء من هذا عندما وصف الترتيبات

العسكرية والسياسة الجديدة لمكافحة « الأصولية » بـ « أنها مساهمة كبرى في تمتين الاستقرار الإقليمي » . وأكد للمرسلين الصحفيين أن الصين تعارض « الإرهاب والنشاطات الانفصالية لبعض الأصوليين ، نظراً لأن الكثير من المشاكل تنشأ عن استخدام الدين لأغراض سياسية» .

ويرى أحد المعلقين السياسيين أن الصين حصلت تحت شعار « اتفاقية الحدود » مع روسيا والجمهوريات الثلاث « على مباركة مطلقة من القازاق والقيرغيز و الطاجيك والأويغور القاطنين في أراضي الاتحاد السوفياتي السابق لاستمرار الهيمنة الصينية المطلقة على أهلهم عبر الحدود ، مع العلم أن الأويغور خاصة ، الذين يشكلون غالبية العناصر غير الصينية في سينكيانج، يواجهون سياسة توطينية وتذويبية منظمة وقديمة من بكين تقضي بزرع مئات الألوف من الصينيين العرقيين (الهان) في الإقليم الغنى بالثروات الطبيعية » .

أما شعار « مكافحة الأصولية » فيقدم - في رأى المعلق السياسي - « التبرير الأيديولوجي - الذي قد لا يكون صحيحاً - والذي يشرّع تلك الخطوة الإجرائية ، على اعتبار أن (الأصولية) هي المظلة التي يلجأ إليها القوميون الرافضون لـ (الوضع الراهن) الصيني» .

التدين هو المستهدف

والمتابع للحملة الصينية المحمومة في تركستان الشرقية (سينكيانج) ضد من تسميهم السلطات بـ « الانفصاليين » يدرك أنها تخفي وراءها أغراضاً أخرى . فهي ليست موجهة لمن تُطلق عليهم هذا الوصف فحسب ، بل هي حملة منظمة وواسعة النطاق لمحاربة حركة التدين الإسلامي في صفوف الشعب التركستاني ومحاولة تجفيف منابعها ومحاولة التصدي لما يُخشى أن يكون صحوة دينية متنامية في دولة تحمل شعار المبادئ الشيوعية ، وتعمل على تكريس العقيدة الإلحادية.

وتدل التصريحات الرسمية التي تنشرها وسائل الإعلام الصينية المحلية في سينكيانج على هذا التوجه الأيديولوجى بكل وضوح . ففي التقرير الذي نشرته وكالة رويتر في ٤ / ٦ / ٩٤ تقول الوكالة أن السلطات الصينية قامت بتوسيع نطاق حملتها على من أسمتهم بـ « الانفصاليين » وكذلك على ما تدعوه بـ « النشاطات الدينية غير المشروعة في

المدارس والجامعات » . وضمن هذه الحملة فقد بلغ عدد الأشخاص الذين تم اعتقالهم من التركستانيين منذ شهر أبريل الماضي وحتى تاريخ هذا التقرير ٢٧٧٣ شخصاً.

وقد صرّح المسؤولين المحليين لتلفزيون سينكيانج بأن الحملة الحالية تستهدف «تطهير» الجامعات والمدارس من «الانفصاليين» ومنع تسرب المبادئ الدينية وتأثيرها على الطلاب. كما أن صحيفة (سينكانج ديلي) المحلية كما أوردت وكالة الصحافة الفرنسية، تنقل عن بعض المسؤولين قولهم إن الماركسية تعتبر الدين « أفيون الشعوب » وبالتالي يجب ألا يُسمح للكوادر والأعضاء في الحزب الشيوعي المشاركة في النشاطات الدينية وممارسة الشعائر. كما أن تدخلات الدين في الشؤون الاجتماعية والسياسية يجب أن تتوقف!.

وفي تقرير آخر بثته وكالة رويتر طالبت كبرى الصحف الرسمية في الإقليم بوجوب «التحقيق فوراً مع أعضاء الحزب والمسؤولين المتورطين في النشاطات الإرهابية ومعاقبتهم بكل صراحة». وأضافت الصحيفة أنه يجب معاقبة أعضاء الحزب ومسؤولي الحكومة الذين يظهرون تدينهم. أو ممن شاركوا في إصدار كتب دينية أو منتجات سمعية وبصرية غير مشروعة عززت المطالبة بالاستقلال.

وفي أواخر شهر مايو الماضي ذكرت وكالات الأنباء بأن السلطات الصينية المحلية في سينكيانج شددت من القيود على المسلمين ومن قبضتها على المناطق الحدودية . وقال مسؤول في المنطقة إن « الأوامر صدرت لوحدات العمل بالاستعداد لدى أحداث غير متوقعة» . وأضاف المسؤول أنه صدر حظر على بناء المساجد الجديدة (!) وقال مسؤول آخر إن « البعض يستخدم الدين لممارسة نشاطات غير مشروعة» وكالمعتاد في مثل هذه الحملات الجائرة أطلق المسؤولون الصينيون الاتهامات جزافاً على من أسموهم بـ «الانفصاليين» بأن لهم صلات بالخارج ، وأنهم يقاتلون لإقامة جمهورية مستقلة في المنطقة!!.

ولفهم خلفيات الحملة الصينية الحالية على المسلمين في تركستان الشرقية (سينكيانج) لابد من العودة إلى فلسفة الحزب الشيوعي الصيني التي يطلقون عليها « النضال ضد الدين» وتتلخص هذه الفلسفة في منح أصحاب المعتقدات الدينية حرية ممارسة شعائرهم الدينية العادية ، ومنعهم من ترويج دعاياتهم الدينية وفي مقابل ذلك لابد من تأمين حرية الملحدين في نشر دعاياتهم الإلحادية . وبذلك يمكن أن يتلاشى الدين بالتدريج كما يزعمون.

وتقول الدكتورة فرانسواز أوبان - مديرة الأبحاث بمركز الدراسات الصينية في المدرسة العليا للعلوم الاجتماعية في باريس - إن تاريخ النصوص القانونية التي تنظم الممارسة الدينية يعود إلى عام ١٩٨٢م والوثيقة الصادرة عن اللجنة المركزية المعروفة بالوثيقة رقم ١٩ . ومما ورد في هذه الوثيقة أن للإلحاد نفس الحقوق والوظائف الممنوحة لكل دين دون أن يسمح بممارسته داخل أماكن العبادة الرسمية . كما أن التربية الدينية ممنوعة للقاصرين الذين هم دون سن الثامنة عشرة . ويُضاف إلى ذلك أن النشاطات الدينية محظورة خارج أماكن العبادة المصرح بها وهذا يعني بوضوح أن الدعاية المضادة للدين يمكن ممارستها في كل مكان باستثناء المعابد والأديرة والجوامع والكنائس ، وفي حين أن التبشير الديني ممكن فقط للراشدين ، وداخل عدد من الأسوار والأبنية المحددة.

وفي ضوء هذه الفلسفة جاءت التعليمات التي تستهدف تقييد حق الإنسان المتدين في ممارسة شعائره الدينية وتحويل المبادئ التي تؤمن بها إلى سلوك عملي وليست مجرد عنوان فارغ. يقدم لنا الباحث التركستاني توختي أخوان أركين في دراسته المنشورة في مجلة (المجتمع) ٢٨ / ٥ / ٩٦ البرهان على هذا الأسلوب الماكر في تجفيف منابع الدين في كتاب وضعه الحزب الشيوعي الصيني لولاية كاشغر في تركستان الشرقية بالاتفاق مع الإدارة الدينية للأقليات. ويضم الكتاب دروساً ومحاضرات ألقيت في ندوة ضمت ١٣٥ شخصية من مسؤولي الأديان ورؤساء الإدارات الدينية الحكومية والحزبيين ومدرسي الأديان وعُقدت الندوة فيما بين ٩,٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٤.

الخطوط الرئيسية

وقد وضعت الندوة الخطوط الرئيسية لإنفاذ الحزب الشيوعي الصيني في محاربة الدين، وبخاصة الدين الإسلامي ، ومما ورد فيها:

- منع حلقات حفظ القرآن الكريم وتعليم أحكام الدين في المساجد والمنازل ، وأن يتم ذلك في المعاهد الدينية الرسمية المحدودة تحت إشراف الحكومة.

- قصر التعليم الديني على البالغين فقط وهم الذين تجاوزا الثامنة عشرة!.

- حظر ترميم المساجد وإصلاحها أو بناء الجديد منها إلا بإذن رسمي.

- منع دخول علماء الدين في الأحوال الشخصية مثل عقود الأنكحة والطلاق والميراث وجمع الزكاة وصرفها.

- تسخير المفاهيم الدينية في ترويج النظام الشيوعي وتأيد ممارسات السلطات الصينية، ومنع الإشارة إلى أي مفهوم ديني ينتقد الفكر الماركسي الماوي.

- حظر اتصال الهيئات الدينية ورجالها بالمؤسسات الإسلامية وشخصياتها خارج الصين ، كما يمنع تلقي المساعدات من الخارج بدون تصريح رسمي ومنع السماح لأي عالم أو إمام أجنبي من إمامة المسلمين أو الخطابة فيهم.

- حظر الإمامة والخطابة والوعظ والإرشاد على غير الأئمة الرسميين.

وقد أكدت القرارات الحكومية تطبيق هذه التعليمات التي تهدف إلى تضييق حركة التدين وتجفيف منابعها حيث نشرت صحيفة (سينكيانج ديلي) الرسمية في ٦ أغسطس (آب) ١٩٩٤م قانوناً سُمي بـ " قانون مراقبة النشاط الديني " وهو يتكون من ٢٢ مادة . وقد صادق عليه مؤتمر سينكاينج الشعبي ثم وضع موضع التنفيذ في بداية أكتوبر (تشرين الأول) من العام نفسه. ومما جاء في هذا القانون:

- لا يحق لأي كان أن يستغل الدين للإضرار بوحدة الأمة والشعب والاستقرار الاشتراكي أو يهاجم سياسة تحديد النسل ونظام التعليم الحكومي الإلحادي.

- يخضع جميع رجال الدين من العلماء والأئمة لزعامة الحزب الشيوعي الصيني ويعملون بالنظام الاشتراكي.

- تعمل الهيئات الدينية على تنفيذ سياسات الحزب الشيوعي تجاه الدين.

- لا يُسمح لأي هيئة أو شخصية دينية بفتح مدرسة أو فصل ديني إلا بعد موافقة مجلس الوزراء.

- لا يمكن طبع ونسخ وتوزيع الكتب أو المنشورات أو التسجيلات الدينية بدون موافقة السلطات الرسمية.

وفي العشرين من يوليو (تموز) ١٩٩٥م أصدرت السلطات الصينية في مدينة خوتن تعليمات صارمة لتقييد النشاطات الدينية في المدينة ، ومنها:

- منع تدخل الأئمة وعلماء الدين في نظام التعليم الحكومي (الإلحادي) وصرف الشباب عن الانخراط فيه.

- حظر ممارسة الشباب للشعائر الدينية.

- منع استخدام مكبرات الصوت في المساجد ، وكذلك منع استخدام التسجيلات الدينية في أماكن الاجتماعات العامة.

- منع دخول النساء إلى المساجد.

- منع المنتمين إلى الحزب الشيوعي من ممارسة شعائر الدين من صلاة وصوم ونحوهما ومعاقبة من يفعل ذلك.

إن هذه السياسة المتطرفة في تقييد حرية التدين وممارسة الشعائر وحظر التعليم الديني وعزل المسلمين عن الاتصال بإخوانهم في الخارج ، وبالمقابل إجبارهم على اعتناق المبادئ الشيوعية وفرض التعليم الإلحادي في جميع المدارس ، إن كل هذا لا يمكن تفسيره إلا بأنه عمل منظم لاقتلاع بذور الدين وتجفيف منابع التدين في مجتمع تدين غالبيته بالإسلام.

ومن المؤكد أن هذه السياسة القمعية مهما بلغت من العنف والقسوة لن تستطيع تحقيق أهدافها الخبيثة فالدين ، وبخاصة الدين الإسلامي ، متجذر في نفوس أتباعه ولا يمكن أن يُقتلع.

وقد جربت الأنظمة الشيوعية وغيرها تحقيق ذلك ففشلت فشلاً ذريعاً . ولا ندري لماذا تعيد الصين الآن تجريب هذه السياسة التي فشل فيها غيرها. بل فشلت فيها الثورة الثقافية التي قادها ماوتسى تونج في الستينيات ، ولم تجنِ منها الصين سوى الخسران وأصبحت أكثر الصفحات سواداً في تاريخها القديم والحديث.

مساوئ سياسة القمع

ولكن سياسة القمع لابد أن تولد عنفاً مضاداً في المقاومة والبحث عن الخلاص ، ومن هنا تختلط المشاعر الدينية بالطموحات السياسية وتنتقل حركة المقاومة من بُعدها الديني المحدود إلى أبعاد أكثر خطورة على الطرفين.

إن ما يجري الآن في منطقة سينكيانج (تركستان الشرقية) أمر خطير ينذر بانبثاق جرح جديد لا قبل للأمة الإسلامية بآثاره الحاضرة والمستقبلية.

ولا تزال الأحداث في بدايتها فهل تتحرك الدول والحكومات الإسلامية الصديقة للصين لاحتواء الأزمة؟ وهل تستثمر علاقاتها مع الصين لنصحها لكي تخفف من

ضغوطها على المسلمين في تركستان الشرقية (سينكيانج) وتبحث عن صيغة ملائمة وعادلة للتعامل معهم قبل أن تستفحل الأمور وتصل إلى طريق اللاعودة؟ وهل تتحرك المنظمات والهيئات الإسلامية ، كمنظمة المؤتمر الإسلامي ، ورابطة العالم الإسلامي ومثيلاتها لتقول كلمتها وتنصر إخوانها بالتعريف بما يعانون منه ومساعدتهم على تلمس الطريق الصحيح وحشد التأييد لهم في ما يحقق مصالحهم؟ وهل يمكنها أن تمارس نوعاً من الضغوط العاقلة على الصين لإعادة النظر في سياستها القمعية الجائرة ضد المسلمين؟.

جريدة "الشرق الأوسط"

١٩٩٦م

في تركستان الشرقية :

إجبار النساء الحوامل على الإجهاض بالقوة

بقلم: توختي أخوان آركين

ترفض تركستان الشرقية بعزة المسلم فرض الوصاية عليها ، وتقاوم محاولات التذويب العرقي والثقافي ، حركات المقاومة تجري في تتابع لا ينقطع تؤكد عزم مسلمي تركستان على كسر طوق العزلة والتبعية المفروض عليهم من غيرهم التي تحاول جاهدة إبقاءهم تحت قبضتها رافضة نزعتهم الاستقلالية عنها.

ما يجري على الساحة التركستانية عمل ليس وليد اللحظة بل هو عمل يستهدف هزيمة ما تبقى من ذيول الشيوعية رافضين في إباء السماح للشيوعية أن تمارس استمرار عزلهم وتغريبهم.

إن تركستان تشهد حركة متسارعة تستعيد فيها المسلمون حقهم في إدارة بلادهم شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الدول الإسلامية التي انتزعت استقلالها كما فعل البوسنيون والشيشانيون الذين يتواصل جهادهم من أجل أن تبقى الهوية الشيشانية المسلمة بعيدة عن القبضة الروسية وبشائر فجر دولتهم قد لاح في أفق صباح تلك الدول المسلمة بمشيئة الله.

تحاول الصين جاهدة إبقاء تركستان الشرقية تحت قبضتها وطبقاً لما ذكرته جريدة شينجانغ الرسمية أن الجيش قد أنهى أكثر من عشر محاولات في تركستان في عام ١٩٩٤م اعترفت الصين بأنها حركات ذات نزعة استقلالية وهي أحداث يصعب تسجيل وقائعها لكثرتها وتعدد أماكن وقوعها في وقت حرصت الأجهزة الصينية على التكتم عليها وفرض السرية على أخبارها منعاً لتسربها إلى الخارج ، بل تعدى الأمر إلى تعتيم داخلي عليها.

وبالرغم من المحاولات الصينية لضرب ستار على هذه المحاولات إلا أن البعض منها تسرب للإعلام الخارجي رغم محاولات التعتيم الإعلامي المتعمد تلك كما شهدت بذلك أحداث مسجد بارين التي بدأت في الرابع من أبريل ١٩٩٠م وتناولتها مختلف وكالات الأنباء العالمية في حينها.

خلفية الأحداث

شهدت بدايات عام ١٩٩٠م إشارات مراسلي وكالات الأنباء إلى الإجراءات الصارمة والقاسية التي اتخذتها الصين للحيلولة دون تزايد النشاط الديني والاستقلالي الذي يتزايد بسبب المتغيرات الدولية في الاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية.

ومن ذلك ما ذكر مراسل (رويتر) في تصريح لإسماعيل أحمد وزير شؤون القوميات من احتمالات اندلاع مشاكل عرقية في الصين في ١٤ / ٢ / ٩٠ كما نقل مراسل أشيوسيتدبرس في ١٦ / ٢ / ١٩٩٠م دعوة زعماء الصين إلى وحدة القوميات.

وفي نيورك تايمز كتب رئيس وزراء الصين يدعو إلى الاحتراز من حركات الانفصال العرقي، وذلك في ٢٠ / ٢ / ١٩٩٠م فيما أشارت جريدة الفارس والخيال في مقالة لها في ١٠ / ٣ / ١٩٩٠م إلى ما تواجهه الصين من اضطرابات في التبت وسينكيانج وفي ١٤ من نفس الشهر نقل مراسل وكالة الأنباء الفرنسية خبراً عن إجراء صارم ضد المسلمين نقلاً عن صحيفة سينكيانج الرسمية الصادرة في أورومشي بتاريخ ٨ / ٣ / ١٩٩٠م، أن رئيس مقاطعة سينكيانج تيمور داومت شن هجوماً على القوى الأجنبية التي تعمل على فصل تركستان الشرقية عن الصين ودعا إلي اتخاذ تدابير شديدة وتشكيل لجنة عليا تعمل على منع تدخل القوى الدينية الخارجية على حد قوله. فيما نشرت نفس الجريدة تقريراً لحكومة تيمور عما اسمته بوقف جميع النشاطات الدينية غير القانونية وتشديد سيطرت السلطات الشيوعية على الدين ومنع تدخله في الإدارة والقضاء والتعليم والثقافة والصحة والأحوال الشخصية.

استخدام القوة

كل تلك الأحداث والوقائع أشارت إلى أن الحكومة الصينية أرادت تهيئة الرأى العام المحلى لإيجاد مبررات لإجراء صارم ضد النشاط الإسلامي الذي فشلت الضغوط المعنوية والمضايقات في إيقافه في تركستان الشرقية فالتركستانيون لا يعتبرون الإسلام ديناً فحسب، بل هو هويتهم الذاتية وكيانهم الذي يحميهم - بإذن الله - من سياسة التصيين العرقي والثقافي (التذويب).

وفي كلمة ألقاها في الاجتماع الدوري الثالث عشر للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في أورومشي في ٢٧ مارس ١٩٩٠م لوّح زعيم الحزب في مقاطعة سينكيانج

سونغ خان باستعمال القوة لوقف جميع النشاطات الدينية التي اعتبرتها غير قانونية ، وكذلك الحركات الوطنية التي أخذ التركستانيون يعيدون تنظيمها في ظل المتغيرات الدولية.

تحرش شيوعي

لم ينقضِ أسبوع على تهديد زعيم الحزب الشيوعي في مقاطعة سينكيانج بالضرب بيد من حديد على المسلمين الذي صادف اليوم الأول من شهر رمضان في ذلك العام، حتى بدأ الأسبوع الثاني بتحرش شيوعي ضد المسلمين، إذ منعت السلطات الشيوعية بناء مسجد قرية جيكي في بلدة بارين التابعة لمحافظة اقتو في كاشغر والذي قوبل بالرفض من المسلمين.

وتوالت الأحداث فانتهز مساعد رئيس اللجنة الشيوعية ومساعد مدير الشرطة لمحافظة اقتو تجمع حوالي ٢٠٠ مسلم لأداء صلاة العشاء والتروايح في التاسع من رمضان ١٩٩٠م في أرض المسجد الذي صدر الأمر بعدم بنائه وعدم الصلاة في هذا الموقع انتهى برفض المسلمين واعتقال الإمام عيسى مولا بالقوة ؛ فأثار هذا التصرف غيرة هؤلاء المسلمين الذين ذهبوا لمقر محافظة بلدة اقتو مطالبين بإطلاق سراح إمامهم وتمكينهم من ممارسة حقوقهم الدينية فأدوا صلاة الفجر جماعة أمام مقر المحافظة صبيحة العاشر من رمضان في ذلك اليوم.

قوة عسكرية

واجه مساعد رئيس اللجنة الشوعية لمحافظة بلدة اقتو طلب المسلمين إطلاق سراح الإمام عيسى مولا ورفع القيد على بناء المسجد بطلبه من رئيس لجنة الحزب الشيوعي في حكومة قيزبل سواويلاست إرسال قوة عسكرية لفض الجماعة الإسلامية التي تصر على إطلاق سراح الإمام وعدم تعرض السلطات الشيوعية لبناء مسجدهم وصلاتهم ، وتواصلت الأحداث العسكرية من مختلف قطاعات الجيش والشرطة وميليشيات جيش الإنتاج وحاصرت هذه القوات الشيوعية المسلمين العزل وقبضت على جمال محمد و ١٩أخرين من وجهائهم؛ فثار المسلمون واشتبكوا مع تلك القوات وتمكنوا من أسر بعض رجال الأمن واغتنام أسلحتهم، كما تمكنوا كذلك من قتل قادة فرقة سلاح الحدود في محافظة اقتو والاستيلاء على سيارتهم وأسلحتهم وهؤلاء القادة هم: معادون قائد الفرقة

شوشين جيه، وانغ جينغ، وكوشووين، ولوجيه الذين كانوا في طريقهم إلى قرية بارين، كما اعترضوا كذلك طريق مساعد رئيس الفرقة السادسة لشرطة كاشغر المسلحة علي يسن وعريف ومساعد محافظ قيزبل سواوبلارست سعيد توختي وكانت حصيلة هذه الأحداث والمواجهات بين القوات الشيوعية والمسلمين العزل إلا من سلاح الإيمان سقوط أعداد كبيرة منهم قتلى.

المعالجة الهادئة

في أعقاب أحداث المواجهة غير المتكافئة تلك رغب المسلمون في معالجة الوضع وحقن الدماء، فطلب متحدثهم زين الدين يوسف إطلاق سراح المعتقلين من الطرفين وتهدئة الأمور إلا أن طلبهم هذا قوبل برفض من الجانب الصيني بإطلاق سراح من تم احتجازهم من المسلمين الأمر الذي دعاهم لطلب مقابلة المسؤولين المدنيين من رجال الحكومة والحزب الشيوعي الصيني لبحث المشكلة معهم، ولكن طلبهم هذا قوبل برفض مماثل لسابقه مع العسكريين مما أدى الأمر لاستمرار المناوشات بين الطرفين فقُتل زين يوسف من المسلمين فجر الحادي عشر من رمضان عام ١٤١٠هـ.

تصاعد المواجهة

لقد أكدت وقائع الأحداث أن القوات الصينية أحكمت التخطيط لمواجهة المسلمين في شهر رمضان الذي يعتبر شهر عبادة وطاعة للحيلولة بينهم وبين أداء شعائرهم في ركن هام من أركان الإسلام الأمر الذي يكشف نواياهم المبيتة ضد المسلمين وضرب نشاطهم الإسلامي بصفة شاملة حيث تم نقل قوات عسكرية من قاعدة لانجو الحربية بقيادة لي شوه نخوا والجنرال دونغ جين لين نائب قائد القاعدة الحربية، كما وصل إليها من بكين قائد الجناح العسكري في الحزب الشيوعي الصيني المركزي الجنرال وانغ وين لى ورئيس الإدارة الأولى في وزارة الأمن والمباحث العامة سنغ جى ول، وقدرت تلك القوات المنقولة بحوالي عشرين ألف فرد بينها فرقة طيران حربية نُقلت خصيصاً من لانجو القاعدة الحربية لمنطقة شمال غربي الصين.

مطاردة المسلمين

بدا واضحاً مخطط الحزب الشيوعي الصيني لضرب الحركة الإسلامية في تركستان فها هو في إطار هذا المخطط يعد قوات بحجم عدد سكان المنطقة الصينية التي أعدت لمواجهته

البالغ تعدادها عشرون ألف جندى مقابل ١٩ ألفاً و٦٩٥ مواطناً لا يملكون من أسلحة المواجهة مع القوات الصينية سوى السكاكين والفؤوس والعصي.

اقتحام وتفتيش واعتقال

وفي صباح الجمعة ٦ أبريل ١٩٩٠م قامت القوات الصينية بهجوم كاسح على قرية بارين وبلدة اقتو وما جاورهما شملت فيه عمليات التفتيش كل بيت فاعتقلت ٦٤٩٠ فرداً من سكان بلدة اقتو.

فيما بدأ سلاح الجو الصيني يتعقب المسلمين الهاربين من مكان لآخر، وأعلنت حالة الطوارئ من جنوب تركستان الشرقية كلها لاعتقال كل شاب يُشتبه في تمسكه بالإسلام فبثت هذه الأحداث الرعب والخوف بين المسلمين ولا سيما بين طلاب العلوم الشرعية الذين يدرسون في المساجد؛ فهرب بعضهم إلى القرى والجبال، فيما حاول بعضهم الآخر اللجوء إلى باكستان وأفغانستان، فألقت القوات الصينية القبض على أكثر من ألفي شاب في كاشغر ويكلي حصار وقار غليف وخوتن وكوجار واقسو بتهمة العمل الإسلامي والانتماء إلى الحزب الإسلامي الديموقراطي في تركستان الشرقية.

تزييف الحقائق

ثم أعلنت السلطات الشيوعية نتائج حملتها العسكرية فأشارت إلى أن عدد القتلى بلغ ٢٣ قتيلاً بينهم (٨) من جنودها و (١٥) من المسلمين و (٦٦) جريحاً من الطرفين. فيما أفادت أقوال المواطنين مقتل (٦٠) مواطناً على الأقل وذكروا أن الجرحى لا حصر لهم.

ونشرت الحكومة الصينية من جانبها كتاباً باسم الأبطال ضحايا تهدئة الاضطرابات سردت فيه ترجمة لحياة الأشخاص الثمانية من منسوبي الشرطة والأمن والجيش الصيني.

أما الشهداء من أبناء المسلمين المجاهدين الذين اشترى الله عز وجل أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة، فقد كتب عنهم محمد أمين حضرت اللاجئ التركستاني في تركيا مقالة في جريدة زمان التركية في ٦ أبريل ١٩٩٣م.

مجلة " الدعوة "

١٨ يوليو ١٩٩٦م

٣ ربيع الأول ١٤١٧هـ

اسمها لا يزال تركستان

بقلم : خالد عبد الرحيم المعينا

تصاعدت الاضطرابات في الغرب الأقصى من الصين حيث يشكل المسلمون أغلبية السكان . وبدأت السلطات الشيوعية في اعتقال قادة المسلمين بتهمة إثارة القلاقل . والحقيقة ، فهذه تهمة باطلة ومردودة لأن المسلمين هم السكان الأصليون لهذه المنطقة التي أطلقت عليها الصين الشيوعية اسم إقليم سينكيانج ، وكان اسمها الأصلي ولا يزال هو تركستان . وقد اقتسمت الصين والاتحاد السوفياتي هذه المنطقة بينهما في إطار سياسة الهيمنة الشيوعية.

وطالت الاعتقالات آلاف المسلمين الذين لم يطالبوا بشيء غير حريتهم الدينية والاستفادة ، على قدم المساواة مع المواطنين الصينين من خيرات الإقليم الغني بالثروات الطبيعية والمعدنية.

وإلى جانب الاعتقالات والقمع والتعسف عمدت الحكومة الشيوعية في بكين إلى تغيير التركيبة السكانية لمنطقة تركستان الشرقية ، وذلك عن طريق جلب الصينيين من غير المسلمين وتوطينهم في المنطقة الغنية بثرواتها الكامنة.

وجعلت الحكومة الشيوعية أيضاً من تركستان الشرقية مكاناً لإجراء تجاربها النووية ، غير عابئة باحتجاج المسلمين أو ما يترتب على ذلك من أضرار من جراء الإشعاعات النووية.

وفسر المراقبون حركة القمع الأخيرة التي مارستها السلطات الشيوعية ضد المسلمين بأنها محاولة لإسكاتهم ووضع غطاء صلب من السرية والتكتم على أزماكن الاضطرابات المحتملة وهي إقليم سينكيانج ومنطقة التبت.

ولا ترغب بكين في أن يعرف العالم بوجود أي اضطرابات في أي مناطقها ، خاصة وهي ستستعيد جزيرة هونج كونج من بريطانيا العام المقبل.

وتدعي السلطات الشيوعية بأن الإرهاب والهوس الديني هما المصدر الأساسي للاضطرابات في أقاليمها الغربية ، وتقول أن غالبية السكان المسلمين في المنطقة لا تبدي أي نوع من التعاطف أو التأييد للأصوليين.

ويقول المراقبون أيضاً أن بكين ومن خلال قمعها الفوري للمسلمين في سينكيانج قد حاولت توصيل رسالة لكل الوطنيين، الذين قد يفكرون في تحدي السيطرة الشيوعية ، بأنها لن تسكت عن ذلك وستقابل أي تحرك لهم بالشدة والحزم.

وبعكس ما يطالب به الدالاي لاما زعيم التبت ، وهو الاستقلال التام لدولته ، فإن مطالب المسلمين في سينكيانج لم تتجاوز السماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بحرية وسلام، والسماح لهم بالسفر للخارج دون قيود أو تعقيدات، وإعطائهم نصيبهم المفروض من خيرات الإقليم وثرواته.

وفي الحقيقة فإن مطالب المسلمين في هذا الوقت تتزامن مع مرحلة دقيقة تمر خلالها القيادة الصينية بمرحلة انتقالية. وتكتسب هذه المطالب أهمية خاصة بالنظر إلى كونها تجيء بعد انهيار الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفياتي وظهور دول إسلامية مستقلة في آسيا الوسطى كانت تخضع للحكم الشيوعي الذي جثم على صدورها لنحو ٧٠ عاماً.

وبقيت سينكيانج أو تركستان الشرقية هي المنطقة الوحيدة ذات الأغلبية المسلمة في آسيا الوسطى والتي لا تزال تحت السيطرة الشيوعية الكاملة.

وتعتقد الصين بأنها إذا خففت قيودها على المسلمين في تركستان الشرقية فإن هذا سيكون بمثابة بداية لسيل لن ينقطع من الاضطرابات والمشاكل.

وهذا آخر شيء قد تريده أي حكومة في العالم !.

جريدة "الشرق الأوسط"

٦ أغسطس ١٩٩٦م

تململ في كاليفورنيا الصين

بقلم : أمير طاهري

بناة الإمبراطورية البريطانية الأوائل أسموها « آسيا السرية » . وأطلق عليها الصينيون لفترة مديدة اسم « الغرب الأقصى » أما الروس فأسموها بـ « خلف الما وراء » أما باللغات الفارسية والتركية والعربية فتُعرف باسم « تركستان».

وبالطبع فإننا نتحدث عن سينكيانج ، وهي رقعة شاسعة من الصين الغربية تجثم بين فكي منغوليا وآسيا الوسطى . وهذه الأرض المنسية التي يقبع فيها ثلث المسلمين تقريباً تحت الحكم الصيني، رقعة محرمة على الأجانب منذ خمسة عقود . أما في الأسابيع الأخيرة ، على أي حال ، فقد فُرضت قيود إضافية على السفر إلى سينكيانج تشمل حتى الفنيين والمديرين التنفيذين الأجانب ممن يعملون في المؤسسات الحكومية.

في الوقت ذاته أصبحت سينكيانج موئلاً مفضلاً للزيارات الرسمية التي يقوم بها كبار المسؤولين العسكريين والمدنيين من بكين. الواقع أن كل من له شأن في بكين لابد أن يكون قد توجه الأسابيع القليلة الماضية إلى أورمشي وكاشغر ، أكبر مدينتين في المنطقة ، وكان بين الزوار الرئيس جيانج زيمين ، ورئيس الوزراء لي ينج ، ورئيس أركان القوات المسلحة ، المارشال قوكوان يو.

كما دأبت وسائل الإعلام الصينية في الوقت ذاته على إيراد إشارات غريبة عن «الحاجة إلى حفظ الأمن والاستقرار في سينكيانج» ، ونشرت صحف بكين تقارير عديدة تشير إلى « عصابات واضطرابات » في المقاطعة النائية . وفي وقت مبكر من العام الحالي ، وقعّت الصين ، حلفاً مع روسيا وقازاقستان وقيرغيزستان وطاجيكستان من أجل التصدي « للإرهابيين ورجال العصابات الأصوليين المسلحين».

أعقب ذلك نشر لا سابق له لقوات الأمن الصينية على طول حدود سينكيانج الطويلة الممتدة إلى الشمال والشرق.

وخلال الصيف ، شن الأمين العام للحزب الشيوعي في سينكيانج ، وانج ليكوان ، حملة واسعة ضد ما أسماه « الأرضية المفرخة للإرهاب » . فأغلق أكثر من ٦٠٠ مدرسة لتعليم القرآن خلال ثلاثة أسابيع ، كما أغلق نحو ٢٠٠ (جامع غير مرخص). وراحت شرطته السرية تصادر عشرات الآلاف من الكتب وأشرطة الفيديو والكاسيت التي يزعم أنها تحتوي (أدباً تخريباً)».

ولم تتوقف الحملة عند ذلك . فبموافقة من بكين ، طُرد نحو ٤٠٠ موظف يُشتبه بأنهم يحملون « ميولاً خطيرة» . وبلغ عدد المعتقلين بتهم ممارسة « نشاطات مضادة للدولة » بنحو ١٥ ألفاً ، رغم أن عدد الباقين منهم رهن الاعتقال حتى الآن غير معروف على وجه الدقة ، وذُهل أحد زوار كاشغر مؤخراً من ضخامة القوات العسكرية الصينية التي نشرت حول جامع عيد - جاه خلال صلاة الجمعة ، فقد أُحيط هذا الجامع المتواضع بقوات خاصة مسلحة تسليحاً ثقيلاً في سيارات مصفحة ، تحوم فوقها طائرات الهليكوبتر الهجومية.

إذن ، ما الذي يجري في « الغرب الأقصى» من الصين؟ . هذا هو السؤال الذي سيحتل مركز اهتمام ندوة دراسية هذا الأسبوع في إسطنبول بمشاركة خبراء من درزينة من البلدان ، جاءوا في مسعى لحل اللغز بلملمة أجزائه المبعثرة ووصلها حتى تستبين الصورة.

•

لقد كانت سينكيانج ذات يوم أرضاً نائية لا تعد بالكثير ، أما اليوم فإنها تبدو بمثابة كاليفورنيا الصين وأن « حمى الذهب» في كاليفورنيا ، اتخذت في سينكيانج صورة نمو مذهل لصناعة النفط والغاز ، ويعتقد أن المنطقة تتوفر على أغنى موارد الطاقة على البر في العالم ، كما أنها تحوي أكبر مستودع منفرد لليورانيوم في آسيا . وكما يعرف أي قارئ للأدب الفارسي ، أن سينكيانج تتفاخر بالكثير من مكامن الذهب والأحجار الكريمة. زد على هذا أن تقنيات الزراعية الحديثة يمكن أن تسمح للسهول الشاسعة الخصبة في المنطقة بأن تتحول إلى مصدر غني للثروة للصين وأسيا الوسطى . كما أن سينكيانج هي موطن جل الصناعة النووية العسكرية للصين. بتعبير آخر إن قيمة سينكيانج كعقار صرف قد زادت زيادة مذهلة من ناحية توازن القوى الكوني.

لكن المشكلة العصبية بالنسبة إلى بكين أن غالبية سكان سينكيانج هم من المسلمين الناطقين بمزيج من اللهجات التركية ، مثل الأويغور ، ويعتبرون الصين قوة استعمارية تحتل وطنهم . وحتى مطلع الستينيات، كان الأتراك المسلمون يشكلون نحو ٩٥٪ من سكان المنطقة . ولكن منذ ذلك الحين انتهجت الصين سياسة استيطان مقصودة بتشجيع ، بل حتى بإرغام ، عناصر من قومية الهان للارتحال إلى هذه البقعة النائية والاستقرار فيها. واليوم يشكل الهان نحو ٤٥٪ من السكان.

كم يبلغ عدد المسلمين في سينكيانج ؟ لا أحد يعلم علم اليقين . فمثل هذه

ـحصائيات ، عند بكين ، في عداد الأسرار الكبرى ، وإن كان العدد الإجمالي ـسلمين في الصين يُقدر بما بين ١٥ إلى ٥٠ مليون نسمة . نصف هؤلاء من قومية ـان، ممن اعتنقوا الإسلام . ولابد أنهم يعتبرون « صينيين كاملين » فيما عدا معتقدهم ـيني . وبالطبع فإن الهان المسلمين لا يشعرون بأي غربة في الصين ، رغم حقيقة ـضهم للاضطهاد والمضايقة بسبب معتقدهم . أما حالة مسلمي منطقة سينكيانج ـختلفة. فليس لهؤلاء أي شيء مشترك مع الصين و الصينيين، لا لغة ولا دينا ، ـظارهم التاريخية» توجهت دوماً صوب الشمال والغرب، بعيداً عن الصين ويحاول ـدب الصينى الرسمي ، بالطبع أن « يثبت » أن سينكيانج كانت « دوماً » جزءاً لا يتجزأ ـن الصين، كما لو أن كلمة «دوماً » أي معنى حقيقي في التاريخ ، ولكن حتى لو ـرضنا أن الحال كان هكذا حقاً ، فإن الواقع يؤكد أن هناك كثرة من المؤشرات التي تبين ـ قطاعاً من سكان سينكيانج على الأقل غير سعداء بالوضع الراهن للأمور.

هل يرجع هذا الشعور بالتعاسة إلى شغف مفاجئ بـ « الأصولية» ؟ أم إنه نتيجة ـؤامرة حاكتها قوى غربية معينة » لتمزيق أوصال الصين ؟ أم إننا نشهد حركة انفصالية ـية ترتكز على العرق والقومية لا إلى الدين؟

الجواب الصريح عن كل هذه الأسئلة : لا نعرف جلية الأمر الواقع لا أحد يعرف ـلية الأمر حقاً. ومرد ذلك أن المنطقة مغلقة ، والمعلومات عنها تُعامل معاملة الأسرار ـورية . المعطيات التي توفرها مختلف جماعات المعارضة في المنفي ، بما في ذلك الجبهة ـطنية لتحرير أويغور ، التي لها مقر في ألما آتا (عاصمة قازاقستان) مفيدة نوعاً ما ، ـكنها تستوجب الحذر المعتاد. مؤسسة تركستان الشرقية ، ومقرها إستطنبول ، هي ـدر معلومات أكاديمية أغنى ولكن حتى هذه المؤسسة لا تستطيع الادعاء بأنها مطّلعة ـلاعاً كاملاً على أرض تحيطها الصين بسور سياسي عازل . ومن المفترض ألا يعمد ـاركون في ندوة إسطنبول إلى تسليط الإضواء على ما يبدو بمثابة وضع متفجر في قلب ـ .

ـن توتر أعصاب بكين إزاء التململ في سيكيانج أمر مفهوم . لقد شهد قادة الصين ـ أن الإمبراطورية السوفياتية ، التي كانوا يخشونها خشية كبيرة ، تهاوت مثل كومة ـق اللعب . وأن الأدب الرسمي الصيني يعزف على وتر أن تفكك الاتحاد السوفياتي

كان نتيجة « مؤامرة دولية» كبرى محبكة بعناية على الولايات المتحدة في عهدي رونالد ريجان وجورج بوش.

وعليه بينما تتهيأ بكين لاستعادة هونج كونج وكاو من قوتين استعماريتين أوربيتين ، فإنها لا يمكن أن تطيق فكرة انفصال مناطق أكبر من هاتين . لقد خيّم التوتر على التبت طوال الأربعين عاماً الماضية ، في حين أن منغوليا الداخلية ومنشوريا ، و إن كانتا موطني غالبية من قومية الهان ما تزال تتمسك بأحلام الاستقلال ، وإذا ما انفصلت سينكيانج ، فإن التبت ومنغوليا الداخلية ومنشوريا ستنفصل أيضاً . هذا الأمر يرعب بكين ، التي تتطلع أصلاً إلى توسيع إمبراطوريتها بالحاق تايوان.

ومن مفارقات الأمور أن بكين نفسها تسهم على غير دراية في زيادة المشاكل في سينكيانج لأنها تعالج المظالم المشروعة للناس هناك باعتبارها « تآمراً أجنبياً ».

إليكم مقتبساً من ماو تسي تونج : « إن العلاقة بين العوامل الخارجية والعوامل الداخلية تشبه علاقة الحرارة المسلطة على بيضة . فإن جاءت الحرارة على بيضة حقيقة خرج منها فرخ صغير. وإذا سلطت على قطعة حجر ، فلن يخرج منها شيء»!. أمعنوا التفكير لعل ماو سرق هذه المقولة من كونفوشيوس . ثم ماذا ؟ إن فحواها هو المهم في الأمر.

جريدة : " الشرق الأوسط "

٢٢ أكتوبر ١٩٩٦م

التركستانيون المسلمون

يعانون من البؤس والظلم في غيبة الهيئات الإنسانية

رابطة العالم الإسلامي (إدارة الدراسات والبحوث)

بلاد التبت التي تحتلها الصين الشعبية يبلغ عدد سكانها حوالي ثلاثة ملايين نسمة وأغلبهم من البوذيين مع أقلية مسلمة تعتبرهم السلطات الشيوعية من قومة خوىHUIZU مع أنهم تبتيون مسلمون . . والتبتيون مثل جيرانهم وشريك محنتهم التركستانيين يعانون مرارة الحكم الأجنبي ويقود كفاحهم زعيمهم الديني الدلاى لاما الذي التجأ إلى الهند عام ١٩٥٩. وقد لقي الدلاى لاما الدعم والمساندة من كثير من دول العالم، وله مكاتب منتشرة في القارات الست، وله في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها أكثر من عشرين ممثلية، ولا تتردد الحكومات والهيئات الدولية من مساندته ودعم قضية التبت وتمارس ضغوطها السياسية والاقتصادية ولا تبالي في ذلك غضب الصين أو سخطه.

وأقرب مثال لذلك فقد عقد مؤتمر دولي حول التبت نظمته مؤسسة فريدريش ناوم من الحزب الليبرالي الشريك في الحكوم الألمانية في يوم الاثنين ١٨/ ٦ / ١٩٩٦ وأقر المؤتمر الذي حضره الزعيم الديني الدالاى لاما وشارك فيه ٣٥٠ من رجال الألماني قرارات المؤتمر الجامعات والفكر و السياسة والمؤسسات غير الحكومية من مختلف بلاد العرب مطالبة بكين بفتح حوار مع الدلاى لاما كما أقر خطة عمل هدفها حماية الثقافة والدين فى التبت وإعطاء هذه المنطقة حكما ذاتياً وأقر البرلمان الألمانى قرارات المؤتمر المذكور وأعرب عن انتقاده لسياسة الصين القمعية في التبت وطالب بتحسين ظروف التبتيين مجمداً الاتصالات الرسمية وقد أدى ذلك إلى إلغاء زيارات لوزراء ألمان إلى الصين منهم وزير الخارجية كلاوس كنيل ووزير الاقتصاد جونتر ريكسرودت ووزير التنمية والتعاون الاقتصادي كاريل ديتر شيرانجر . . مع أن الصين تُعتبر ثالث أكبر شريك تجاري لألمانيا في الشرق إذ بلغت قيمة صادرات ألمانيا إلى الصين ١٥,٩ بليون مارك و الواردات حوالى ١٠,٧ بليون مارك في عام ١٩٩٥م.

وفي المقابل نجد قضية تركستان الشرقية التي هي بلاد إسلامية تسكنها أكثرية مسلمة تُقدر بحوالي ٦٠٪ من سكانها البالغ عددهم ١٧ مليون نسمة حسب الإحصاءات الحكومية يعاني المسلمون إجراءات وممارسات جائرة تهدف لإذابتهم عرقياً وثقافياً بضغوط

اقتصادية واجتماعية وسياسية عنيفة وهم يحاولون الاحتفاظ بشخصيتهم الإسلامية وهويتهم القومية، ولكن لا يجدون دعماً ومؤازرة وإنما صدوداً وإعراضاً من المسلمين حكومات وهيئات، بل بالعكس دعوة إلى التجاهل ودفاعاً عن الصين وما توفره من حريات لمواطنيها المسلمين في الوقت الذي تجد الصحف الصينية نفسها تكتب عن القيود التي تفرضها السلطات الشيوعية على الممارسات الدينية، فمثلاً نشرت جريدة الصين اليومية China Daily الصادرة باللغة الإنجليزية في بكين بتاريخ ٢٠ / ٧ / ١٩٩٥ بعنوان (الصين تمنع سيطرة الأجانب على الدين) وهذه صحيفة رسمية تنشر المقالات والأخبار لغير الصينيين ولم تكن جريدة محلية مع أن الصحف المحلية تحمل الكثير من هذه الأنباء مثال ذلك جريدة شينكيانغ الرسمية التي تصدر في أورومشي نشرت بتاريخ ٦ / ٨ / ١٩٩٤ القيود الخاصة بالعمل الديني في تركستان الشرقية.

والواقع أن السلطات الشيوعية تعامل المسلمين بمعيارين فما توفره للمسلمين في مقاطعات الصين يختلف عما هو موجود في تركستان وما يتمتع به مسلمو قومية خوى الصينية يختلف عما يمارسه مسلمو القومية التركية من الأويغور والقازاق والقيرغيز وأظهر مثال على ذلك حرية الفتاة المسلمة من قومية خوى الصينية في تعلم أحكام ومبادئ الإسلام في مساجد ومدارس خاصة بهن، بينما ذلك يحرم على الفتيات المسلمات في تركستان بل يُمنعن من دخول المساجد ورجال الدعوة الإسلامية الذين كانت لهم فرصة زيارة تركستان ومقاطعات الصين الإسلامية يعرفون ذلك . . علاوة على ذلك فالمسلمون الصينيون لهم حق إصدار صحف ومجلات إسلامية مثلما هو حاصل في بكين وكانسو وينجوان ولهم حرية نشر الكتاب الإسلامي فالمسلمون التركستانيون وهم لا يقلون عدداً منهم لا يحظون بهذه الحرية حتى أن مجلة المسلم الصيني كانت تصدر باللغة الأويغورية مُنع صدورها . . وإذا كان هذا التمايز في العمل الإسلامي، فالمسلمون التركستانيون محرومون من حقوقهم الإنسانية وحرياتهم إلا بقدر ما يخدم أهداف حكومة الصين الشيوعية . . والفرق ملحوظ لكل ذى بصيرة عما يجده المسلمون الصينيون في مقاطعة نينغشيا ذات الحكم الذاتي لمسلمي قومية خوى وما يمارسه المسلمون التركستانيون من حقوق في مقاطعة شينكيانغ ذات الحكم الذاتي لمسلمي قومية الأويغور.

والتبتيون هم من الديانة البوذية وأغلب الصينيين يدينون بالبوذية وهي الديانة الأولى في الصين والدالاى لاما الزعيم الروحي لهم وإن اختلفت مذاهبهم ولم يرض التبتيون

بالاحتلال الصيني ولم يُطلب إليهم ذلك لأن ما تمارسه حكومة الصين الشعبية هي عمليات تصيين وإذابة لغير الصينيين واستئصال الوجود التبتي أو التركستاني وتحويل التبت أو تركستان إلى إيالة صينية بحتة وخاصة أنها تسعى إلى إيجاد قومية واحدة تذيب فيها كل القوميات وهي ما يسمونها القومية الصينية العظمى Ta han chui وتفيد أن أمة الصين chunggua تتكون من سلالات عدة هي السلالات التي تعيش داخل حدود الصين السياسية لا تشكل أمة واحدة فحسب بل عنصراً واحداً واعتبرت قومية هان الصينية Hanzhou تطورت تدريجياً عبر القرون حيث امتص الصينيون القدماء جميع القوميات والشعوب والقبائل التي هاجرت إلى أراضيها أو عاشت على حدودها وإن هذه العلاقات التاريخية لا تزال تربط قومية هان بغيرها من القوميات العرقية الأخرى وتوطيد الحياة الاشتراكية التي يفرضها الحزب الشيوعي الصيني مع توثيق الصلات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية يؤدي في النهاية إلى تشكيل الجميع في أمة صينية واحدة كما أدى ذلك إلى نشوء قومية هان.

وهذه السياسة في مداها الطويل لا تهدد التركستانيين أو التبتيين بل تهدد المسلمين وغيرهم من الأقليات العرقية، ويكفي أن يلاحظ أن عدد المسلمين قبيل الحكم الشيوعي كان ٤٨,١٠٤,٢٤٠ نسمة حسب الإحصاء الحكومي لعام ١٩٤٨ وبدل أن يزيد عددهم بعد خمسين عاماً يُلاحظ أن عددهم أصبح نحو ٨,٦٠٢,٩٧٨ نسمة حسب الإحصاء الحكومى لعام ١٩٩٠ ويكفي أن يفتخر التركستانيون أن دينهم الإسلامي هو الذي منحهم القوة لمقاومة سياسة الإذابة العرقية والثقافية التي تُمارس ضدهم وتحفظ هويتهم الإسلامية، وليس هذا فحسب بل أصبح أحد أبناء المسلمين التركستانيين وهو أوركه ش نور محمد دولتي الذي يلفظ الصينيون اسمه ويركايكش Wuer kaixi رئيس الحركة الديمقراطية في واقعة تيان مين المشهورة في ربيع عام ١٩٨٥ وواجه الزعامة الشيوعية بمفاسدها وطالبها بالإصلاحات على نطاق الصين كلها على أمل أن تؤدي هذه الإصلاحات الديمقراطية إذا تحققت في الصين إلى تخفيف الممارسات الشيوعية في تركستان، و خلال القمع الوحشي لحركة الطلاب الديمقراطية هرّبته الجهات الأوروبية مع غيره من الزعماء إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث يتزعم هناك الحركة الديمقراطية ضد الصين.

فقد كتبت عنه مجلة التايم بتاريخ ٢٦ / ٦ / ١٩٨٩ بأنه يستطيع أن يوضح الفروق بين

حياة الناس وحياة الزعماء ومنهم استخلص أفكاره وقد نمت نظرياته السياسية من خبراته الشخصية، ولم تكن بتأثير غربي فهو لم يرحل إلى خارج الصين ولكن قراءته المكثفة ومعاناته الشخصية، ساهمت على تكوين شخصيته وهكذا يتضح أن الصينيين أنفسهم يلتفون حول داعية انبثق من قلب المأساة الإسلامية في تركستان، فيصور الجور والظلم الذي يعانيه الجميع من الاضطهاد الشيوعي ليس في تركستان فحسب بل في الصين كلها.

على أن الحملة الصينية الأعنف بعد الثورة الثقافية ضد مسلمي تركستان الشرقية وكانت الحكومة الصينية قد حضرت لإنفاذها مناخاً سياسيًا:

أولاً : بتحسين صورتها إسلامياً بتوفير أكبر قدر من الحريات الدينية لمسلمي الصين وتوجيه أكثر الوفود الإسلامية إلى مناطقهم وإرسال مئات من أبنائهم إلى الجامعات والمعاهد في العالم الإسلامي، فهناك مثلاً نحو مائتي طالب صيني مقابل عشرة طلاب تركستانيين في المملكة العربية السعودية وكلهم طبعاً يحملون جوازات سفر صينية ويُعتبرون صينيين، ونادراً ما يقوم الفرد المسلم لمعرفة سبب الفرق بين هذين الرقمين مع أن المسلمين الصينيين عددهم ٨ مليون والتركستانيين عددهم ٩ مليون وهذه الصور التي يلاحظها أكثر المسلمين تستعملها الحكومة الصينية وسيلة تعتيم على ما تمارسها ضد المسلمين التركستانيين.

ثانياً : قامت الصين الشعبية موخراً في شهر أبريل ١٩٩٦ بمعاهدات أمنية مع روسيا وقازاقستان وقيرغيزستان وطاجيكستان التي تحد الصين من تركستان . وقد تضمنت هذه المعاهدات اتخاذ تدابير عسكرية على جانبى الحدود وإجراء اتصالات عسكرية دورية على أعلى المستويات وضرورة الإبلاغ بالمناورات التي تجري في المناطق الحدودية وأعطت المعاهدات أيضاً طابعاً رسمياً جنود الروس على حدود جمهوريات آسيا الوسطى الثلاث.
وقد قال الرئيس الروسي بوريس يلتسين في حفل التوقيع : أنا على اقتناع أننا لن نقف عند هذا الحد فنحن نحضر لتحركات جديدة في مجال التعاون العسكري في المناطق الحدودية ، وقد وصف وزير الخارجية الصيني هذه الترتيبات بأنها مساهمة كبرى في تمتين الاستقرار الإقليمي.

ثالثاً : موجة الاتهامات التي أخذت تطلق جزافاً علي الهيئات الإسلامية بالإرهاب والعنف والمسلمين بالأصولية والتطرف من النفوس الصليبية الحاقدة بهدف توجيه العداء

الأوربي إلى الإسلام بعد انهيار الشيوعية وأنظمتها وجدتها السلطات الصينية فرصة وهي شيوعية تكن العداء أصلا، أن تصيد المسلمين التركستانيين فى الماء العكر بتهمة التطرف. فقد وصفت جريدة شينجيانغ الرسمية الصادرة بتاريخ ١٨ / ٦ / ١٩٩٦ المسلمين بالإرهابيين وأنهم يستغلون الدين لأغراض سياسية.

في الحقيقة أن السلطات الصينية بالتمييز بين المسلمين الصينيين والمسلمين التركستانيين في حقوق المواطنة والحريات بذرت بذور الخلاف والفتن بينهم وأصبح المسلمون لا يثقون في بعضهم بل حتى إنهم لا يدخلون مساجد بعضهم، وهى إنما تمارس سياسة فرق تسد باستخدام أسلوب فحواه استعمال جماعة ضد جماعة أخرى لبسط السيطرة الصينية وهو نفس الأسلوب الذى تزاوله مع الأويغور والقازاق مع أن كليهما شعب مسلم واحد.

وعلاقات الصين مع ما تدعيه أقليات مسلمة وعلاقات هذه الأقليات مع بعضها وما تمارسه الصين من أعمال ضدهم جميعاً وعلى انفراد تحتاج إلى دراسة دقيقة لفهم ما يدور بينهم من مشاكل وما يلزمهم من توجيه ونصح للالتزام بواجب الأخوة الإسلامية التي هي فوق كل القوميات والعصبيات.

وحكومة الصين الشعبية التي تمارس ضغوطاً غير عادية ضد المسلمين التركستانيين كانت تحضّر لاتخاذ إجراءات صارمة ضدهم واتخاذها ذريعة لضربهم وقمع نشاطهم وعملهم ومن هذه الممارسات الغير عادية ضد المسلمين التركستانيين.

١ - منع جميع الموظفين ليس من أعضاء الحزب الشيوعي فحسب بل كافة العاملين في الأجهزة الحكومية والمتقاعدين منهم أيضاً من ممارسة أي شعيرة دينية وأولها الصلاة.

٢ - حصر التعليم الإسلامي في المعاهد التي تشرُف عليها السلطات الشيوعية وتحديده لمن تجاوز ١٨ عاماً من الذكور، ومنع المرأة بشكل عام والأبناء الذكور ممن تقل أعمارهم عن ١٨ عاماً بصفة خاصة من تلقي التعليم الإسلامي وارتاد المساجد وملازمة العلماء.

٣ - منع تداول الكتب والمواد الإسلامية ومصادرة الترجمة الأويغورية لمعانى القرآن الكريم، التي طبعت في مجمع الملك فهد في المدينة المنورة وشحنتها رابطة العالم الإسلامي وعددها ثلاثمائة ألف نسخة، ومنع استعمال أشرطة التلاوة في السيارات والاجتماعات الخاصة.

٤ - تسريح آلاف العلماء من وظائفهم في الإمامة والخطابة في المساجد بدعوى عدم

ولائهم لأجهزة الحزب الشيوعي ومعارضتهم سياستها في التعليم وقانون الأحوال المدنية وتحديد النسل وأخذ تعهدات منهم بعدم تعليم أبناء المسلمين أحكام الدين وتعاليمه وتحفيظ قراءة القرآن الكريم للأبناء.

٥ - منع بناء مساجد جديدة في الأحياء السكنية التي نشأت حديثاً إبان العهد الشيوعي ومنع استعمال مكبرات الصوت في الأذان بدعوى إزعاج الصحة العامة ومضايقة المسلمين في ترميم وإصلاح مساجدهم القديمة.

وقد أدت هذه الإجراءات الجائرة إلى إثارة سخط المسلمين وغضبهم، وهي أمور كما يتضح لا علاقة لها بالنشاط السياسي علاوة على أنها ليست موجودة في مناطق إسلامية غير تركستانية في الصين؛ فأدت إلى احتكاكات وصدامات بين المسلمين ورجال السلطة الشيوعية وزادتها حدة المشاعر القومية لأبناء تركستان الذين يرون أن الحكم الصيني لم يقتنع بممارسة الضغوط السياسية والاقتصادية والثقافية ضدهم بل أخذ يعمل على تجريدهم من دينهم الحنيف الذي هو أعز ما يملكونه في حياتهم.

وفي الوقت الذي تحاول السلطات الشيوعية اتهامهم بعلاقتهم بالجهاد الأفغاني ودعم المجاهدين الأفغان لهم، إلا أن التحريات التي أجرتها الأجهزة الرسمية لمضبوطات الأسلحة لهم كما جاء في كتابها المنشور بعنوان " ضحايا تهدئة الاضطرابات" الذي نشرته دار الشعب باللغة الأويغورية في أورومشي في ١٠ / ٩ / ١٩٩٠ هي أسلحة بدائية ومحلية الصنع ولا يتجاوز عددها بضعة مسدسات، والواقع أن أكثر ظواهر الرفض التي يمارسها المسلمون هو الإعراب عن الرفض السلمي بتعليق اللوحات واللافتات وتوزيع المنشورات خاصة بعد أن منعت المسيرات السلمية، ولكن السلطات الشيوعية التي لا تسمح بأي وسيلة للإعراب عن الحقوق الإنسانية تقوم بحملات تفتيش واسعة ومحاكمات جائرة لاعتقال الأشخاص الذين يكتبون اللوحات ويوزعون المنشورات حتى وإن كان من الأطفال، وهذا أيضاً مما دفع الناس لاتخاذ السلاح وسيلة للإعراب عن الرفض ما دام الاعتقال موجود في كلتا الحالتين.

وكانت الحركات الإسلامية التي اشتد صراعها مع السلطات الشيوعية بعد الاشتباك المسلح بينهما على أثر منعها لبناء مسجد في بارين في ضاحية اقتو في الحادي عشر من رمضان عام ١٤١٠هـ، ومع أن الحكومة الصينية ألقت القبض على أفراد هذه الحركة الإسلامية التي سمت نفسها الحزب الإسلامي الديمقراطي أو الحزب الإسلامي الإصلاحي

الديمقراطي وأعدمت رؤساهم حسب الإدعاء الصيني، إلا أن الصدامات المسلحة مع جيوب الحزب الإسلامي الإصلاحي استمرت بين حين وآخر في مختلف أنحاء تركستان، واضطرت الأجهزة الصينية أن تشير إلى بعضها، حيث أعلنت عن إعدام خمسة من رجال الحزب المذكور في ٣٠ مايو ١٩٩٥ وتوالت الأحداث بعد ذلك في حادثة مسجد بيت الله في مدينة خوتن بتاريخ ١ / ٧ / ١٩٩٥ والواضح أن أكثر من ٢٧ حادثة مسلحة وقعت خلال عام ١٩٩٤ - ١٩٩٥.

وفي موسم حج عام ١٤١٦ اتخذت السلطات الشيوعية إجراءات خاصة لمنع تزايد سفر التركستانيين إلى الحج، فقد حددت عدد المسموح لهم بالحج بألف ومائتي شخص من تركستان وأصدرت تعليماتها إلى مراكز الجوازات بمنع سفر أي شخص يحمل تأشيرة دخول إلى الأراضي المقدسة من غير إجازة الجمعية الإسلامية الصينية، ومنعت بهذه الترتيبات أكثر من ألف شخص من السفر من بكين إلى الأراضي المقدسة، بينما وصل جماعة منهم إلى تركيا وقازاقستان وقيرغيزستان وحتى ماليزيا وباكستان بذرائع مختلفة على أمل الحصول على تأشيرات الدخول من السفارات السعودية في تلك البلدان وقد تمكن بعضهم من أداء فريضة الحج وحُرم الأكثر منهم.

وقد تسبب ذلك في تزايد سخط المسلمين على السلطات الشيوعية وحتى على رجالاتها من المسلمين؛ لأن بعض هؤلاء الأعوان من رجال الدين يؤدون الحج أكثر من مرة وإخوانهم الباقون يُحرمون من أدائها حتى لمرة واحدة، ونظراً لأن هذه الأمور من الممارسات الدينية فإن الجمعيات الإسلامية التي هي أجهزة حكومية تصدر الفتاوى وتطبق التعليمات التي تتماشى مع التوجيهات الشيوعية، كما حدث بخصوص فتاوى تحريم تعليم المرأة العلوم الإسلامية ودخولها المساجد وإباحة الإجهاض وغير ذلك . والسلطات لا تتعامل إلا مع العلماء الذين يسيرون في ركابها ومنهم الشيخ برهان خان بن هاشم داملا من علماء كاشغر تعيّن رئيساً لجمعية مقاطعة تركستان (شينجانغ) في عام ١٩٩٠، ثم رُفع إلى نائب رئيس المجلس الاستشاري السياسي لمقاطعة تركستان ١٩٩١، وهو عضو في الجمعية الإسلامية الصينية المركزية كما أنه عضو في مجلس الشعب الصيني المركزي في بكين؛ فترصد له أحد الشبان المسلمين عند خروجه من منزله وطعنه في ظهره وفر هارباً في صباح يوم ١٢ مايو ١٩٩٦ ومع أن المذكور لم يمت ولكن إصابته كانت بليغة نُقل على أثرها إلى المستشفي لمعالجته وكانت الحركة الإسلامية قد نشطت على إثر التدابير

التي اتخذت لمنعهم من أداء فـريضة الحج أو تجددت كما يتضح من التقـارير الرسمية في أواسط شـهر أبريل ١٩٩٦، واتخذت منعـطفاً جديداً بالـهجوم على رجـال الدين الذين تستعين بهم السلطات الشيوعية على تنفيذ سياستها المعادية للإسلام وأحكامه. إذا لم يكن هارون خان بن قاسم داملا هو الوحيد بل تعرض بعضهم للاعتداء في مدينة خوتن أيضاً بعد تحريمهم لصلاة المرأة فـي المسجد وتعلمها لأحكام دينها ومنع الأئمـة من الدعاء لعامة المسلمين في الخطب والمناسبات في ١٠ / ٧ / ١٩٩٥.

وقد تطورت الأحداث إلى اشتباك مـسلح حيث شن المجاهدون المسلمون هجوماً على قاعـدة عسكرية فـي مدينة كـوجار في مسـاء يوم ٢٥ أبريل ١٩٩٦ ،وحـفزهم نجاحـهم وغنيمتهم على أسلحة وذخائر، وتوالى هجومهم على مراكز الشرطة والأمن ومقر الحزب الشيـوعي في اليوم التالي، ولكن الجـيش الصيني والأمن العام قـد أخذ أهبة الاستـعداد وسد منافـذ الطرقات إلى كـوجار حتـى إذا كان في يوم ٢٧ أبريل ١٩٩٦ استـشـهد في المعركة أربعة مجـاهدين منهم توختى أخون إذ قام بعملية استشـهادية، حيث ألقى بنفسه على سيارة جيب عسكرية تنقل القائد العـسكري لولاية اقسو الذي كان يدير المعركة ضد المجاهدين المسلمين؛ فقضى عليه وعلى زمـلائه وفر بقية المجاهدين المسلمين إلى التلال، وقد حاصـرت القوات الصينية منطقـة كوجار كلها ومع ذلك هاجم المجـاهدون المسلمون قافلة عـسكرية كانت في الطريق من أورومـشي إلى كوجـار بقنابل يدوية أدت إلى نسف عدة عربات تحمل الجنود واستشهد منهم اثنان وذلك في مساء يوم ٢٩ أبريل ١٩٩٦.

وقد نقلت وكالة الأنباء الفرنسية من جريدة شينجانغ اليومية الصادرة باللغة الصينية في أورومـشي بتاريخ ١٢ / ٥ / ١٩٩٦ بياناً لسكرتير اللجنة القـانونية في الحزب الشـيوعي لمقاطعة شينجانغ (تركستان) فينغ زي شـنغ عن نتائج المعركة المذكورة جاء فيه أن الجيش الصينى ألقى القبض على أكثر من ١٧٠٠ مجـاهد بعد أن سقط منهم مائتي شهيد، وأنه وُجد لديهم ١١٠٠ كليوغرام من مـواد التفجير و٩٢ بندقية وأملاك تُقدر قـيمتها ١,٧٠٠ مليون يـوان وذلك في العمليـات التي تمت فـيمـا بين ٢٥ - ٣٠ أبريل ١٩٩٦ ،وكـانت الجريدة قد نشرت بعددها الصادر بتاريخ ١٦ /٥ /١٩٩٦ أن عدد الشـهداء في تلك المعارك تسعة.

ومع ذلك فالمقاومة الإسلامية استمرت في نضـالها في أماكن مختلفة، حيث قاد عبد الله قاسم الحركة فـي جنوب غرب كوجار وتومور تورسون في منطقـة بوركور وشاه نياز

في ولاية قمول، واندلعت الاشتباكات المسلحة في غولجة وقُتل فيها الجنرال وانغ يونغ القائد العسكري لولاية إيلي في شمال تركستان بتاريخ ١١ / ٥ / ١٩٩٦، وفي بورتلا في ١٣ / ٥ / ١٩٩٦ وفي اقسو بتاريخ ١٦ / ٥ / ١٩٩٦، وفي ارتوش ٢٢ / ٥ / ١٩٩٦.

وفي أوروومشي عاصمة تركستان أطلق النار على أربعة جنود في منطقة دونغ كورك في ٢ / ٥ / ١٩٩٦ ،كما تجدد إطلاق النار على ثلاثة جنود صينيين في منطقة إرده جوز في ٣ / ٦ / ١٩٩٦، ثم قام الجيش الصيني بتمشيط المنطقتين واعتقل أحد الشبان المسلمين واسمه عبدالله بعد أن سقط جريحاً، ثم حدث انفجار في نادي صيني أمام مكتب ار كونغ تومور يول أدى إلى مقتل ١٨ صيني وإصابة ٣٢ آخرين بجروح وذلك في مساء يوم ٦ / ٦ / ١٩٩٦.

وهكذا أدت هذه الهجمات المتكررة للمقاومة الإسلامية إلى إثبات الذات أمام الصينيين ورجال الحزب الشيوعي لمقاطعة شينجانغ (تركستان)، فتقدم رئس الحزب الشيوعي لمقاطعة شينجانغ (تركستان) بطلب إلى البرلمان الصيني المركزي لإصدار قانون يعطي الجيش وميليشيات جيش البناء والإنتاج صلاحيات كاملة لسحق عمليات التمرد وقمع محاولات الاستقلال الإقليمي وحظر النشاط الإسلامي في تركستان، وقد صدر ذلك القانون بتاريخ ١٣ / ٥ / ١٩٩٦ وعلى أثر ذلك أعلنت السلطات الصينية في تركستان، عن تنفيذ حملة جديدة شاملة ضد المسلمين لمدة مائة يوم سموها (اضرب بقوة)، وقد نددت بهذه الحملة الجائرة ضد المسلمين والإنسانية منظمة العفو الدولية التي ذكرت بأن السلطات الصينية أعدمت ألف شخص منذ بدء حملة اضرب بقوة، كما جاء في بيانها الذى أذاعته صوت أمريكا في ٤ / ٧ / ١٩٩٦، وفي الأنباء الصحيفة التي نشرتها الصحف الإسلامية عن هذه الحملة العنيفة بدون تنديد فقد نقلت خبر إعدام ٤٣ مسلماً منهم الشيخ عيسى مولا عوض إمام مسجد بارين وعضو مجلس الشعب الاستشارى لمقاطعة شينجانغ (تركستان) بتهمة حركة إسلامية لمقاومة سياسة الحزب الشيوعي تجاه الدين والمسلمين وذلك في يوم ٢٦ يونية ١٩٩٦ ،علماً بأن المذكور كان معتقلاً منذ أحداث مسجد بارين في ١١ رمضان ١٤١٠، كما ذكرت حملة الصحف الإسلامية القيود التي تمارسها السلطات الصينية ضد العمل الإسلامى من بناء مساجد وفتح مدارس.

ولكن جريدة الأخبار الصينية المتحدة الصادرة في أستراليا بتاريخ ٢٠ / ٦ / ١٩٩٦ نشرت

تقريراً عن الاضطرابات التي وقعت في ولايات تركستان الخمسة وعشرين وعددها ٤٥ حادثة، وشارك فيها أكثر من ٦٥ ألف شخص في الأحداث التي حصلت فيما بين ١٥ أبريل إلى ٢٠ مايو ١٩٩٦ . وأما تقرير حكومة مقاطعة شينجانغ (تركستان) بتاريخ ٢٣ / ٥ / ١٩٩٦ فقد ذكر بأن قوات الشرطة والجيش قمعت أكثر من ٣٠ حركة إسلامية فيما بين ١٥ أبريل إلى ٢٠ مايو ١٩٩٦م.

وفي ٢٨ / ٦ / ١٩٩٦ جاء التقرير السري للجنة العمليات العسكرية لقاعدة شمال غرب الصين ومقرها المركزي في لانجو بمقاطعة كانسوا أنه فيما بين ١٥ أبريل ١٥ يونية ١٩٩٦ حدث في تركستان ما يلي :

١٧ ثورة مسلحة.

٤٨ انفجار في المباني الحكومية والأماكن.

٤٣٠ إصابة لأفراد الجيش والأمن العام والحزب الشيوعي.

٦٨٠ قتيلاً من المسلمين المجاهدين.

كما ذكرت أن القوات الصينية صادرت ٨٠ بندقية و٥٠ ألف طلقة و٥٠٠ كيلوغرام متفجرات و٤ بنادق رشاش في المعركة التي حدثت في غولجة بتاريخ ١١ / ٥ / ١٩٩٦ .

وأما نتائج الحملة الصينية التى تُسمى (اضرب بقوة) بالإضافة إلى ما ذكر مقدما فإن التقارير متضاربة فالمصادر التركستانية تقدر عدد المعتقلين بحوالى ١٨٠٠ شخص والقتلى ألف شخص والموظفين والرجال الذين تم تسريحهم من أعمال بتهمه التدين والشعور الوطني التركستاني نحو خمسة آلاف شخص، وحسب العادة الشيوعية في إخفاء الحقائق وما تفرضها من السرية والتكتم، فقد أنكرت الحكومة الصينية هذه الأرقام على لسان سوجيان هم المتحدث الرسمي باسم مكتب الأمين العام لحكومة مقاطعة شينجيانغ (تركستان) الذي أصدر بياناً في ١٦ / ٧ / ١٩٩٦ تضمن نفي مقتل ٤٥٠ جندي صيني واعتقال ١٨ ألف شخص وأكد إعدام ٤٣ مسلماً منهم الشيخ عيسى مولا عوض إمام مسجد بارين في ٢٦ / ٦ / ١٩٩٦.

مع أن الأرقام المتفرقة التي ذكرتها التقارير والصحف الرسمية تؤكد ضخامة الرقم فعدد المعتقلين في كوجار ١٧٠٠ شخصاً والمعتقلين في غولجة ٧٠٠ شخصاً ومن أوررومشي

٢٧٧٣ شخصاً وفي ولاية كاشغر ٣٣٧٣ شخصاً كما أعطيت من ولاية خوتن وحدها الأرقام التالية : ٥٨٠ شخصاً من خوتن - ٢٥٠ شخصاً من كريه - ٢٢٠ شخصاً من لوب - ١٨٠ شخصاً من قوما - ١٢٠ شخصاً من جبرا - ٧٠ شخصاً من نيا.

وفي هذه الحملة الوحشية التي شارك توسن جابا و وليوجينغ سونغ وكاى فو نينغ مندوبين من حكومة الصين المركزية شنت الأجهزة الإعلامية حرباً شعواء ضد الإسلام كما ذكرتها الصحف السعودية نقلاً عن وكالات الأنباء العالمية، وقد تضمنت الحملة المذكورة فرض مزيد من القيود على الممارسات الدينية وإغلاق المساجد والمدارس الإسلامية ومصادرة الكتب وحتى الدعوة لإقامة سور من الصلب لعزل تركستان عن باكستان وأفغانستان وطاجيكستان وقيرغيزستان وقازاقستان.

كما قامت السلطات الشيوعية بهدم منازل المسلمين حيث هدمت منازل ٤٨ عائلة مسلمة حول مدرسة الشرطة في أوروموشي بتاريخ ١٥ / ٥ / ١٩٩٦ . كما قام أفراد الجيش بتفتيش بيوت المسلمين في أوروموشي وألقى القبض على ١٢٠٠ شخص في مدينة أوروموشي وذلك في الحملة التى نُفذت في فجر يوم ٢٠ / ٦ / ١٩٩٦، وأما المعتقلون فكانت أحوالهم بائسة نتيجة الاعتقالات العشوائية وعمليات التعذيب التي عانوها حيث قُتل في سجن مدينة اقسو ٩١ شخصاً من المعتقلين منهم عبد المجيد وارث وروزى كيت في يوم ٢٠ / ٦ / ١٩٩٦ ،كما جاء في نشرة الأخبار المسائية بالأويغورية من إذاعة بكين بتاريخ ٢٢ / ٦ / ١٩٩٦، وفي سجن قوات الأمن العام في أوروموشي قتل بالضرب والتعذيب في ١٥ / ٦ / ١٩٩٦ كل من ديار محمد وعمره ٢٢ عاماً من بلدة بشكرم وعبد الستار قاري وعمره ٢٤ عاماً من قرية الاقاغا من بلدة كوجار وفي نفس اليوم قتل الجنود الصينيون خلال حملتهم في مدينة ناريغتاى تسعة مسلمين منهم ٧ قازاق و ٢ أويغور.

وقد اعترف وزير خارجية الصين جيان جي جن في مؤتمر صحفي له في مدينة ألما آتا عاصمة قازاقستان بتاريخ ٥ / ٧ / ١٩٩٦ بقوة المقاومة الإسلامية التي تهدف لاستقلال تركستان ، وقال : نعم هناك منظمة تدعى تركستان الشرقية أو أويغورستان وحكومتنا تعارض النشاط الانفصالي مهما كان.

بيد أن وانغ لو جيوان سكرتير الحزب الشيوعي لمقاطعة شينجانغ (تركستان) كتب في

كلمته التي نشرها في جريدة شينجانغ الرسمية اليومية ١٢ / ٥ / ١٩٩٦ يقول هناك أكثر من ٢٧ جمعية وحركة إسلامية تركستانية تعمل لاستقلال تركستان عن الصين ويدعمها المهاجرون التركستانيون في قازاقستان وغيرها ولكنه أردف قائلاً : سنقضى عليهم ولن يتحقق فصل تركستان عن الصين واستقلالها .. ثم أنهى كلمته بتشديد الضربة على كل من ينزع إلى روح الإسلام تاركاً مبادئ الحزب الشيوعي الماركسي أو يمتلئ قلبه بالنزعة القومية التركستانية ويعارض سياسة حكومة الصين في إجراءاتها في تركستان.

ومع كل هذه الإجراءات التعسفية التي صاحبت حملة اضرب بقوة التي لا تزال مستمرة من تركستان حيث شن المجاهدون المسلمون هجوماً على القوات الصينية المرابطة على الحدود الباكستانية الصينية عند ممر خونجراب أدى إلى قتل عشرين صينياً في ٤ يوليه ١٩٩٦ ،وقد أذاع التليفزيون التركي بتاريخ ١٠ / ٧ / ١٩٩٦ عن معارك مسلحة بين الطرفين في شمال تاكلا مكان وأما المصادر الإسلامية المحلية فتؤكد من استمرار المعارك في مناطق كوجار وشهيار وخوتن وإقسوا وإيلى.

مجلة "الرابطة"

سبتمبر ١٩٩٦م - جمادى الأولى ١٤١٧هـ

تركستان
بين الصين وجمهوريات آسيا الوسطى

بقلم : توختي أخون أركين

لا شك أن تركستان مصطلح جغرافي يعني بلاد الترك في آسيا الوسطى، وتعني تركستان الشرقية التي تحتلها الصين وتسميها مقاطعة شينجانغ أويغور الذاتية الحكم، وتركستان الغربية التي احتلتها روسيا وقسمتها في عام ١٩٢٤ إلى خمس جمهوريات هي: أوزبكستان، طاجيكستان ، تركمانستان ، قازاقستان ، قيرغيزستان ، وعلى أثر انهيار الاتحاد السوفياتي استقلت هذه الجمهوريات عام ١٩٩٢ وأدى هذا الاستقلال الذي حظي به المسلمون في هذا الجزء الغربي إلى إثارة روح الحرية في نفوس المسلمين الذين لا يزال الصين يحتل بلادهم الجزء الشرقي.

والأمر جد طبيعي فالمسلمون في كل من الجزئين يشكلون شعباً واحداً يجمع أفراده وحدة العنصر والدين والتاريخ والثقافة، ويتوزع أفراده على الجانبين فالقازاق والقيرغيز والأوزبك والتاجيك في جمهوريات مستقلة لهم وجود وامتداد في تركستان الشرقية حسب اعتراف الإحصاء الصيني الرسمي لعام ١٩٩٠ فعددهم كالآتى :

القازاق ١١١١٧١٨ نسمة - القيرغيز ١٣٣٥٤٩٠ نسمة - الأوزبك ١٤٥٠٢ نسمة - التاجيك ٣٣٥٣٨ نسمة.

والأويغور الذين يشكلون العنصر الرئيسي لتركستان الشرقية وهم موجودون في جمهوريات تركستان الغربية فعددهم ٢٦٢١٩٩ نسمة في الاتحاد السوفياتي حسب الإحصاء الرسمي لعام ١٩٨٩، ولكن التقديرات المحلية التي تذكر أن أكثرية الأويغور بسبب الممارسات السوفياتية وخاصة بعد المذبحة والتي أوقعها الروس بهم في عام ١٩٣٧ قد تحولت إلى قوميات محلية مثل الأوزبك والقازاق والقيرغيز تجعل عددهم الكلي نحو مليون نسمة في أراضي الاتحاد السوفياتي السابق، وقد اجتمعت شخصياً إلى أفراد ينتحلون قومية الأوزبك أو القازاق وهم أصلاً من الأويغور ويقدر عددهم كالآتى :

قازاقستان ٥٠٠ ألف نسمة - قيرغيزستان ٢٠٠ ألف نسمة - أوزبكستان ١٥٠ ألف نسمة - تاجيكستان ٥٠ ألف نسمة - تركمانستان ٣٠ ألف نسمة - روسيا الاتحادية ٧٠ ألف نسمة.

علاوة على ذلك فالعلاقات الثقافية وثيقة فقبل الحكم السوفياتي كانت اللغة الجغتائية ذات الأحرف العربية هي السائدة في عموم تركستان الكبرى لا يفصلها الحدود أو تمنعها الحواجز لغة العلم والأدب والدين وإذا عُرفت بلاد الإمام البخاري باسم بخارى الكبرى فقد كانت كاشغر تُعرف باسم بخارى الصغرى.

وإذا كانت الصين أسبق في احتلال تركستان الشرقية عام ١٧٥٩ عن غزو روسيا لجزئها الغربي، فقد كانت خوقند وما جاورها من مدن وادى فرغانة قاعدة لعمليات تحرير تركستان الشرقية من الاحتلال الصيني وأشهرها تلك التي أدت إلى استقلالها بزعامة الملك بدولت يعقوب خان فيما بين ١٨٦٤ - ١٨٧٧ كما كانت ملاذاً يلجأ إليها التركستانيون هروباً من الاضطهاد الصيني وآخرها ما حدث في عام ١٩٦٢.

وإذا كان الوضع السياسي في تركستان الشرقية لم يساعد على دعم حركات الكفاح التي اندلعت في جزئها الغربي ولكن كانت هناك مشاركات فعالة مثلاً في ثورة الباسمة جي التي اندلعت ضد الحكم الشيوعي عام ١٩١٨ - ١٩٢٤ كما احتضنت آلاف اللاجئين من عمليات القمع والاستبداد السوفياتي في عهده الستاليني ، كما لعب الأويغور الذين هم أصلاً من تركستان الشرقية دوراً هاماً في مختلف ميادين الحياة في تركستان الغربية حتى تقلد السيد إسماعيل يوسف وهو إويغوري منصب رئيس جمهورية قازاقستان فيما بين ١٩٦٢ - ١٩٧٠ ولا زال الأويغور يتمتعون بمشاركة فعّالة في هذه الجمهوريات المستقلة.

وكانت روسيا تهتم بتركستان الشرقية منذ عهدها القيصري، فقد احتلت ولاياتها الشمالية عام ١٨٨١ وحظيت بنفوذ واسع فيها ثم تعزز موقع الاتحاد السوفياتي في عهد حاكمها الصيني شنغ شي تساي بعد أن ساعده في القضاء على الثورة الإسلامية في عام ١٩٣٣ ، ثم عاد ودعم ثورة التركستانيين التي اندلعت في ولايات الشمال في عام ١٩٤٤ ولكن عندما نجح الشيوعيون الصينيون في احتلال تركستان الشرقية دبر مكيدة لاغتيال زعمائها بسقوط طائرة تقلهم عبر روسيا إلى بكين في عام ١٩٤٩ للمساعدة في تحكيم السيطرة الصينية عليها.

بيد أن الاتحاد السوفياتي كان يرى أن الحركة الشيوعية في الصين هي جزء من الحركة الشيوعية الأميمة التي تأتمر بأمره ولكن ماوتسي تونج أعلن التمرد عليه وحدث الانفصام

بين أكبر دولتين شيوعيتين وأخذ الاتحاد السوفياتي يندب حظه ويعمل على دعم نزعة انفصال التركستانيين عن الصين وأخذ يقوي وجوده العسكري في تركستان الشرقية وأخذت الصين تُطالب بتركستان الغربية أو بأجزائها وتدعو إلى تحريرها من الاحتلال الروسي ، وفي الوقت الذي لم تجد الصين تجاوباً من شعوب تركستان الغربية كان الاتحاد السوفياتي قد استثمر الأويغور الذين يتطلعون لاستقلال بلادهم بدعم نضالهم، وقد أدى هذا إلى لجوء أكثر من ٦٠ ألف شخص إلى قازاقستان فيما بين أبريل - أكتوبر ١٩٦٢ وتمكن هؤلاء اللاجئون مع إخوانهم الأويغور المحليين من تنشيط حركتهم الوطنية بالدعاية السياسية المحدودة عبر الصحف المحلية والإرسال الإذاعي الموجه، ولم تمكنهم روسيا من نقل قضيتهم إلى المحافل الدولية، ولم يكن جيش جبهة تحرير تركستان الشرقية الذي روج له الإعلام السوفياتي إلا كذبة دعائية لا أساس لها من الصحة، وهكذا لم يكن الاتحاد السوفياتي جاداً في دعمه النضال التركستاني ضد الاحتلال الصيني ، ومع ذلك فقد أتاح الفرصة لنشر صحف وكتب عن قضية تركستان الشرقية بلورت في الغالب نظرياته وأهدافه السياسية.

ومع أن وسائل الإعلام الغربية تناقلت تصريحات وأحاديث اللاجئين التركستانيين حينذاك إلا أن نضالهم الوطني انحصر في مجال الإعلام والأدب والثقافة، حيث ألف الأستاذ ضياء صمدي عدة روايات تاريخية تحول منها قصة مايماخان إلى عمل سينمائي أثار الاحتجاج الصيني ضد الاتحاد السوفياتي عام ١٩٧٩ ،وظهرت عدة كتب عن الممارسات الجائرة لحكومة الصين الشعبية ضد شعب تركستان الشرقية باللغتين الأويغورية والروسية ثم ظهر جريدة ينكي هايات(الحياة الجديدة) باللغة الأويغورية ذات الأحرف العربية عام ١٩٧٠ وجريدة كومانيزم توغي (علم الشيوعية) والتي تحول اسمها مؤخراً إلى أويغور أوزاي (صوت الأويغور) باللغة الأويغورية ذات الأحرف السلافية في عام ١٩٥٦.

وكانت هناك جريدة بزنك وطن (وطننا نحن) التي كانت تصدر بالأحرف العربية باللغتين القازاقية والأويغورية عام ١٩٧٦ ومجلة برواز (الإطار) بالأحرف السلافية ، والغالب في مواضيع هذه المطبوعات الأخبار المحلية ثم الأدب وقليل ما تعالج قضايا سياسية . وفي عام ١٩٤٤ صدرت جريدة الاتفاق في بشك عاصمة قيرغيزستان إلى جانب هذه المطبوعات ، وهناك مراكز ثقافية للأويغورية في كل من ألما آتا وطاشكند وفرونزه (بشكك) تهتم بشؤون الموسيقى والغناء والتراث الشعبي والمسرحي وقامت الفرقة

الأويغورية المسرحية بإحياء ثلاثة حفلات في موسكو عام ١٩٨١.

وتبث إذاعتا راديو طاشكند وألما آتا برامج ثابتة بالأويغورية يومياً كما أن تليفزيون أوزبكستان وقازقستان يقدم برامج إخبارية وثقافية باللغة الأويغورية.

والطلاب الأويغور يدرسون لغتهم في المدارس الابتدائية وإن كانت المدارس الخاصة بهم قد ازدهرت عقب انهيار الاتحاد السوفياتي وكان لهم معهد عال بمثابة كلية متخصصة في الدراسات الأويغورية وإعداد معلمي اللغة الأويغورية بجامعة قازاقستان في ألما آتا، وكذلك قسم أويغوري في أكاديمية قازاقستان منذ عام ١٩٧٩، وأما في قيرغيزستان فقد افتتح كلية الدراسات الأويغورية في جامعة قيرغيزستان عام ١٩٩٤.

بالإضافة إلى ذلك فهناك الاتحاد الأويغور الدولي الذي له فروع في أوزبكستان وقيرغيزستان، وقد تأسس في ألما آتا عاصمة قازاقستان عام ١٩٩٢ وينحصر نشاطه أيضاً في الثقافة والفنون والاجتماع وإن كان له مشاركات في مؤتمرات وندوات سياسية محدودة بموجب نظامه وصفته الرسمية، وقد أصبح مؤخراً جمعية خاصة لأويغور قازاقستان برئاسة الأستاذ قهرمان غوجم بردي .. ولكن يتحمل العبء السياسي الجبهة المتحدة لثوار تركستان الشرقية الوطنيين الذي يرأسه الأستاذ يوسف مخلص ويصدر نشرة باسم صوت تركستان الشرقية منذ عام ١٩٧٩ وكذلك جمعية أويغورستان الحرة التي يرأسها الأستاذ حاشر واحدي وتصدر نشرة باسمها منذ أبريل ١٩٩١. ومع أنهما يعملان بصفة غير رسمية وبمجهود ذاتي إلا أنهما نشيطان في العمل السياسي وخاصة الجبهة المتحدة لثوار تركستان الشرقية الوطنيين التي لها مشاركات دولية.

وأما جمعية مواطني تركستان الشرقية التي يرأسها الأديب الأويغوري المعروف ضياء صمدي منذ عام ١٩٩١ فهو تكتل لبعض الشخصيات والزعماء التركستانيين اللاجئين من تركستان الشرقية عام ١٩٦٢ ومع نشاطهم غير المعروف إلا من خلال ما ينشرونه من شعر ورواية ولكن لهم أثر في قوة الجماعات الأخرى التي ينضمون إليها مثل الاتحاد الأويغور الدولي.

وكان الأديب القازاقي الكبير أولجاس سليمان قد شكل لجنة شعبية للمطالبة بوقف التفجيرات النووية السوفياتية التي كانت تتم في سميبا لاتنسيك في قازاقستان عام ١٩٨٩ وعلى أثر نجاح مساعيه ظهرت لجنة فرعية تحت إشرافه ورئاسة الأستاذ أزاد حكيم خوجه. نظم مؤتمراً دولياً حول التفجيرات النووية في لوب نور بتركستان الشرقية وذلك

في ألما آتا عاصمة قازاقستان في ٢٧ - ٢٨ مارس ١٩٩٢ وشارك مندوبها في مؤتمرات دولية عقدت في ألمانيا وهولندا ونُظم مظاهرات حاشدة في قازاقستان.

ويتضح مما سبق أن أعمال التركستانيين ويُعرفون بالأويغور لم تكن تتعدى مجالات الثقافة والأدب والإعلام وفي السياسة على نطاق ضيق لخدمة الدعاية السوفياتية ولم يظهر معالم النضال الوطني للاجئين التركستانيين في جمهوريات آسيا الوسطى إلا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ، لأن روسيا القيصرية ووريثها النظام السوفياتي لم يكن جاداً في دعم النضال التركستاني للاستقلال عن الصين كما كان موقفه في مؤازرة استقلال منغوليا عن الصين مع أن فوائد روسيا الاقتصادية من تركستان الشرقية أكبر مما كانت تحصل عليها من منغوليا، فروسيا القيصرية هي التي ساعدت الصين المنشورية في القضاء على دولة يعقوب بك عام ١٨٧٧ والنظام السوفياتي هو الذي أمد الوالي الصيني شنغ شي تساي بالأسلحة والعتاد للاجهاز على جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية عام ١٩٢٣ وهو الذي أجبر أيضاً الثوار التركستانيين على قبول الحكم الصيني الشيوعي حينما أعدم زعماءهم بإسقاط طائرتهم التي كانت تقلهم إلى بكين في عام ١٩٤٩ وهو الذي تخلى عن نصرتهم في ثورة عام ١٩٦٢ أو أسكتهم وسكت عما كان يتعرض له التركستانيون من ظلم ومعاناة ولم يقدم لهم عوناً حتى ولا دعماً سياسياً في المحافل الدولية بل اكتفي أن يتحدث التركستانيون عن رغيد حياتهم في جنة الاتحاد السوفياتي وما يعانيه إخوتهم من ظلم الحكم الصيني، ومع ذلك فإن العلاقات السوفياتية الصينية قد تدهورت إلى حدوث اشتباكات مسلحة بينهما دفعت الصين بأكثر من مليون جندي وتسليح أكثر من مليوني شخص في ميليشيات شعبية في تركستان الشرقية منذ أوائل عام ١٩٧٠.

والواقع أن المعاهدات والاتفاقات التي وقعت بين روسيا والصين عديدة وكثيرة بدءاً من معاهدة نرجنيسك عام ١٩٨٩ وكلها تتجه إلى التنافس على احتلال تركستان الكبرى وتعزيز مواقعها العسكرية وتقسيم مكاسبهما ومساعدة بعضهما لقمع حركات النضال والكفاح لشعوب تركستان وهي شعوب لا تمت بصلة إليهما إلا بحكم الجوار وهو سبب مأساتهم ومصيبتهم.

والمعاهدة التي وقعتها الصين مع رؤساء جمهوريات روسيا وقازاقستان وقيرغيزستان وتاجيكستان وفي شنغهاي في ٢٦ أبريل ١٩٩٦ لا تختلف كثيراً في مضمونها عن سوابقها ، لأنها تهدف إلى تعزيز الهيمنة الروسية على مناطق نفوذها في جمهوريات آسيا

الوسطى التي استقلت أثر انهيار الاتحاد السوفياتي، كما أن الصين حظيت بضمان روسيا بأن هذه الدول الحديثة النشأة والتكوين والتي لا تزال في إطار النفوذ الروسي لن تمد يد العون والمؤازرة إلى أشقائها في تركستان الشرقية في طريق كفاحهم لخلع الاستبداد الصيني والاستقلال عن الصين.

ولا شك أن هذه المعاهدة قد أدت مفعولها فيما فشلت في تحقيقه المباحثات الثنائية التي أجرتها الصين من خلال الزيارات المتبادلة لمسؤوليها والمسؤولين في جمهوريات آسيا الوسطى المستقلة منذ عام ١٩٩٢م، وقد أدت هذه المعاهدة إلى ممارسة الضغوط على المنظمات الأويغورية لإيقاف نشاطاتها السياسية إلى حد ما، حيث منعت من تنظيم مظاهرات خلال زيارة الرئيس الصيني جيانغ زيمين لكل من قيرغيزستان وقازاقستان في شهر يولية ١٩٩٦، ومع ذلك نجح الأويغور في تسليم رسالة إلى وزير خارجية الصين عن طريق وزارة خارجية قيرغيزستان، كما طرح مندوب أحد الصحف سؤالاً لوزير الخارجية الصيني عن الوضع المضطرب في تركستان الشرقية، فأجابه الوزير الصيني بالاعتراف عن الحركات الانفصالية التي اندلعت فيها وذلك في المؤتمر الصحفي الذي تم في ألما آتا بتاريخ ٥ / ٧ / ١٩٩٦ ،وكانت قد استغلت معاهدة شنغهاي في شن حملتها القمعية التي عُرفت بعنوان اضرب بقوة ضد مسلمي تركستان الشرقية في مايو ١٩٩٦.

ومهما يكن فالوضع في آسيا الوسطى قد تغير عما كان في السابق وقد انهار النظام السوفياتي واستقلت شعوبها التي عانت من الاستبداد الروسي والشيوعي ولاشك أن دولها لم تتخلص من تبعات الحكم الروسي السوفياتي الذي لا يزال نفوذه يتربع في كل مجال، وقد يستغرق زمناً وجهداً لبناء كيانها الخاص والقوي ولكن سيتحقق بمشيئة الله تعالى ثم بسواعد أبنائها وتطلعاتهم الواعية وخاصة أن هناك دعوات وطنية صادقة وزعامات متفهمة لمسؤولياتها الوطنية والتاريخية، ويبدو جلياً من متابعة الأحداث وقراءتها أن أكثرية أفراد الشعوب لا يزال يملأ قلبها الإيمان وأن الإسلام هو كيانهم الخالد وأنهم يتطلعون إلى إحياء دورهم التاريخي، فهناك دعوات محلية من خلال الصحف مثل جريدة تركستان التي تصدر في كل من ألما آتا وطاشكند وحتى الأحزاب السياسية التي أخذ بعضها يدعو إلى اتحاد جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية، وقد أخذ بالفعل زعماؤها يتجهون بحذر إلى وضع خطط التنسيق والتعاون والتآلف ومن ذلك اجتماع القمة الثلاثي لرؤساء جمهوريات قازاقستان وأوزبكستان الذي عقد في قازاقستان في أوائل عام ١٩٩٦.

وقد دخلت تركيا أيضاً لتعزيز هذا الاتجاه على المدى البعيد ومن خلال المؤتمرات والندوات التي تنظم سنوياً لشعوب الأتراك في العالم وقد أفادت تصريحات الرئيس التركي الراحل تورغوت أوزال بأن بلاد الأتراك يمتد من البحر الأدرياتيكي إلى سور الصين مخاوف الصين وروسيا على السواء وأمام هذا الاتجاه فالمستقبل هو الذي يوضح مصير هذه الاتفاقات التي تقصدها الصين مع حكومات آسيا الوسطى الإسلامية لتعزيز قبضتها الاستبدادية على مسلمي تركستان الشرقية.

مجلة "الرابطة"

نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٦م

رجب ١٤١٧هـ

مرور سنة على وفاة عيسى يوسف آلبتكين

حملة جديدة تقودها الصين ضد تركستان الشرقية

بقلم : محمود السيد الدغيم

مرت سنة على وفاة المرحوم عيسى يوسف آلبتكين وأقام وَقْفُ تركستان الشرقية في إسطنبول مراسم دينية ووطنية وقومية في يوم الجمعة ١٣ / ١٢ / ١٩٩٦ شارك في فاعلياتها مهاجرو تركستان الشرقية المقيمون في تركيا وباقي المنافي.

بدأت المراسم في مقر وقف تركستان الشرقية الواقع في جادةَ مِلت في القسم الجنوبي من طرف إسطنبول الأوروبي . ففي ذلك المكان من إسطنبول شارك الفقيد الراحل في الكثير من الأعمال في سبيل مسلمي الصين ولا سيما تركستان الشرقية (سينكيانج). وفي إسطنبول أصدر آلبتكين مجلة (صوت تركستان الشرقية) بثلاث لغات، الإنجليزية والتركية والعربية ، وكان صدور العدد الأول من المجلد الأول في شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٨٤ . واستمر صدور المجلة الفصلية كل ثلاثة أشهر، فسلطت الأضواء على أحوال المسلمين في الصين و الاتحاد السوفياتي السابق . وزخرت بمقالات باللغة الأويغورية المكتوبة بالحروف العربية وهي إحدى لهجات اللغة التركية كالآذرية والأوزبكية والقيرغيزية والتركمانستانية والقازاقية . . إلخ.

رحل عيسى يوسف آلبتكين ودُفن في مقبرة طوب قابي غرب سور إسطنبول وكُتب على قبره باللغة العربية بسم الله الرحمن الرحيم. وفي مكان تلك المقبرة استشهد العديد من الصحابة حينما حاصر الصحابة والتابعون القسطنطينية بقيادة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وأبى أيوب الأنصاري رضي الله عنهم . وفي المكان نفسه استشهد العديد من عساكر السلطان محمد الفاتح حينما فتح إسطنبول سنة ١٤٥٣.

رحل آلبتكين لكن قضايا المسلمين ما زالت عالقة في الصين والهند وروسيا الاتحادية والبلقان وفلسطين.

أقام مهاجرو ومُهجرو تركستان مهرجاناً خطابياً في ١٣ / ١٢ / ١٩٩٦ وخطب الخطباء، وقطع الحضور عهداً على مواصلة الجهاد حتى تتحرر تركستان الشرقية وغيرها من الأراضي الرازحة تحت الاحتلال . وتحدث معاون رئيس جمعية المهاجرين التركستانيين (أرطوبال دونماز) فأكد أن آلبتكين قدّم مثالاً رائعاً في التضحية من أجل

تركستان ، لذلك يجب على الأتراك أن يحذوا حذوه في التضحية والفداء . وبعد خطبة الجمعة تحدث أمين أيناج، وتم ختم القرآن الكريم بهذه المناسبة من قِبل الحفاظ والقرّاء . وألقى كلمة بالمناسبة كلّ من ولدي الراحل : أركين ، وأصلان. كما تحدث رضا بكين رئيس وقف تركستان الشرقية ، وتحدث رئيس جمعية نازحي تركستان الشرقية عبد الولي جان. وحضر الحفل الكاتب الصحافي ثروت قباقلي. ونقلت القناة الفضائية التركية (TGRT) مراحل الحفل بمناسبة مرور سنة على وفاة عيسى يوسف آلبتكين وأوردت صحيفة (تركيا) تقريراً عن المناسبة كتبه مراسلها كمال جاربراز ونُشر يوم السبت ١٤ / ١٢ / ١٩٩٦.

تطورات جديدة

تمر الذكرى الأولى لوفاة عيسى يوسف آلبتكين، وما زالت قضية تركستان الشرقية جراحاً نازفة ، إذ يستمر القمع الصيني وتُنفّذ أحكام الإعدام من دون محاكم وتدعى الصين أن أسباب الإعدام هي تجارة المخدرات أو تجارة الرقيق الأبيض أو الإضرار بالمصالح القومية وغير ذلك.

وتسعى الصين إلى تحسين علاقاتها مع العمالقة الكبار حتى تتمكن من إخماد حركة المسلمين في تركستان من دون أن يعترض على عدوانها أحد.

ويُذكر أن العلاقات الصينية تشهد تحسناً ملموساً مع من كانت تنعتهم بالإمبرالية . ففى ١٧ / ١٢ / ١٩٩٦ أكدا وزيرا الدفاع الأميركي والصيني على أهمية تحسين علاقات واشنطن وبكين على الرغم من خلافاتهما بشأن تايوان (فرموزا) وقضايا أخرى . وقال كين بيكون المتحدث باسم وزارة الدفاع الأميركية إن « المؤتمر الهاتفي عبر التليفزيون الذي استمر ٣٠ دقيقة بين وزير الدفاع وليام بيري الذي كان موجوداً في بروكسل لحضور اجتماع لحلف شمال الأطلسي ونظيره الصيني تشي هاوتيان الذي كان يختتم في هاواي زيارة استمرت أسبوعين للولايات المتحدة كان ودياً للغاية ».

وأضاف بيكون : أن الوزيرين أكدا على أهمية تحسين العلاقات الثنائية التي يبدو الآن أنها عادت إلى مسارها بعد تدهورها بسبب خلافات حول قضايا عدم انتشار الأسلحة وحقوق الإنسان والتجارة وتايوان التي تعتبرها بكين إقليماً تابعاً للصين.

وقال بيرى لنظيره الصيني في الاتصال التليفزيوني على « رغم استمرار وجود خلافات

إلا أننا نستطيع التحكم فيها . وكانت هذه الزيارة جيدة جداً لكلا البلدين » .

وكان الوزير الصيني يجلس إلى مائدة في هاواي بجوار الأميرال جوزيف بروهر قائد القوات الأميركية في المحيط الهادي ووجه تشي الشكر إلى بيري لاهتمامه الشخصي بالزيارة . وكان تشي أجرى قبل ذلك محادثات في واشنطن مع بيري والرئيس الأميركي بيل كلينتون قبل أن يتوجه لزيارة مقر قيادة القوات الأميركية في المحيط الهادي وقواعد أخرى . وقال تشي « تربط الصين والولايات المتحدة مصالح ومسؤوليات مشتركة » وأنه يتطلع إلى مزيد من التعاون في عام ١٩٩٧ . وأضاف قائلاً لبيري أن « مسألة تايوان يمكن بل ينبغي حسمها».

وتعترف واشنطن بمقتضى إعلان شنغهاي لعام ١٩٧٢ بحكومة بكين باعتبارها الحكومة الوحيدة للصين غير أنها ترتبط بعلاقات غير رسمية مع تايوان وتواصل بيع الأسلحة لها. وعلى الرغم من خلافاتهما بشأن تايوان والتجارة ومبيعات الأسلحة الصينية إلى باكستان وإيران فإن الولايات المتحدة تتحركان باتجاه تحسين العلاقات في المجالات ذات الاهتمام المشترك مثل الرغبة في تحقيق السلام بين شطري كوريا والاستقرار الاقتصادي في غرب المحيط الهادي . أما العلاقات مع روسيا فهي في تحسّن ملموس أيضاً ، بعد أن قام رئيس الوزراء الصيني لي بينغ بزيارة روسيا في الفترة من ٢٦ / ١٢ إلى ٢٨ / ١٢ / ١٩٩٦ . وأوضحت وكالات الأنباء الروسية نقلاً عن السفارة الصينية أن بينغ ناقش خلال محادثاته مع الرئيس الروسي بوريس يلتسين ورئيس الوزراء فيكتور تشير نوميردين العلاقات الثنائية بين البلدين والنزاع بينهما على خط الحدود الشرقية (منطقة تركستان الشرقية).

إن تحسّن العلاقات الصينية مع الأميركي وحليفه الروسي سيمكن الصين من تصفية قضية تركستان التي تحتلها منذ استقلال الصين . وهنالك مصالح مشتركة بين الجهات الثلاث.

أما الصين الحديثة فمنذ قيامها في نهاية الحرب العالمية الثانية بدأت بملاحقة المسلمين واعتبرتهم رموز الرجعية المعارضة للتقدم ، وعلى رغم وحشية أساليبها لم تستطع التخلص منهم على أراضيها.

قوانين القمع الصيني

يضرب المثل بسور الصين ضخامة ومناعة أما مجريات الأحداث في داخل الصين فيحول دون انتشارها ستار أمني كتوم. لكن بعض الأخبار تتسرب بعد فوات الأوان، ومنها تقرير نشرته صحيفة (تركيا) في ١٥ / ١٢ / ١٩٩٦ تضمن معلومات عن ما قررته بكين في اجتماع (١٩ / ٣ / ١٩٩٦) عُقد برئاسة جينغ زيمين ضم قيادة الحزب الشيوعي وقيادة الجيش وغير ذلك من المؤسسات المؤثرة. وأخطر ما أسفر عنه الاجتماع إقرار قانون يقتضي إعلان حرب سرية ترمي إلى تصفية كل المطالبين باستقلال تركستان الشرقية سواء أكانوا داخل الصين أو خارجها. ويشمل قرار التصفية الأحزاب التركستانية والمنظمات الإنسانية، والجمعيات الخيرية.

يقع القانون (القرار) الصيني في عشر مواد تقتضي مراقبة السكان، والأجانب الذين يزورون تركستان الشرقية وبناء على مقتضى القانون الجديد بنت الصين مراكز للحزب الشيوعي في مخلتف التجمعات السكانية. كما كثفت مراكز المخابرات العسكرية وزادت أعداد المخبرين لكتابة التقارير ضد سكان المقاطعة.

ونصت المادة الثانية على وجوب التنسيق التام بين قوات الدولة الأمنية عسكرية ومدنية وميليشيات وعناصر الحزب الشيوعي وأقرت طرد أبناء تركستان من الأجهزة الأمنية والعسكرية.

وتضمنت المادة الثالثة حظر تدريس المواد الدينية (التربية الإسلامية). ونصت الرابعة على منع المدرسين والأساتذة الأجانب عن التدريس في المدارس العليا والجامعات، وقضت المادة الخامسة بقصر وظائف المحاكم على منتسبي الحزب الشيوعي، وأطلقت العنان لعناصر المخابرات وحرس الحدود فسمحت بإطلاق النار على من يُشتبه بهم فوراً. وقضت السادسة بتسليح المستوطنين الصينيين في تركستان الشرقية (سينكيانج)، ونصت السابعة على انتشار جيش التحرير الشعبي الصيني في المدن والبلدات والقرى وكل حدود تركستان الشرقية مع وجوب التنسيق الكامل مع القوى الأمنية والمستوطنين الصينيين والمخبرين المحليين.

وتمس المادة الثامنة سيادة الدول مثل تركستان وكازاخستان وقيرغيزستان إذ تنص على وجوب الضغط السياسي والمادي على هذه الدول بغية عزل شعب تركستان الشرقية عن محيطه الجغرافي - وتوجب المادة التاسعة التعاون الميداني بين كل القوات العسكرية

والمدنية والحزبية ضد أهالي تركستان الشرقية ، وتحرض على التعاون مع القوات المجاورة لحدود تركستان من أجل إحكام الطوق على تركستان وفرض العزلة عليها. ونصت المادة العاشرة على التطبيق الفوري لكل المواد السابقة من دون تأخير.

جسدت الصين قرارها اللاإنساني عمليا فنفذت جرائمها فوراً . وذكرت بعض المعلومات تسربت حديثاً من هناك ونشرتها صحيفة (تركيا) في ١٦ / ١٢ / ١٩٩٦ تحت عنوان : « إعدام ١٧٠٠ شخص في ثمانية أشهر واعتقال ٥٧٠٠٠ شخص (سبعة وخمسين ألفا)» .

وصلت الأخبار إلى ألما آتا عاصمة كازاخستان وأفادت نقلاً عن (جبهة تحرير تركستان الشرقية الشعبية) أن « الصين طورت حربها ضد شعب تركستان الشرقية ابتداء من أول نيسان ١٩٩٦ ، وتم إعدام ١٧٠٠ شخص ، واعتقال ٥٧٠٠٠ شخص ». وصرّح بتلك المعلومات الناطق الرسمي باسم جبهة التحرير يوسف مخلصي الذي عقد مؤتمراً صحافياً في ألما آتا أعلن فيه أن الجبهة تناضل من أجل حرية تركستان الشرقية وحيادها . وأشار إلى محاولات الصين عقد اتفاقيات أمنية مع روسيا وطاجيكستان وقيرغيزستان وكازاخستان . وقال : « إن هدف تلك الاتفاقات الأمنية تطويق تركستان الشرقية والقضاء على أبنائها » . ولفت يوسف مخلصي إلى خطورة الوضع الذي يُنذر بتصفية كل أبناء تركستان الشرقية خلال سنوات خمس . وذكر يوسف مخلصي أن عدد المسلمين في تركستان الشرقية هو ٢٢ مليون نسمة ، بينما تذكر الصين في إحصاءاتها أن عددهم لا يتجاوز ثمانية ملايين ونصف فقط . وهذا يعني أنها تنوي تصفية ما زاد عن الرقم الرسمي المعترف به.

وأكد مخلصي أن شعب تركستان الشرقية يصر على التحرر وإعادة قيام جمهورية تركستان الشرقية التي قامت سنة ١٩٤٤ واحتلتها الصين سنة ١٩٤٩.

إن الأخبار التي تتسرب من تركستان الشرقية تدل على هول الكارثة وخطورة ما يتعرض له المسلمون في مختلف الأراضي الصينية . وهذا يتطلب موقفاً واضحاً لإيقاف حرب التصفية التي تُرتكب سراً وعلناً وتتجاهلها وكالات الأنباء.

جريدة « الحياة »

٧ يناير ١٩٩٧م

٢٨ شعبان ١٤١٧هـ

تركستان الشرقية ... ومحنة التبشير الأروبي

بقلم : محمد وردة

مع أفول الدولة الإسلامية وبدء الحملات الصليبية على الشرقين الأدنى فالأقصى ، واجه المسلمون في الصين الكثير من المتاعب والمضايقات في سبيل الاحتفاظ بعقيدتهم. وكانت أقسى حملات التنصير تلك التي واجهوها في مطلع القرن العشرين. وذلك لأن الصين لما تشكله من كثافة سكانية كانت محط أنظار المبشرين الغربيين ، وخصوصاً بعد أن رضخت للسيطرة الأوروبية إذ كان المبشرون يلقون كل الدعم في نشاطاتهم ضمن مخطط استهدف التغريب الثقافي - الروحي المترافق مع التغريب السياسي - الاقتصادي. غير أن المساعي التبشيرية تلك وإن كانت وجدت لها أراضي خصبة بين الكونفوشيوسيين والبوذيين الصينيين إلا أنها اصطدمت بوجود إسلامي قوي يغطي مساحات واسعة من أراضي الصين وتبين أن للمسلمين ثقافة دينية راسخة لم تستطع البعثات التبشيرية التأثير فيها بالسهولة التي كانوا يتوقعونها . لذلك كان من الضروري - من وجهة نظرهم - دراسة واقع المسلمين بدقة من أجل وضع المخططات اللازمة لإنجاح حملات التنصير.

وفي مطلع القرن العشرين انعقد في أدنبرة (أسكوتلندا) المؤتمر التبشيري العالمي. ونص أحد القرارات التي اتخذت في المؤتمر على تشكيل لجنة مهمتها دراسة سبل إقامة بعثة تبشيرية دائمة في الصين للعمل تحديداً في صفوف المسلمين ، وتشكلت اللجنة من ثلاث أشخاص جوت موت (رئيساً) وهارلان بيتش وصموئيل زويمر (عضوان) وعهدت هذه اللجنة إلى المبشر مارشال برومهول بإعداد تقرير شامل عن أوضاع المسلمين في الصين يكون أساساً تُبنى عليه خطة التبشير المسيحي لاحقاً.

وفي ضوء دراسة برومهول عادت حملات التبشير المدعومة استعمارياً لتركيز نشاطاتها مجدداً في أقاليم سينكيانج وقانصو وشانسي ذات الكثافة السكانية المسلمة التي كانت تُعرف تاريخياً باسم (شرق تركستان) . ونتج عن هذه الحملات هجرة الآلاف من المسلمين إلى بلدان آسيا والشرق الأوسط . وأحفاد هؤلاء كانوا يُعرفون في الغالب بـ «البخاريين» نسبة إلى بخارى التي كانت عاصمة إقليم في أواسط آسيا أطلق عليه الاسم ذاته وهو اليوم الدولة المعروفة باسم أوزبكستان . وكانت مدينتا بخارى وسمرقند في آسيا الوسطى تجمعين مزدهرين للحضارة الإسلامية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر. وكانت تركستان القديمة تضم أراضي من الصين وجمهوريات آسيا الوسطى وصولاً إلى

أفغانستـان . . ويقع هذا الإقليم المترامي الأطراف الذي كان يقطنه الناطقون بالتـركية قبل ١٥ قرناً علي « الطريق الذهبى » الذي اتبعه الرحالة الإيطالى ماركو بولو في أسفاره.

وكانت تركستان القديمة من أوائل الشعـوب الناطقة بالتركية التي عملت في الزراعة . وأشاد هذا الشعب المدن وأقام الدولة وسعى إلى المحافظة على نقـاء عرقه وثقافته . وكان المسلمون التـركستانيون يُعـرفون عام ١٧٦٠ بـ « الأويغوريين » الذين فقـدوا دولتهم أمام جحافل القوات الصـينية التي أطلقت على هذا الإقليم بعد استيلائـها عليه اسم سينكيانج أو « الحدود الجديدة » .

وهرب الكثير من القبـائل التركستانية هناك إلى أماكـن أخرى من آسيا الوسطى التي أصبحت في ما بعد جزءاً من القيصرية الروسية.

وهب الأويغوريون في وجه الاحتلال الصيني مئات المرات وحققوا في بعضها استقلالاً مؤقتـاً . وخلال الأربعينيـات من القرن الجاري أعيـدت السيطرة الاستعـمارية على هذه الأقاليم وخضعت لسيطرة الجنرال الصغيـر آنذاك شيانغ كاي شيك . لكن إقليم سينكيانج البعـيد عن أواسط آسيـا ارتبط على الدوام بعلاقـات أوثق وأمتن مع الاتحاد السوفـياتي السابق منذ مطلع الثلاثينيات.

وفي عـام ١٩٤٤ اندلع تمرد جـديد في مناطق الأقـاليم الـشمـاليـة المحـاذية للاتحاد السوفياتي بحدود طولها ٣ آلاف كيلومتر. وفي يوم ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) من ذلك العام أعلن قيام جمهورية تركسـتان في مدينة كولجي إلا أن الأمر لم يصل إلى الاستقلال واقتصر على الحكم الذاتي.

قدم جوزيف ستالين - الزعيم السوفياتي آنذاك - المساعدات للحكومة المؤقتة التي كان يعتبرها عنصر توازن في وجه قوة الصين المتعاظمة . وفي الوقت عينه أرسل ستالين خبراء في علم الأعراق البشرية ليقسموا الأجزاء الجنوبية المضطربة عن الاتحاد السوفياتي إلى عدد من الجمهوريات الصغرى مما سمح لموسكو بممارسة سلطة أوسع في تلك البلاد.

وبرزت نتيجة لذلك جمهوريات أوزبكستان وتركمانستان وكازاخستان وقيرغيزستان و طاجيكستان. غير أن مسـاعي السلطات الشيوعية في كل من بكين وموسكو لم تنجح في إحلال الولاء الوطني محل الهوية الدينية أو القومية لشعوب هذه الجمهوريات في مناطقها إذ حافـظ التركسـتانـيون على هويتـهم الثقـافة واللغـوية والعرقـية وتمسكوا بجـذورهم الإسلامية.

وفي خريف عام ١٩٢٩ تواترت الأنباء عن مقتل زعيم تركستان الشرقية، اخبمحير قاسمي إلى جانب وفد من أبرز قادة الجمهورية في حادث تحطم طائرته خلال رحلة إلى بكين للاشتراك في الجلسة الأولى لـ « المؤتمرات الشعبية السياسية الاستشارية » للصين. ومنذ ذلك الحين تشكك الفئات القومية الأويغورية بوصف السلطات الصينية ذلك الحادث بأنه « قضاء وقدر ». ويعتقد الكثير من المؤرخين أن قاسمي والوفد المرافق له قُتلوا في مؤامرة حاكها الشيوعيون الصينيون والسوفيات.

وتعود أهمية إقليم سينكيانج بالنسبة للصين إلى موقعه الجغرافي وموارده الطبيعية بما في ذلك النفط والذهب والبلاتين والنحاس والحديد . وكذلك إلى مساحته الشاسعة إذ يشكل حوالي ١٧ في المئة من مساحة الصين، بينما الكثافة السكانية فيه لا تتجاوز الواحد في المئة بالنسبة لعدد سكان الصين الإجمالي.

وقبل العهد الشيوعي كان المسلمون في الصين يواجهون الاضطهاد الديني لكن بشكل عشوائي وغير منظم وبالتالي لم يهدد ثقافتهم بالذوبان. أما في مرحلة الشيوعية فراحوا يواجهون آلة ضخمة من التشويه والطمس الأيديولوجي المنظم المدعوم بالسلطة والمال على مستوى الترقيات الوظيفية أو العلاوات في الرواتب و الأجور كذلك أحقية التوظيف.

وعمليات « المركسة » التي أعدتها السلطات الشيوعية كانت شاملة حين طالت المدارس منذ المراحل التأسيسية من المعاهد والجامعات والنقابات ومختلف القطاعات المهنية في المجتمع إلى « حلقات التثقيف للراشدين » في الأرياف والدساكر النائية التي أشرف عليها جيش منظم من الأيديولوجيين العتاة.

وأصدرت السلطات الشيوعية مراسيم قررت فيها منع الأطفال من التعليم الديني قبل أن يبلغوا ١٨ عاماً من العمر، وأن يكون التعليم الديني بعد هذا السن في معاهد تشرف عليها السلطات الشيوعية ، وتواصلت الحملات الأيديولوجية على هذا المنوال.

ويقول الباحث التركستاني توختي آخون آركين أن الغاية من ذلك هو تأهيل الموظفين الذين يستطيعون تطبيق سياسة تسخير الدين لأهداف الحزب الشيوعي ، وهذا ما شرحه بالتفصيل كتاب " التوجيه في تفعيل الاشتراكية بالدين " الذي وضعه قسم الجبهة المتحدة في الحزب الشيوعي الصيني لولاية كاشغر بالاتفاق مع الإدارة الدينية للأقليات في محافظة كاشغر إذ ضم الكتاب دروساً ومحاضرات ألقيت في ندوة ضمت ٤٨ شخصاً من رجال الدين و ٢٤ شخصاً من رؤساء الإدرارة الدينية الحكومية و ٢٠ شخصاً من مسؤولي

المكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني و ٤٣ شخصاً من مدرسي الدين . وعقدت هذه الندوة في كاشغر بين ٥و٩ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٩٤.

وصدر عن هذه الندوة قرارات عدة تحارب جميع الأديان ونذكر منها ما يتعلق بمحاربة الدين الإسلامي وهي الآتي :

١ - يُمنع تنظيم حلقات حفظ القرآن الكريم وتعليم أحكام الدين في المساجد والمنازل، وأن يتم ذلك فقط في المعاهدة الإسلامية التي تُفتح في المدن الريئسية تحت إشراف السلطات الشيوعية.

٢ - أن يكون التعليم الإسلامي مقتصراً على الراشدين الذين تجاوزوا الثامنة عشرة من عمرهم.

٣ - يُمنع ترميم المساجد وإصلاحها أو بناء الجديد منها إلا بإذن رسمي من السلطات الرسمية.

٤ - يُمنع تدخل علماء الإسلام في الأحوال الشخصية الإسلامية مثل عقود النكاح ، والطلاق ، والميراث ، وتحديد النسل والتعليم وجمع الزكاة أو صرفها.

٥ - تسخير المفاهيم الإسلامية في ترويج النظام الشيوعي وتأييد ممارسة السلطات الصينية لأعمالها ، ويُمنع الإشارة إلى أي مفهوم ديني ينتقد الفكر الماركسي الماوي الشيوعي الصيني.

٦ - رجال الحزب الشيوعي الصيني لا يمارسون شعائر الدين لأنهم العاملون بنظامه ومنفذو تعاليمه أو لا يحق لأي كان أن يحتقرهم ويسيء إليهم بسبب مواقفهم من الدين.

٧ - يُمنع اتصال الهيئات الدينية ورجالها بالمؤسسات الإسلامية وشخصياتها في خارج الصين. كما يُمنع تلقي المساعدات منهم من دون تصريح حكومي ، ويُمنع السماح لأي عالم أو إمام أجنبي أن يؤم المسلمين أو أن يخطب فيهم في المساجد.

٨ - يحظر على غير الإمام الرسمي الإقامة والخطابة ، كما تُمنع الصلاة أو الوعظ في غير المساجد التي تُفتح بإذن السلطات الرسمية وتحت إشرافها.

ومن يخالف هذه التعليمات يتعرض لأشد الأحكام فظاظة مثل السجن المؤبد أو السجن مع الأعمال الشاقة لفترات تتراوح بين خمسة أعوام و ٢٠ عاماً.

وهناك مئات المعتقلين ما زالوا يقبعون في السجون الصينية لمخالفتهم هذه القرارات أبرزهم الشيخ إسحاق هان ون مدير المدرسة الإسلامية في بكين.

وفي ظل حملة التجهيل التي يتعرض لها المسلمون في الصين يمكن القول أن ثقافتهم الدينية متدنية جداً وفقههم بالإسلام معدوم البتة ويقتصر إسلامهم على الشهادتين فقط وربما على ممارسة بعض العادات والتقاليد الإسلامية وصلتهم بتعاليم القرآن والسنة النبوية محدودة للغاية . ولولا صلاة الجمعة وعيدي الفطر والأضحي ومراسم الزواج الإسلامية التي ما زالوا يمارسون طقوسها سراً لتغربوا عن دينهم . حتى صلاة الجماعة حسب بعض التقارير فإن القليل من المصلين يحفظ الفاتحة فهم يقفون شبه صامتين أثناء تأديتهم لفريضة الصلاة ، ومعرفتهم باللغة العربية محدودة ذلك أن تراثهم المطبوع أحرق في معظمه خلال سنوات الثورة الثقافية مما أدى إلى نقص فادح في مصادر معرفتهم بتراثهم الديني والثقافي.

ولكن أخطر ما يواجهه المسلمون في الصين ليست سياسة التجهيل الديني والثقافي المتبعة ضدهم من قبل السلطات الرسمية، وإنما يواجهون أخطاراً أخرى تهدد وجودهم على أرض أجدادهم ، ويتمثل ذلك بإجراء التجارب النووية الصينية على أرضهم منذ الستينيات ، إذ يقع أكبر موقع في العالم اليوم لتجارب الصواريخ والقنابل النووية قرب بحيرة لوب نور في صحراء (تاكل ماكر) في إقليم سينكيانج ، وفي هذا الموقع فجرت الصين أولى قنابلها الذرية في الجو خلال تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٦٤.

وواصلت الحكومة الصينية إجراء تجاربها في هذا الموقع من ذلك التاريخ ، وكان آخرها التفجير الذي نفذته في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٩٢.

وتقول تقارير الأمم المتحدة إن حوالي مليون شخص على طرفي الحدود الصينية - الروسية كانوا ضحايا هذه التجارب . لقد سقط المئات من الأطفال في تركستان الشرقية ضحية مرض غريب من أعراضه آلام الأذنين وآلام في الرأس وإغماء. وتعتقد بعض الجهات الطبية في الأمم المتحدة أن هؤلاء الأطفال تأثروا بالتجارب النووية.

فهل يدرك المجتمع الدولي مدى فداحة السكوت عن الاضطهاد الديني والثقافي والعرقي الذي يتعرض له المسلمون في الصين ، أم أن الصين دولة قوية وصاعدة على مستوى النمو الاقتصادي وتجد بها رؤوس الأموال الغربية أسواقاً مربحة فلذلك يجري

«التطنيش» عن كل ممارساتها ؟ ومرة أخرى « تتبهدل » شعارات حقوق الإنسان وحرياته في خواتيم القرن العشرين بسبب تسخيرها للغايات غير الأخلاقية ؟.

جريدة "الحياة"

٣١ يناير ١٩٩٧م

٢٢ رمضان ١٤١٧هـ

مخطط لتحويل مسلمي تركستان إلى أقلية

بقلم : كاي شتريتماتر

يطارد الأويغوريون الشاهرون سكاكينهم الصينيين ويقتلونهم ثم يقطعون آذانهم . ويُطلق الجنود الصينيون النار عشوائياً على حشود المتظاهرين الأويغوريين الغاضبين ، ويقتلون الكثيرين . إن الأنباء التي تسربت من مدينة ينينغ النائية في شمال غرب الصين في وقت مبكر هذا الأسبوع تُذكّر العالم الخارجي بنزاع تم نسيانه تقريباً . فالعالم يعلم أن أقلية التبت في الصين تتعرض للقمع ، لكنه يجهل الكثير عما يتعرض له الأويغوريون.

يشكل الأويغوريون، وهم أقلية عرقية من أصل تركي ، أكثر من سبعة ملايين نسمة في إقليم تركستان الشرقية المعروف حالياً بمقاطعة سينكيانج شمال غربي الصين . ومثلهم مثل التبت يُطالبون إما بالاستقلال عن الصين أو درجة عالية من الحكم الذاتي في إقليمهم. ويقاتل الأويغوريون، وهم من المسلمين السنة ، ضد ما يعتبرونه استيلاء الصين على أرضهم ، ويتمركز غضبهم حول عدد من الظلامات ، خاصة توطين مجموعات الهان الصينيين في إقليمهم ، وهو ما يرونه سياسة متعمدة لتذويبهم إلى وضع الأقلية في الإقليم.

ويشير الأويغوريون إلى أن ٣٠٠ ألف صيني كانوا يعيشون في إقليم تركستان في عام ١٩٤٩ ، فيما يصل عددهم إليوم إلى ستة ملايين نسمة ، أو نحو ٤٠ في المائة من السكان ، وفيما كان الأويغوريون يشكلون ٧٥ في المائة من السكان لدى استيلاء الشيوعيين على الإقليم ، انخفض عددهم اليوم إلى أقل من نصف تلك النسبة.

ويفاقم الأمر أن الحكومة الصينية دأبت على توطين المجرمين الصينيين الذين يتم الإفراج عنهم من معسكرات العمل في سينكيانج في المنطقة.

وظلت صحاري تركستان وجبالها لعدة قرون عازلاً وجسراً بين الإمبراطورية ومنطقة الإستبس في آسيا الوسطى. وقد ظل الأباطرة الصينيون يعتبرون لعدة سنوات طويلة ، الإقليم الذي يخترقه طريق الحرير الأسطوري ، جزءاً من إمبراطوريتهم وإن لم يفرضوا عليه سلطتهم في الواقع إلا في فترات متقطعة . فقد احتلت إمبراطورية التانج (٦١٨ - ٩٠٧) الإقليم لفترات قصيرة ، حتى جاءت مملكة كينج (١٦٤٤ - ١٩١١) التي

أطلقت اسم سينكيانج لأول مرة عليه ، واستولت عليه في النهاية لتعلنه مقاطعة صينية في ١٨٤٤ .

ويُعتقد أن الأويغوريون استقروا في الإقليم لأول مرة في القرن الثامن ، لكنهم لم يقيموا دولة فيه إلا في القرن التاسع عشر ، وهي دولة تركستان . ولبضعة سنوات بعد عام ١٩٤٤ أقاموا جمهورية تركستان الشرقية.

وحالياً لا تشكل مقاطعة سينكيانج رصيداً استراتيجياً وحسب للصينيين الذين يعرفون المصادر المعدنية الوفيرة التي يذخر بها الإقليم . بل أهم من ذلك إذ يعتقد الخبراء في وجود كميات ضخمة من النفط والغاز الطبيعي في الإقليم ، وهي مصادر طاقة يمكن نقلها إلى الشرق لتوفير الوقود للطفرة الاقتصادية على الساحل الصيني الشرقي. ويشير الأويغوريون إلى الاختبارات النووية الصينية التي تجري في أراضيهم - آخرها في تموز (يوليو) الماضي - كمثال صارخ للاستغلال الصيني الوحشي لأراضي المقاطعة . ويعتقد أن هذه الاختبارات لوثت أجزاء كبيرة من أراضي الإقليم.

ومثلهم مثل أقليات الجرجيز، الأوزبك، الكازاج، يشتكي الأويغوريون أيضاً من القمع الصيني وكبت الحريات الدينية في الإقليم. وفي الواقع فإن الحكومة الصينية منزعجة من إمكانية انتشار الأفكار الدينية المتشددة للإقليم عبر الحدود مع الجمهوريات الإسلامية المجاورة. فإيران تحاول كسب النفوذ في سينكيانج، فيما تُهّرب أطراف الحرب الأهلية في أفغانستان السلاح والأموال إلى الحركات الوطنية في الإقليم. وقد لجأ الحزب الشيوعي الصيني في أحيان كثيرة إلى تطهير مسؤولي الحزب المحليين الذين اعتنقوا الإسلام.

وتعد الحركة الموالية لتركيا الخطر الأكبر الثاني في الإقليم في أعين الصينيين الذين يعتبرون تركيا أهم قاعدة أنصار للانفصاليين . والواقع أن الدعم لهذه الحركات لا يقتصر على إيران ، أفغانستان ، وتركيا وحسب ، فحركة تحرير أويغورستان تأسست في كازاخستان في ١٩٩٢ .

في الثمانينيات أخذت الصين تدرك أن عليها تحقيق الرخاء وتطوير الإقليم إذا كانت تريد حقيقة تفادي اضطرابات خطيرة ومن ثم شرعت في تنفيذ عدة مشاريع بينية أساسية في سينكيانج ، وتلقى الإقليم دفعة أخرى مع انهيار الاتحاد السوفياتي ، إذ لم تعد سينكيانج مجرد مقاطعة صينية معزولة ، بل قاعدة مستهدفة لتطوير التجارة مع الجمهوريات الجديدة إلى الغرب.

ويتمتع سكان سينكيانج اليوم بمستوى معيشة مرتفع مقارنة بجيرانهم المسلمين ، لكن مع ذلك فإن التداخل عبر الحدود مع الدول المجاورة عمل بصفة أساسية لإذكاء الروح الانفصالية لدى الأويغوريون . وقد تحدثت تقارير متزايدة في السنوات الأخيرة عن هجمات تعرض لها المسؤولون الصينيون ، أو الأويغوريون المتعاونين معهم.

جريدة : "الاقتصادية"

١٤ فبراير ١٩٩٧م

٧ شوال ١٤١٧هـ

لوكبرت في جموع الصين مئذنة!!

بقلم : د. وليد الطبطبائي

جاءت الاضطرابات الدموية الأخيرة التي وقعت خلال أيام عيد الفطر المبارك في إقليم (سينكيانج) الواقع في شمال غرب الصين والمعروف سابقاً باسم (التركستان الشرقية) جاءت لتعيد للذاكرة التاريخ المرير لهذا الإقليم الذي تقطنه الأغلبية المسلمة تحت نير الاحتلال الصيني ، ومعاناة المسلمين مروراً بالعهد الإمبراطوري وانتهاء بالعهد الشيوعي!!.

لقد جاءت هذه الاضطرابات والتي أسفرت عن مقتل ما لا يقل عن ٨٠ شخصاً واعتقال ما يقارب الألف شخص بسبب رفض السلطات الصينية السماح للمسلمين بإقامة شعائر عيد الفطر المبارك ، فقام الشعب المسلم بالتعبير عن سخطه من ذلك ، فردت السلطات - كعادة كل الأنظمة الاستبدادية - باستخدام القوة، مما أثار بدوره مزيداً من التوتر والسخط الشعبي بين المسلمين !.

وسينكيانج أو تركستان الشرقية أكبر محافظات الصين ويقطنها نحو ٥٠ مليون غالبيتهم من المسلمين ، وينتمي معظم المسلمين في تركستان الشرقية إلى جماعة (الأويغور) العرقية ، وهي قبيلة تركية ذات صلات تاريخية وثقافية وثيقة مع شعوب القزق والقيرغيز المجاورين في المناطق التي تُعرف بتركستان الغربية والتي نالت استقلالها مؤخراً من الاتحاد السوفياتي مشكّلةً عدداً من الجمهوريات الإسلامية المستقلة (كازاخستان ، قيرغيزستان ، أوزبكستان ، طاجيكستان ، تركمانستان).

و(سينكيانج) وهو الاسم الذي أطلقه عليها المحتل الصيني ، يعني باللغة الصينية : المقاطعة الجديدة ، وقد كان قدر المسلمين القاطنين في تركستان الشرقة أنهم وقعوا بين قوتين كبيرتين (روسيا والصين) مما أدى إلى معاناة دائمة لم تنته منذ قرنين من الزمان لينتهي الصراع باحتلال أرضه ومحاولة إذابة شخصيته الإسلامية في محيط بشري يحاول ابتلاعه ، فتارة يحتل أرضه الروس في غزو قادم من الغرب ، وتارة أخرى تأتيه جحافل الغزاة من الشرق من الصين ، وأخيراً ضم إقليم تركستان الشرقية عنوة إلى الصين في عام ١٨٨١م. ولم يستسلم شعب التركستان المسلم للاحتلال الصيني ، بل قاوم هذا الغزو في انتفاضات عديدة وحاولت الصين توطين ملايين من سكانها في التركستان لتحد من الأغلبية الإسلامية التي وصلت إلى ٩٠٪ قبل سياسة التهجير، ثم انخفضت النسبة إلى

٧٠٪ وأدى هذا إلى طمس المعاملات الإسلامية للبلاد ، حتي اكتملت مرارته بضم الإقليم للصين وأطلقوا عليه (سينكيانج) ، وقد قام مئات الألوف من مسلمي التركستان الشرقية بالهجرة إلى تركيا والسعودية ودول إسلامية أخرى نتيجة للاضطهاد الشيوعي الذي قام بإغلاق المدارس الإسلامية والمساجد واستولى على أوقاف المسلمين وحتي مقابرهم !!.

لقد جاءت الأحداث الأخيرة لتضع علامات استفهام عديدة عن طبيعة التسامح الديني الذي بدأت الصين في تطبيقه في الآونة الأخيرة ، وهل بدأت السلطات الصينية بالعودة إلى سياسة منع حرية الاعتقاد ؟ أم أن التسامح الديني سيكون مكفولاً للجميع دون المسلمين وحدهم !!.

إنني أدعو الدول الإسلامية والمنظمات الدولية والمدافعين عن حقوق الإنسان للتدخل لحماية المسلمين في (سينكيانج) من القمع والاضطهاد الديني والعرقي ، فإذا لم تستطع مساندة أبناء التركستان الشرقية لاستعادة استقلالهم وحرياتهم السياسية ، فلا أقل من أن نساندهم لاستعادة حرياتهم الدينية والشخصية.

إن المسلم مطالب بأن يقف مع إخوانه في العقيدة أينما كانوا وحيثما حلوا ، وما أحسن قول الشاعر:

ولست أدرى سوى الإسلام لى وطناً ... الشام فيه ووادي النيل سيان

وحيثما ذكر اسم الله في بلد ... عددت ذاك الحمى من لب أوطاني

ولذلك فنحن نردد مع الشاعر الآخر قوله :

لو كبرت في جموع الصين مئذنة ... سمعت في الغرب تهليل المصلينا

جريدة " الوطن " الكويتية

١٥ فبراير ١٩٩٧م

تركستان الشرقية،

يقتلعون من وطنهم بدلا من تلبية مطالبهم المشروعة

بقلم : نضال الليثي

تعتبر مقاطعة سينكيانج أو ما يُطلق عليها تركستان الشرقية المركز السكاني الرئيسي للمسلمين . وتقول الحكومة الصينية إن عددهم ٢٥ مليون مسلم ، بينما تقدر أوساط أخرى عددهم بخمسين مليوناً ينتمون إلى قوميات عدة هي ، القازاق ، المنغوليون، التاجيك ، الأوزبك ، والأتراك . وتعتبر هذه المقاطعة من أكبر المقاطعات الصينية . وتشكل سُدس مساحة الصين ، أي ما يعادل ثلاثة أضعاف مساحة فرنسا ، ولها حدود مشتركة مع أفغاستان وتركمانستان . ويتميز سكانها بتنوع انتمائهم القومي والقبلي الذي لا نظير له في مقاطعات الصين الأخرى.

تعمل الحكومةالصينية على إبعاد الناس عن الإسلام في تركستان الشرقية من طريق النشاط الأيديولوجي إذ تعتبر الدين نظرة غير علمية وتؤدي إلى تزييف وعي الناس ويعكس مصالح طبقية معادية للاشتراكية وأفكار ماوتسى تونغ الذي خص الدين والمتدينين بالنقد في مؤلفاته التي تعتبر مراجع مهمة لحل المعضلات السياسية والاجتماعية في الصين.

بلغت شدة القمع الديني ضد المسلمين في الصين أكبر مما كان عليه في بلدان أوروبا الشرقية قبل سقوط الشيوعية فيها. ويتولى القيام بالمهمة الأيديولوجية بين المسلمين إضافة إلى المنظمات الحزبية الشيوعية ، منظمة حكومية تدار علمياً من قبل الأجهزة الحكومية ، ويُقال عنها زوراً بأنها تمثل المسلمين ، ويخضع أئمة المساجد إلى دورات أيديولوجية قبل تعيينهم فيها. ويعتبرون موظفين يستلمون رواتبهم من الحكومة . ولا يُسمح لغيرهم بإلقاء الخطب في المساجد أو تأدية مهمات دينية معينة.

ويعود تاريخ النصوص القانونية التي تنظم الممارسة الدينية إلى عام ١٩٨٢، وتحديداً الوثيقة رقم ١٩ الصادرة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني . وجاء فيها أن للاتحاد الحقوق نفسها والوظائف الممنوحة لكل دين من دون أن يُسمح بممارسته داخل أماكن العبادة الرسمية . وتُمنع التربية الإسلامية للقاصرين الذين هم دون سن الثامنة عشرة. وتحظر النشاطات الدينية خارج أماكن العبادة . ومنُعت حلقات حفظ القرآن

الكريم وتعليم أحكام الدين في المساجد والمنازل . وأن يتم ذلك في المعاهد الرسمية القليلة العدد والعاملة تحت إشراف الحكومة . واقتصر التعليم الديني على البالغين الذين تجاوزوا سن الثامنة عشرة . وحُظر ترميم المساجد وإصلاحها أو بناء الجديد منها إلا بإذن رسمي . ولا يُسمح بتدخل علماء الدين في قضايا الأحوال الشخصية مثل عقود الزواج والطلاق والميراث وجمع الزكاة وصرفها، وحُظر اتصال الهيئات الدينية ورجالها بالمؤسسات الإسلامية وشخصياتها خارج الصين وتلقي المساعدات من الخارج من دون تصريح رسمي . ولا يُسمح لأي عالم أو إمام أجنبي من إمامة المسلمين أو الخطابة بهم.

وطبقت الحكومة الصينية سياسة تُطلق عليها سياسة (إعادة التوطين الجديدة) في إقليم سينكيانج ، هدفها تشجيع الصينيين على الهجرة إلى هذه المقاطعة لزيادة عددهم فيها، وإجبار السكان الأصليين من المسلمين على هجرها إلى مقاطعات أخرى.

ولا يتولى المسلمون الوظائف المهمة أو المتعلقة بإدارة شؤونهم . وتُسند وظائف الإدارة والأمن إلى الصينيين الذين يصفون بالسكان الأصليين خلافاً للحقائق التاريخية المعروفة. وشهدت المقاطعة ازدهاراً اقتصادياً واضحاً، وارتفع المستوى المعيشي فيها خلال العقد الأخير بعد اعتماد سياسة تشجيع الاستثمار الخاص. ولم ينل المسلمون من ثمار تحسن الوضع الاقتصادى بسبب سياسة التميز ضدهم، وسيطرة الأهالي من الصينيين على مجال الأعمال التجارية والصناعية بدعم من الحكومة لتعزيز مواقعهم.

وتمتعت هذه المقاطعة باستقلال ذاتي في أثناء الحكم الوطني وشكل المسلمون الغالبية في حكومتها التي كانت موضع ثقة الناس واحترامهم . وتمكن الشيوعيون من السيطرة على الحكم في تركستان الشرقية بعد قيامهم بانقلاب عسكري.

وقام عثمان خان حاكم المقاطعة بقيادة الحكومة الانقلابية الجديدة وطالب بالاستقلال ، إلا أن الحكومة تمكنت من القضاء على مقاومته سريعاً ، خوفاً من امتدادها وتوسعها بعد أن أيدها سكان غرب المقاطعة . ولا يُعرف الكثير عن تفاصيل مقاطعة المسلمين ، نظراً للتعتيم عليها من الحكومة الصينية . وتعتبر (منظمة تحرير تركستان) أبرز المنظمات المعروفة في الوقت الحاضر ولها نشاط وتأثير ملموسان . كما لا يُعرف الكثير عن برنامجها وأهدافها بسبب طابعها السري والقمع الذي يجابه به نشاط المنظمة.

وتشير الدلائل إلى مساهمة عدد كبير من المسلمين الصينيين في انتفاضات جمهوريات

آسيا الوسطى على الحكم الشيوعي السابق للحصول على الاستقلال . ويتلقون في الوقت الحاضر الدعم من مسلميها . وتقول الحكومة الصينية أن بعض المنظمات تقيم صلات بالمجاهدين الأفغان الذين يشجعونها على المطالبة بالاستقلال وتشكيل حكومة إسلامية . ولا توجد مصادر مستقلة تؤكد مدى نفوذ هذه المنظمات في أوساط المسلمين الصينيين ، وفيما إذا كان المسلمون يرغبون بالاستقلال أو يفضلون الحكم الفيديرالي الحقيقي القادر على تمثيلهم وضمان حرياتهم السياسية والدينية ويوقف القمع ضدهم.

أدت السياسات الحكومية إلى تزايد السخط في أوساط المسلمين ومقاومتهم لها ، حين قاموا بانتفاضة واسعة في آذار (مارس) ١٩٩٠ في مدينة بافرن. ويعود السبب المباشر لقيام الانتفاضة إلى إغلاق الحكومة أحد المساجد. ما أدى إلى استثارة المشاعر الدينية لدى المسلمين. وأدى قمع الانتفاضة إلى تزايد القمع والاضطهاد الديني وإغلاق عدد كبير من المساجد ، ووجهت تهم سياسية إلى قادة الانتفاضة ، إذ اعتبروا انفصاليين يهددون وحدة البلاد.

وتشير منظمة العفو الدولية في تقاريرها عن الصين إلى أن الحكومة في سينكيانج تسجن وتحتجز من تعتبرهم من المنشقين الذين يمثلون المستقلين سياسياً والساخطين ضد الكبح على النشاطات الدينية . كما تشير تقارير المنظمة المذكور إلى احتجاز السلطات لسجناء سياسيين وسجناء مديري مدارس وكتّاب . ويوجد سجناء أدينوا بسبب العنف الذى استخدموه ضد الإدارات.

ولم يستطع المسلمون في الصين جذب انتباه الغرب لقضيتهم إلا جزئياً . وربما يعود ذلك إلى اهتمام الغرب بقضية التبت ومطالب سكانها الاستقلالية ووجود دلي لاما القائد الروحي لسكان التبت في خارج الصين بسبب نفيه منها ، إذ تتركز عليه الأنظار الأمر الذي يمكنه من إبراز قضية شعبه. وساعد على هذا الوضع عدم معرفة الكثيرين بحجم القمع المسلط على المسلمين ، أو حتى عدم معرفة وجود ٥٠ مليون مسلم في المقاطعة المذكورة وحدها.

وأدى عدم تسرب أخبار المقاومة والانتفاضات والتعتيم عليها من الحكومة إلى غياب التضامن معهم واعتبار قضيتهم منسية ومن القضايا غير العادلة ولا تستحق الدعم والتشجيع.

تتميز مقاومة المسلمين في الوقت الحاضر بسعتها وتأثيرها ، وتدل على ما تنشره

وسائل الإعلام الصينية المركزية وما تنقله وكالات الأنباء على ذلك. ففي تقرير لوكالة رويتر قالت فيه : إن السلطات الصينية قامت بتوسيع نطاق حملتها على من أسمتهم بـ «الانفصاليين» كذلك على ما تدعوه بـ «النشاطات الدينية غير المشروعة في المدارس والجامعات». وبلغ عدد الأشخاص الذين تم إعدامهم ضمن هذه الحملة من التركستانيين منذ شهر نيسان (أبريل) الماضي حتى بداية الشهر الحالي ٢٧٧٣ شخصاً.

وصرّح بعض المسؤولين المحليين لتليفزيون سينكيانج بأن الحملة الحالية تستهدف «تطهير» الجامعات والمدارس من «الانفصاليين» ومنع تسرب المبادئ الدينية وتأثيرها على الطلاب . ونقلت وكالة الصحافة الفرنسية عن صحيفة ديلي سينكيانج المحلية أحاديث لمسؤولين، بوجوب عدم السماح للكوادر والأعضاء في الحزب الشيوعي المشاركة في النشاطات الدينية وممارسة الشعائر ، مما يدل على اشتراك قسم من «الشيوعيين» المسلمين في أعمال المقاومة وتقديم الدعم لها.

ونقلاً عن وكالة رويتر ، طالبت كبرى الصحف الرسمية في الإقليم بوجوب «التحقيق فوراً مع أعضاء الحزب والمسؤولين المتورطين في النشاطات الإرهابية ومعاقبتهم» . وطالبت الصحيفة بمعاقبة أعضاء الحزب ومسؤولي الحكومة الذين يُظهرون تدينهم أو ممن شاركوا في إصدار كتب دينية أو منتجات سمعية وبصرية غير مشروعة عززت المطالبة بالاستقلال.

تُرجم القرآن الكريم إلى اللغة الصينية عام ١٩٢٧ من مترجم ياباني غير مسلم، مما سهل طبعه في الصين . إضافة إلى ذلك يوجد نظام للتعليم الديني . وتعتبر مناطق يانهان وكانسو مراكز دراسة الدين الإسلامي في الصين ، ويتوجه إليها طلاب العلم للدراسة فيها . وتتركز اهتمامات السكان على دراسة اللغة العربية ، وقراءة القرآن وتزايد عدد المصلين في المساجد يوم الجمعة.

وتركز الجماعات الإسلامية على المطالبة بتعليم الدين للأطفال ، وحتى يتم ذلك في شكل صحيح لابد من معرفة اللغة العربية والاهتمام بتدريسها . ولا يريدون من الحكومة التدخل في شؤونهم الدينية ، وتحدد لهم المسموح وغير المسموح في دينهم. ولا يتم إجبارهم على اتباع مراسيم تختلف عن مراسيم الإسلام في الزواج والدفن والزكاة والثقافة الإسلامية العامة وغيرها من القضايا . كما تركز هذه الجماعات على المطالبة بالحرية السياسية والاعتراف بحقوقهم بعد إقامة استمرت في هذا البلد ١٤٠٠ سنة ،

وتوجد ظروف خصبة لانتشار الإرهاب والتطرف بسبب السياسات الحكومية القائمة على القمع والتمييز ضد المسلمين، إضافة إلى التـأثيرات الآتية من أفغانستان . وبدلاً من قيام السلطة بتقدم الحلول السـياسية وتخفيف التوتر وتلبـية مطالب المسلمين ، يتم اللجوء إلى تصعيد العنف الذي أدى إلى عنف مـضاد ، يُستغل لتوجيه الاتهـامات للمسلمين وتبرير القمع ضدهم وطردهم من بلادهم.

جريدة "الحياة"

١٧ فبراير ١٩٩٧م

١٠ شوال ١٤١٧هـ

الصين : عودة إلى الاضطرابات العرقية

بقلم : عادل محمد حسن

عادت بداية الأسبوع الماضي الاضرابات العرقية في إقليم سينكيانج شمال غربي الصين الذي يسكنه الكازاخ والأويغور والقيرغيز من ذوي الديانة الإسلامية ، وذلك اقتراناً بمطالبة جمهرة من المتظاهرين بإطلاق سراح السجناء السياسيين في مناسبة الاحتفال بحلول عيد الفطر المبارك. يبلغ نفوس هذه الجالية ذات الأصول التركية ما يزيد على ٥٠ مليون نسمة ، وهم امتداد للشعوب القاطنة في جمهوريتي كازاخستان وقيرغيزستان في آسيا الوسطى ، وتتميز هذه الجالية بلغتها وثقافتها وديانتها عن قومية الهان الصينية التي تشكل حوالي ٨٥ في المائة من تركيبة الشعب الصيني.

بعد انتصار الثورة الصينية عام ١٩٤٩، استبشرت هذه الأقليات بدعوات سياسية حول إزالة التميز والظلم الذي سلُط عليها في أثناء العهود السابقة ، والإعلان عن برامج لحل مشاكل الأقليات العرقية. وعاشت هذه الأقليات فترة استقرار نسبي خلال عقد من الزمن. وقامت الحكومة آنذاك بإقامة كيان سياسي لهم سمي بـ (جمهورية تركستان الشرقية) . لكن ما لبث أن جرى تحول في سياسة الحكومة الصينية تمثل في انتعاش تيار قومي متشدد في القيادة الصينية يرمي إلى صهر الأقليات بالعرق المهيمن في الصين، أي عرق الهان. وتراجعت الحكومة الصينية عن إجراءاتها المتمثلة باحترام خصوصية هؤلاء الأقوام وحلت جمهورية تركستان الشرقية. ولم تعد الأقليات العرقية تتمتع بحق الإدارة الذاتية لشؤونها على غرار ما هو موجود في أرجاء أخرى من الصين. لذلك انفجرت الاضطرابات في التبت في عام ١٩٥٨، ثم تلتها الاضطرابات في إقليم سينكيانج الذي تقطنه أكثرية صينية مسلمة. ومع تأزم العلاقات مع الاتحاد السوفياتي في مطلع الستينيات وبذريعة أن لهذه الأقليات امتداداً في الجمهوريتين السوفياتين السابقتين كازاخستان وقيرغيزيا ، أصبحت مشكلة هذه الأقاليم جزءاً من الصراع بين الدولتين، واشتد الضغط عليها مما أدى إلى لجوء بضعة ملايين منهم إلى الاتحاد السوفياتي في منتصف الستينيات . وإثر إعلان ماوتسي تونغ ثورته الثقافية والقضاء على « التقاليد البالية » اشتد التأزم بصورة أكثر درامية في هذا الإقليم شأن ما جرى في كل أنحاء الصين.

وما زاد الطين بلة أن إقليم سينكيانج غني في ثرواته الطبيعية واحتمالات وجود مكامن نفطية في باطن أرضه . إلا أن الوضع الاقتصادي في الإقليم اتسم بالركود ولم تشمله

موجه الإصلاحات الاقتصادية التي طرأت على العديد من الأقاليم الصينية الشرقية والجنوبية. كما أنه أضحى مركزاً للتجارب النووية الصينية، واحتل موقعاً مهماً في الاستراتيجية الصينية، كونه أيضاً يقع على الحدود الشمالية الغربية الحساسة . وهذا ما حدا بالحكومة الصينية اتباع سياسة التغيير الديمغرافي (السكاني) للمنطقة عن طريق إسكان أعداد واسعة من الصينيين المنحدرين من عرق الهان في مناطق الكازاخ والأويغور لغرض فرض هيمنتها على المنطقة. والنتيجة في مثل هذه الحالات هو أمر وحيد، أي تحول المنطقة قنبلة موقوتة وبؤرة للنزعات العرقية والتوتر والصدامات المستمرة.

إن موقع هذا الإقليم على جوار جمهوريات إسلامية فتية وتأثرها بنزعات مشابهة مثل النزاع في أفغانستان أو الشيشان على سبيل المثال لا الحصر ، يجعل هذا الإقليم عرضة لتنامي مشاعر البحث عن الهوية القومية والدينية إلى حد المطالبة بإقامة كيان مستقل. أو التطرف وحمل السلاح أحياناً . وهذا يفسر شدة الصدام الذي اندلع في مدينة يننغ الحدودية ثم امتد إلى مدن الإقليم الأخرى عشية حلول عيد الفطر المبارك حين سقط العديد من القتلى والجرحى . ويعتبر هذا الصدام الأخطر في المنطقة منذ اضطرابات عام ١٩٩٠ التي قمعتها الحكومة الصينية بحشد عشرات الآلاف من أفراد الجيش الصيني.

إن لجوء الحكومة الصينية إلى القمع البوليسي وإعادة البناء الديمغرافي بالقوة المسلحة لا يحل مشكلة القيادة الصينية التي تخشى من تفكك دولتها على غرار ما حدث وما يحدث في الاتحاد السوفياتي السابق أو يوغسلافيا . ولا يسعف القيادة الصينية اتهام « القوى الأجنبية المعادية » أو « العناصر الأصولية » بكونها تقف وراء هذه الاضطرابات وتشجعها.

إن مثل هذه الاضطرابات تعكس العداء الشامل لأهالي الإقليم ضد سياسة « القبضة الحديد » التي شنتها السلطات الصينية في العام الماضي وهو يعكس عدم قدرة القيادة الصينية على حل معقول للقضية القومية في بلادها.

إن الأويغور والكازاخ والتبتيين و المنغول في منغوليا الداخلية الذين يقطنون في المناطق الحدودية الشمالية والغربية يعانون من سياسة الهجرة الواسعة للمنحدرين من قومية الهان إلى مناطقهم ما يجعلهم يشعرون أنهم غرباء في موطنهم . وإذا ما استمر نهج الحكومة الصينية في عدم الإصغاء لإرادة شعب الإقليم والحوار مع الجبهة القومية الثورية المتحدة

لشرقي تركستـان و « التوسل بالمجابهة فحسب » فـإنه بالتأكيد سيؤدى إلى تحـول القضية إلى مشكلة إقليمـية ثم تكرار ما حصل في بلدان مجـاورة من تفكك . وربما سيأتي يوم ترى فيه الحكومة الصينية أن حدودها قد تغيرت وعلى رغم إرادتها .

جريدة " الحياة "

١٩ فبراير ١٩٩٧م

١٢ شوال ١٤١٧هـ

المسلمون في الصين:
من قوة معترف بها إلي أقلية مطاردة

بقلم : محمود السيد الدغيم

تصل نسبة المسلمين إلى أكثر من عشرة في المائة من سكان الصين الشعبية ، وقدرت (دائرة المعارف البريطانية) عدد سكانها سنة ١٩٩٢ ١,١٥٨,٢٣٠,٠٠٠ نسمة ، لكنها ذكرت أن المسلمين ٢,٤ في المئة فقط. وترجح المصادر الصينية المسلمة أن عددهم ١٥٠مليون نسمة ، ويتكثف الوجود الإسلامي في تركستان الشرقية أو إقليم سينكيانج ومساحته ١,٧١٠,٧٤٥كم٢ بينما احتلت روسيا السوفياتية تركستان الغربية واقتسمتها مع كازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان . ويؤكد التركستانيون أن عددهم أكثر من عشرين مليون نسمة في المقاطعة المذكورة وينتسب بعض إهالى تركستان إلى العرب الذين استوطنوها بعدما فتح القائد الأموي قتيبة بن مسلم الباهلي مدينة كاشغر سنة ٩٦هـ (٧١٤م) وسماها الصينيون (شوفو) . وبقيت تركستان وعاصمتها كاشغر من ديار الإسلام حتي احتلتها الصين في عهد الأسرة المنشورية في القرن الثامن عشر الميلادي.

وفي سنة ١٣٩هـ (٧٥٦م) أرسل الخليفة العباسي جيشاً أعاد للإمبراطور الصيني تان سوتشونغ عرشه . واستقر الجيش الإسلامي في العاصمة تشانغ آن وتزوج العسكر الصينيات وشكلوا نواة الجالية الإسلامية في الصين ثم استمرت الدعوة التي بدأت في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبلغ عدد وفود الدعاة ٧٦ وفداً حتى سنة ٦٠٤هـ.

أعلن مؤسس جمهورية الصين الوطنية صن يات صن أن الأمة الصينية تتكون من خمسة شعوب هي : الهان، والمانشو، والمنغ ، والمسلمون « الهوي » ، والشانج . وأعطيت الشعوب الخمسة حق المساواة في القانون الأساسي المعلن سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٣هـ) . واستمرت الصين الوطينة من سنة ١٩١١ حتى ١٩٤٨ فجاء الشيوعيون وجاء معهم الشر المستطير ضد المسلمين.

شكل المسلمون في عهد الصين الوطنية جمعية مسلمي الصين الوطنية ، والجمعية الاتحادية الإسلامية ، وجمعية اتحاد المسلمين ، الجمعية الثقافية الإسلامية الصينية. وكان

لهم ٤٠٣٢٧ مسجداً عدا مساجد تركستان الشرقية التي ضمت وحدها ٢٠٤٥ مسجداً وجامعاً . وكان في ولاية خانصو (كانسو) ٣٨٩١ مسجداً ، وفي الولايات الشمالية الشرقية ٦٥٧٠ مسجداً ، وفي ولاية يونان ٣٩٧١ مسجداً ، وفي ولاية شانسي ٣٦١٢ مسجداً ، وفي ولاية هاوبة ٢٩٤٢ مسجداً ، وفي ولاية هاونان ٢٧٠٣ مسجداً ، وفي ولاية شانتونج ٢٥١٣ مسجدا ، وفي ولاية سزي تشوان ٢٢٧٥ مسجداً ، وفي ولاية انجووي ١٥١٥ مسجداً ، وفي ولاية شانسي ١٩٣١ مسجداً ، وفي ولاية شنغهاي ١٠٣١ مسجداً ، وفي ولاية هوبة ١١٣٤ مسجداً ،وفي ولاية كيانجسي ١٣٠٢ مسجداً. وبالإضافة إلى المساجد والجوامع شيّد المسلمون آلاف المدارس الإسلامية في الصين.

شارك المسلمون في الحياة السياسية إذ كان لهم أكثر من مئة نائب في البرلمان الصيني سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٦م). وساهموا في الوزارات والقوات المسلحة. لكن الصينيين كانوا دائماً ينظرون إليهم نظرة عداء وشك.

تركستان الشرقية

تبلغ مساحة تركستان الشرقية ٧٤٥, ٧١٠, ١كم٢ توجد فيها صحاري واسعة . مثل صحراء تاكلا ماكان التي تبلغ مساحتها ٦٤٧٠٢٢٠ كم٢ وأجرت فيها الحكومة المركزية تجاربها النووية فأثرت على مظاهر الحياة ووصلت الإشاعات إلى معظم أرجاء المقاطعة.

عاصمة تركستان القديمة هي مدينة كاشغر التي سماها الصينيون (شوفو) أما العاصمة الحديثة فيسميها الأتراك أورومشي ، وسماها الصينيون (تيهوا) ، والمدينة الثالثة يارقند التى سماها الصينيون (سوجى) . وشمل تغيير الأسماء مختلف أسماء الأماكن كما شمل أسماء البشر حيث أصبح محمد ومسعود (ما) والحسن والحسين (حا) وناصر ونصر ونصير الدين (نا).

بقيت تركستان - التى كانت تسمى قراخند - حرة حتى وقعت تحت الاحتلال الصيني سنة ١٨٧٦ ثم أعلنت الصين ضمها سنة ١٨٨٤ وسمتها (سينكيانج) . ومعنى سينكيانج باللغة الصينية : الأرض الجديدة ، وبدأت الحكومة المركزية إيفاد أعداد قليلة من المستوطنين إلى أن بلغ عددهم سنة ١٩٤٩ حوالي ٢٠٠ ألف نسمة ، ارتفع إلى حوالي عشرة ملايين في مطلع التسعينيات. ويتشكل السكان المسلمون من تركمان وأويغور وقازاق ومغول وأوزبك وطاجيك . ويشكلون إلى الآن أكثرية السكان على رغم الغزو الاستيطاني الصيني.

بقي مسلمو تركستان أحراراً في ظل أسرة تانغ التي انتهى حكمها سنة ٢٩٥هـ (٩٠٧م) وتلتها أسرة سونغ حتى سنة ٦٧٩هـ (١٣٦٧م)، فأعقبتها أسرة يوان التي أسسها جنكيز خان المغولي واستمرت حتى سنة ٧٧٠هـ (١٣٦٨م) ثم جاءت أسرة منغ التي ازدهر الإسلام في أيامها في عموم الصين . واستمر ذلك حتى سنة ١٠٥٤هـ (١٦٤٤م) فجاءت إلى الحكم أسرة تسونغ المنشورية فاستمرت في الحكم حتي سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) . وكانت فترة حكم هذه الأسرة سيئة للغاية بالنسبة للمسلمين في الأراضي الصينية إذ وقعت المجازر الجماعية في أكثر من مدينة إسلامية . وقامت ثورات في لانشو سنة ١١٩٦هـ (١٧٨١م) وفي شيفانو ، ،وفي شانسي سنة ١٢٧٩هـ (١٨٦٢م) وفي كانسو ، وحصلت هبّات في يونان في سنوات ١٢٣٣هـ، ١٢٤١هـ ، وسنة ١٢٤٩هـ. وانفجرت ثورة يونانغو التي استمرت من سنة ١٢٧٢هـ (١٨٥٦م) حتى سنة ١٢٩٠هـ.

استمر وضع المسلمين يتجاذب إلى أن دبّ الضعف في العالم الإسلامي جراء الضغط الأوروبى في الغرب والضغط الروسي في الشمال والصراع المذهبى بين الصوفيين والعثمانيين فاستغلت الأسرة الحاكمة آنذاك في الصين الفرصة في أيام جيانا ونغ (١٧٣٦ - ١٧٨٤م) فبدأت تقضم تركستان وأخذت بإسقاط حكم الخوجات المسلمين . وفي سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) أرسل السلطان عبد الحميد الوزير أنور باشا إلى الصين بغية إنقاذ المسلمين ففشل . لكنه أنشأ باسم الخلافة مدرسة إسلامية في بكين لكن الحكومة الصينية ضايقت المسلمين وطردت البعثة التعليمية.

قام أهالي تركستان إذن بثورات عديدة ضد الحكم الصيني أهمها ثورة سوسيان في ولاية كانسو سنة ١١٧٢هـ (١٧٥٨م)، وثورة مامنسين سنة ١١٨٢هـ (١٧٦٨م) ، وثورة جيهانكر سنة ١٨٢٠م ، وثورة يونان ١٢٧٢ - ١٢٩٠هـ (١٨٥٥ - ١٨٧٣م) وثورة يعقوب بك سنة ١٢٧٢ - ١٢٩٢هـ (١٨٥٥ - ١٨٥٧م) في كاشغر . وقمعها الصينيون بشكل وحشي . وبدأ الصينيون العدوان على الأموال والأرواح والأعراض. ففي سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م)، اعتدى قائد الشرطة الصينية على امرأة فثار المسلمون وقتلوه مع حراسه (٣٢حارساً)، والتهبت الثورة ضد الوجود الصيني فسيطر الثوار على شانشان وطرفان واقتربوا من العاصمة أورومشي ثم سيطروا عليها وطردوا الحاكم الصيني. واستولى المسلمون في الشمال على اقاصو بقيادة تيمور كما استولوا على خوتن بقيادة أمين . وتوجه القائدان فاستوليا على كاشغر وأعلنا حكومة كاشغر الإسلامية وانضم إليهم الشيخ خوجه نيازى.

إعلان الجمهورية الإسلامية

انتصر المجاهدون المسلمون على القوات الصينيـة وتحررت المدن وأعلن قيام الجمهورية الإسلامـية في تركسـتان الشرقـية في ٢١ رجب سنة ١٣٥٢هـ (١٢ / ١١ / ١٩٣٣م). وقررت الحكومة حسب الشريعة الإسلامية.

اختار المجاهدون الشيخ نيازى (خوجـه نياز) رئيساً للدولة، واختاروا لرئاسة الوزارة السيد ثابت داملا. آنذاك شـعر الاتحاد السوفياتي بـ «الخطر الإسـلامي» وخشي «امتداد الثورة إلى الأراضي الإسلامية التي يحتلها الروس، فأرسل إلى الصين الأموال والأسلحة براً وجواً وأصبحت الجمهورية الفتية بين فكي الكمـاشة الصينية السوفياتية وتمكن المعتدون من اجـتياح تركستان الشـرقية في ربيع الأول سنة ١٣٥٣هـ (حزيران / يونيو ١٩٣٤م) وتم إعدام الرئيـس خوجة نيـاز، ورئيس الوزارة ثابت داملا، وأعـدم أيضاً كل أعـضاء الحكومة، وسقط معهم عشرة آلاف من المجاهدين.

ضعـفت الحكومة الصينيـة أمام اليابان التي احـتلت منشوريا سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) وهربت جنوباً إلى مدينة تشونغ كنغ، وتحالفت مع القيصـرية الروسية ضد اليابان واستغل الشيوعيون اضطراب الأوضاع وسيطروا على شمال غربي الصين بدعم روسي.

ثار مسـلمو تركسـتان الشرقـية على الظلم الروسي الصـيني سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) فقـمعـوا ثم ثاروا سنة ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م) فقـمعـوا ثم ثاروا سنة ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) واسـتمرت هذه الثـورة ثلاث سنوات فقـد الروس خلالهـا العديد من القـتلى فـسحبت عسكرهـا ونهبوا مـا اسـتطاعـوا من ثروات منقولة من تركـستان. وسـارعت الصين إلى احتلال تركستان الشرقية فور انسحاب الروس.

اسـتمـرت الحـرب العـالمية الثـانيـة من سنة ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) حـتي سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٥م) وانتشـرت آنذاك في وسط المسلمين ثلاث تيـارات هي: التيـار الياباني والتـيار الشيوعي الصيني المدعوم من روسيا، والتيار الصيني الوطني. واستهدفت القوى الثلاث استغلال المسلمين في أثناء الصراع ثم فتكت بهم بعد ذلك.

اسـتـفاد على خان من العـداء الروسي الصيني فاسـتولى على منطقة إيلي في شـمال تركستان الشـرقية وأنشأ إدارة مستقلة عن العاصـمة أوروومشي، وثارت النواحي الأخرى ضد الحكم فنالت تركستان، استقلالاً ذاتياً، وعُين الدكـتور مسعود صبري بايكوز رئيساً

للحكومة. وعُيّن محمد أمين بوغرا نائباً للرئيس وعُيّن يوسف عيسى آلبتكين سكرتيراً عاماً للحكومة المحلية في تركستان الشرقية. وانتعش المسلمون وتمتعوا بحرية محدودة.

انتصر الشيوعيون بقيادة ماوتسي تونغ على حكومة الصين الوطنية فلجأ الوطنيون إلى جزيرة فرموزة (تايوان) وتابع الشيوعيون تصفية ما قبل الشيوعية. فاجتاحوا تركستان الشرقية في ١٦/٢/١٩٤٩. وارتكب الشيوعيون فظائع في الإقليم ليست أقل من الذين سبقوهم، وقتلوا أكثر من خمسين ألف مسلم.

في ظل ذلك الوضع الرديء غادر الشيوخ جلال الدين وانغ زين شان والجنرال حسين مابوفانغ محمد أمين بوغره وعيسى يوسف آلبتكين وعبد العزيز عاشور جنكيز خان وغيرهم البلاد. وتوزع مهاجرو تركستان الشرقية في الدول الإسلامية واستقرت جالية منهم في السعودية، وجالية كبرى في تركيا لا سيما في إسطنبول. وتابع علماء تركستان جهادهم خارج البلاد وداخلها فطبعوا الكتب في مصر والسعودية وتركيا وأصدروا المجلات وحافظوا على لغتهم وتراثهم ودينهم.

عندما استولى الشيوعيون على الحكم في عموم الصين كان عدد المسلمين سنة ١٩٥٠م ٤٨ مليون نسمة، وكان مجموع عدد سكان الصين ٤٨٠ مليوناً. وهذا دليل على أن نسبة المسلمين في الصين هي ١٠ في المائة فكيف يرتفع عدد الآخرين ويقل عدد المسلمين؟ في أيام ماوتسي تونغ شكل الصينيون (الجمعية الإسلامية الشعبية) وعبر الجمعية تمت مركسة المناطق الإسلامية في الصين، وأصدروا تفسيراً «ماركسياً» للقرآن الكريم. وأسس معهد بكين الإسلامي فأصدر مجلة (المسلمون) في الصين للدعاية فقط، ثم أغلق معهد بكين بعد أربع سنوات ومُنعت بعثات الحج سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) وفُرضت الحياة الجماعية في المعسكرات المشتركة، وساءت الأحوال مع إعلان الثورة الثقافية سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) فاستمرت عشر سنوات تم خلالها هدم وإغلاق آلاف المساجد في الصين وتركستان الشرقية.

جريدة "الحياة".

١٩ فبراير ١٩٩٧م

١٢ شوال ١٤١٧هـ

تركستان الشرقية ومستقبل الصين

بقلم : د. صالح محمد الختلان

المواجهات الدامية التي جرت مؤخراً بين المسلمين الأويغور والسلطات الأمنية جاءت لتلقي مزيداً من ظلال الشك على مستقبل الصين بعد وفاة زعيمها دينج شياو بينغ. وعلى الرغم من تفاوت التقارير حول حقيقة ما جرى خلال الأيام الثلاثة الأخيرة من شهر رمضان وكذلك حول عدد القتلى الذي تؤكد التنظيمات الأويغورية أنه تجاوز الثلاثمائة في حين تُزعم الحكومة الصينية مقتل عشرة أشخاص فقط، وكذلك تنفي خبر إعدام ثلاثين من الناشطين من أبناء الأويغور وهو ما تؤكده المعارضة الأويغورية ، إلا أن هذا التفاوت لا ينفي حقيقة وجود مشكلة قومية داخل الصين تعد بالإضافة إلى الضغوط التي يجدها النظام السياسي في بكين مصدر تهديد لاستقرار الصين وكذلك لدورها على الساحة الدولية. فكما يتوقع المراقبون السياسيون ومن بينهم وزير الخارجية الأمريكي السابق هنري كيسينجر ، فالصين وبسبب معدلات نموها العالية ولضخامة اقتصادها إنتاجاً واستهلاكاً ولإمكاناتها البشرية والعسكرية الكبيرة ، ستصبح أحد أقطاب النظام الدولي الآخذ في التشكل حيث ستحل التعددية القطبية مكان الهيمنة والانفراد الأمريكي الراهن.

ولكن تأتي الأحداث الأخيرة المتمثلة في الصدامات القومية لتزيد من علامات الاستفهام حول مستقبل النظام الدولي حيث ، وكما يتفق أساتذة العلاقات الدولية فإن التغير الداخلي في أحد أطرافه الرئيسة كالصين مثلاً يعد مصدراً للتغير والتبدل في بنية النظام وطبيعته وهو ما يجعل من الصعب الجزم بالشكل النهائي للنظام ما دام أحد أطرافه يعيش تغيرات كبيرة.

وكما ذكرنا فإن أهم التحديات التي تواجهها الصين اليوم تتمثل (أولاً) في الضغوط التي يعيشها النظام السياسي والناجمة عن التحولات الاقتصادية الكبيرة. (وثانياً)في النزاعات الانفصالية التي قد تهدد وحدة الصين . فعلى الجانب السياسي وعلى الرغم من عدم ميلنا إلى الأطروحات الحتمية إلا أننا نرى أن التعددية الاجتماعية الناجمة من الإصلاحات الاقتصادية التي بدأت في أواخر السبعينيات قد تقود إلى استقطاب سياسي لا يستطيع النظام الحالي القائم على هيمنة الحزب الشيوعي على مواجهته ومن ثم تجد القيادة السياسية ضرورة التكيف معه من خلال انفتاح سياسي قد يتبعه تحول نحو بناء مؤسسات ديمقراطية. وقد أكدت ذلك حالات مشابهة وكذلك ظهرت مؤشرات له في

أحداث ميدان تيان مان الشهيرة عام ١٩٨٩م.

والانفتاح السياسي قد يصعّد بدوره من الإشكالية القومية حيث ، وكما أكدت تجارب الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا نلاحظ أن المستفيد الأول من حالة الاسترخاء السياسي يكون عادة التنظيمات والجماعات ذات الانتماءات العرقية التي تمثل أقليات تجد في تخلي النظام عن طابعه التسلطي فرصة لا يمكن تفويتها من أجل التعبير عن معاناتها الاقتصادية والسياسية والثقافية وتسعى لإنهائها بشكل قد يعزز من شرعية هذه التنظيمات وفي المقابل يضعف نفوذ السلطة المركزية.

مع وعينا باختلاف المسألة العرقية في الصين عنها في الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا من حيث درجة شدة عدم التجانس حيث نجد أن غالبية الشعب الصينى تنتمي إلى العرق الهاني ، إلا أن هذه المسألة تبقي هامة خاصة بالنسبة للمسلمين في تركستان الشرقية وكذلك التبت.

كما يُضاف إلى ذلك النزعات الإقليمية داخل الصين والتي قد تتزايد بسبب التفاوت في التمتع بعوائد النمو الاقتصادي بين مناطق الساحل الأكثر انفتاحاً وبين المناطق الداخلية التي تعيش مستويات أقل من التنمية. إلى ذلك نشير إلى أن تمركز الأقليات في مناطق جغرافية محدودة وكونهم يشكلون الأغلبية فيها يعزز من فرصها في محافظتها على هويتها القومية وييسر انتشار الأطروحات الانفصالية بين أبنائها ، خاصة إذا كانت تلك المناطق تتمتع بموارد اقتصادية كبيرة ولها حدود مع العالم الخارجي، كما هو حال تركستان الشرقية ، ونشير هنا إلى أن مساحة هذا الإقليم الذي تطلق عليه السلطات الصينية اسم سينكيانج تبلغ ٦٣٦ ألف ميل ويقع في الشمال الغربي من الصين ويشترك في الحدود مع قازاقستان وقيرغيزيا وطاجيكستان . وتوجد في باطن أراضيه نسبة كبيرة من الاحتياطات النفطية في الصين وكذلك ٤٠٪ من احتياطات الفحم ويتمتع بأهمية استراتيجية فائقة.

أما بالنسبة لتعداد السكان فتختلف الإحصائيات حيث يقدر سكان الإقليم بـ ١٧ مليون نسمة بينهم ٥٩٪ أويغور ٣٨٪ من العرقية الصينية والبقية من الشعوب التركية القازاقية والقيرغيزية . وقدخضع الإقليم لسيطرة الصين في نهاية القرن الثامن عشر وفي عام ١٩٩٥م أطلق عليها اسم منطقة سينكيانج - الأويغور ذات الحكم الذاتي . وتركستان الشرقية واحدة من خمس مناطق تتمتع بالحكم الذاتي في الصين وهي الوحيدة التي توجد فيها أغلبية مسلمة وقد أقيمت فيها جمهورية تركستانية مستقلة لمدة ثلاث سنوات في

الفترة ما بين ١٩٤٦ - ١٩٤٩م خلال الحرب الأهلية بين الشيوعيين والقوميين. واستفادة من هذا التاريخ يمكن القول أن درجة ضعف أو قوة السلطة في بكين تحدد وبشكل كبير الوضع في تركستان الشرقية مما يعنى أن قضية المسلمين في الصين لابد أن تتأثر بالصراع الخفي الدائر حالياً في بكين.

والمظاهرات الأخيرة وكذلك أعمال العنف المستمرة والتي تعتبر الأسوأ منذ عام ١٩٤٩م تجسد في الواقع احتجاج أبناء القومية الأويغورية وكذلك إخوانهم الأتراك من القازاق والقيرغيز على سياسات الدمج الإجباري التي تمارسها السلطات الصينية من خلال توطين الصينيين الهان بينهم وقد تزايد النشاط المعارض لهذه السياسات منذ التسعينات وفي أبريل من العام الماضي حدثت سلسلة أعمال عنف في شكل تفجيرات ومحاولات لاغتيال شخصيات أويغورية تشارك في مؤسسات الحكم المحلي وتتهم بالتعاون مع السلطات الصينية في الإقليم. ويمثل الاستيطان الصيني في تركستان الشرقية هاجساً يثير مخاوف المسلمين الذين يخشون أن يصبحوا أقلية في مناطقهم إذا لم تتوقف الهجرات الصينية. وبالإضافة إلى الاحتجاج على الاستيطان نشير إلى أن مظاهرات الأويغوريين تعبر عن استياء تجاه سياسة الحد من النسل الإجبارية ، وكذلك رفض الصينيين المقيمين في تركستان الشرقية تعلم اللغة الأويغورية وازدرائهم لعادات الشعوب التركية هناك، إلى جانب الآثار الصحية الخطيرة الناجمة عن التجارب النووية التي تجريها الصين في قاعدة لوب نور في الإقليم.

كما نشير إلى أن استقلال جمهوريات آسيا الوسطى والتي ترتبط شعوبها بأبناء الإقليم عرقياً ودينياً وثقافياً قد شجعت فئات من الأويغور وخلقت بينهم حلماً بالاستقلال. وتوجد في قازاقستان وقيرغيزيا أقليات أويغورية تنشط بينها حركات تهدف إلى دعم أبناء تركستان الشرقية في احتجاجاتهم المتواصلة على ممارسات السلطات الصينية. ونلاحظ هنا أن الاضطرابات في تركستان الشرقية قد تتجاوز آثارها الصين وتهدد الاستقرار الإقليمي حيث تخشى دول آسيا الوسطى والتي تعاني هي الأخرى من تعددية قومية كما يشوب العلاقات بين قومياتها الأويغورية نوع من التوتر. ولذلك تنزع حكومات هذه الدول وعلى الأخص في كازاخستان وقيرغيزيا إلى الحد من نشاط الحركات المعارضة للصين وذلك خشية من الإساءة إلى علاقاتها بتلك الجارة القوية. ونشير إلى اتفاقية شنغهاي الموقعة في أبريل ١٩٩٦م بين الصين وكازاخستان وقيرغيزيا وطاجيكستان وروسيا لتسوية

المشاكل الحدودية بالإضافة إلى الحيلولة دون قيام أنشطة تهدد استقرارها.

وقد كان للتنظيمات التركستانية في عدد من الدول دور بارز في تعزيز وعي الرأي العالمي بقضية تركستان الشرقية حيث سارت مظاهرات احتجاج في واشنطن وفرانكفورت وأنقرة وعدد من العواصم الأوروبية تندد بالممارسات الصينية وتدعو لممارسة الضغوط على بكين للاستجابة لمطالب الأويغور وباقي الأقليات التركية في الصين.

وقد بادرت السلطات الصينية إلى اتهام جماعات إسلامية بمسؤوليتها عن المصادمات وسعيها إلى نشر دعوات متطرفة تدعو إلى انفصال الإقليم وإعلان تركستان الشرقية. وكما نعلم فإن توجيه الاتهام لحركات إسلامية « أصولية » أصبح ورقة تستخدم من أجل التأثير على مواقف العواصم الغربية وجعلها تغض الطرف عن الإجراءات التعسفية التي قد تتخذ بحق الأقليات الإسلامية والتي تُطالب بحقوق وطنية مشروعة بعيدة عن أي مشاريع متطرفة.

وقد اتهمت السلطات الصينية جماعة التبليغ بشكل مباشر مما دعا المتحدث باسم وزارة الخارجية الباكستانية إلى نفي أي دور لتنظيمات من بلاده وقد ذكر أن أفراد جماعة التبليغ قد قاموا بالفعل بزيارات متكررة لإقليم تركستان الشرقية بهدف دعوي بحت ولم يكن لهم أي نشاطات سياسية على الإطلاق. ومع إيماننا التام بأن الهدف من اتهام تنظيمات إسلامية وتحميلها مسؤولية أعمال العنف الأخيرة هو استغلال للمخاوف الغربية من خطر إسلامي مزعوم، إلا أننا نرى أن على الجماعات الإسلامية والتي تقوم بنشاطات دعوية من أجل مساعد أبناء الأقليات الإسلامية لتعليمهم أمور دينهم التي جهلوها بسبب السياسات المعادية للأديان التي مارستها الأنظمة الشيوعية. نقول إن على هذه الجماعات أن تكون على وعى تام بحقيقة الأوضاع السياسية البالغة الحساسية لتلك الأقليات. كما أن عليها أن تدرك أن الأنشطة الدينية في بيئة سياسية متوترة وفي ظل صراع من أجل الحفاظ على الهوية والثقافة والقيم لابد أن يكون لها انعكاسات سياسية. والقصد من هذا ليس دعوة هذه الجماعات للتوقف عن جهودها الدعوية ولكن من أجل أن تعي آثار أنشطتها لكي لا تترتب عليها مضار للأقليات التي ترغب في مساعدتها، وهنا نطرح دعوة طالما كررناها وهي أن تكون جهود الدعوة بين الأقليات في تلك المناطق تحت إشراف رسمي بدلاً من الجهود الفردية التطوعية التي قد لا يدرك أصحابها طبيعة الأوضاع السياسية والثقافية المعقدة للمسلمين هناك.

وختاماً نلاحظ أن استخدام القوة من قبل السلطات الصينية لمنع القوميات المسلمة من التعبير عن معاناتها لن ينهي القضية بل قد يؤدي إلى تأزيم الوضع إلى درجة قد يصعب السيطرة عليه. ومن ثم فإن الحل لابد أن يكون سليماً ويتمثل في الاستجابة إلى مجمل مطالب تلك القوميات ومنحها استقلالاً ذاتياً حقيقياً حيث إن خيار الاستقلال التام قد لا يكون مطروحاً في الوقت الراهن.

وبدون الحل الذي يُرضي طموحات الأويغور القازاخ وغيرهم من الشعوب التركية في تركستان الشرقية فقد يطول مسلسل العنف. وعلى القيادة الصينية أن تعي أن استمرار التوتر في هذا الإقليم يعد نقطة ضعف قد تُستغل من قبل أطراف منافسة لها في لعبة الصراع الإقليمي والدولي وبهدف احتواء الصين التي يخشى الغرب قدومها ويحسب لها كثيراً. وقد لا نبالغ في القول بأن ما قد يجري في تركستان الشرقية خلال السنوات القليلة القادمة سيحدد المكانة الدولية للصين في القرن القادم.

جريدة "الجزيرة"

٩ مارس ١٩٩٧م

٣٠ شوال ١٤١٧هـ

تركستان الشرقية : الدين والقومية

بقلم : هلكوت حكيم

الاسم الذي أطلقه الصينيون على تركستان الشرقية ،زنزيانغ ، أي « الأراضي الجديدة» فيه أكثر من دليل حول علاقة الصين الإمبراطورية ثم الصين الماوية كدولة استعمارية بتركستان الشرقية وشعبها المسلم. هذه العلاقة الاستعمارية أثبتت نفسها في ذلك الجزء من التيبت المستعمر من قبل الصين الشيوعية أيضاً.

وما الأحداث الأخيرة إلا ردود فعل على السياسة التي تنتهجها بكين نحو الأقليات العرقية أو الدينية التي تعيش في هذا البلد وتريد الحفاظ على هويتها ومقاومة الانصهار في بوتقة القومية الغالبة ، الهان ، الذين يشكلون ٩٢ في المائة من مجموع سكان الصين.

تشمل تركستان الشرقية أرضاً واسعة تقدر مساحتها بحوالي مليون وستمائة ألف كلم مربع ، أي ما يزيد على ستة عشر ونصف في المائة من مساحة الصين.

وتفصل بين الصين ودول آسيا الوسطى خاصة كازاخستان وكركيز ستان ، أو مع الإمبراطورية السوفياتية سابقاً.

لهذا السبب بالذات تحتل تركستان الشرقية موقعاً جغرافياً وسياسياً مهماً بالنسبة للصين وبالإضافة إلى هذا العامل ، فإن المناطق الصحراوية منها تضم ثروات نفطية ومعدنية مهمة ، بل لم يتم حتي الآن استثمارها إلا قيلاً وفيها أيضاً آبار غنية بالغاز الطبيعي وفحم.

ويقدر المخزون من النفط في تركستان الشرقية بحوالي ٢٠٠مليار برميل أي ما يعادل تماماً ثلث ما لدى الصين من النفط المخزون . وفي تركستان الشرقية جزء من الطاقة النووية الصينية ، ما يعني ، بالمفهوم المعاصر ، أنها أرض التجارب النووية التي لا يريد أحد إجراءها على أراضيه.

وإذا كان الحضور الصيني في تركستان الشرقية قديماً جداً ، خاصة الحضور الاقتصادي الذي تزامن مع بدايات طريق التحرير ، إلا أن بسط نفوذ بكين على هذه المنطقة يعود إلى القرن الثامن عشر ولم يكن هذا النفوذ فاعلاً في أغلب الأحيان.

وكلما حاول الصينيون إخضاع السكان أكثر فأكثر لسلطاتهم واجهوا ردود فعل قوية

أعربت عن نفسها منذ أواسط القرن السابع عشر بسلسلة من التمردات والانتفاضات استمر بعضها سنوات طويلة كتلك التي بدأت في ١٨٦٥ ولم يستطع الصينيون إيقافها إلا في ١٨٧٨ ، وبعد الكثير من الضحايا التي تركت آثارها في الذاكرة الصينية حتي يومنا هذا.

في أواخر القرن الماضي صارت تركستان الشرقية منطقة صراع بين الروس والصينيين على النفوذ فيها . وكادت مرات عديدة أن تصبح ضمن الإمبراطورية الروسية أولاً والسوفياتية فيما بعد.

إلا أنها استطاعت خاصة بعد صراعات داخلية عنيفة ، تميزت بطابع عشائري واثنى ، الحصول على نوع من الاستقلال الذاتي ، بمساعدة ومؤازرة موسكو ، وتم تشكيل «جمهورية تركستان الشرقية» في ١٩٤٤.

واستمرت هذه الحالة حتى عام ١٩٤٩ حين قرر زعماء هذه الجمهورية « العودة إلى أحضان الصين».

ومع أن المنطقة حصلت فى عام ١٩٥٥ على اسم " جمهورية أويغور المستقلة لزنزيانغ" إلا أن السكان لم ينسوا سنوات الاستقلال التي أصبحت المحرك الروحي والفكري للحركات التي تطالب بالاستقلال عن الصين.

ومع أن شعب تركستان الشرقية الأصليين ، أي الأويغوريين الذين لا يزيد عددهم عن ثمانية ملايين نسمه (واحد ونصف في المئة من المجموع الكلي لسكان الصين ونصف سكان تركستان ويقدر عددهم الكلي ما بين عشرين وخمسين مليون نسمة) ، إلا أنهم يشكلون قومية نشطة جداً من الناحية السياسية ، وربما أكثر الشعوب نشاطاً في الصين (إذ تقدر نسبة المسلمين في الصين بحوالي اثنين ونصف في المئة من السكان) ، فلم يتوقف الأويغوريون في السنوات الأخيرة من التحرك وإظهار رغبتهم. في الانفصال عن الدولة الصينية إلى حد أقلق معه سلطات بكين كثيراً.

وقد وصلت الأزمة بين الحكومة المركزية والحركات الانفصالية في تركستان الشرقية إلى ذروتها في الحوادث الأخيرة.

فسياسة الدولة الماوية كانت استيطانية بكل معنى الكلمة في هذه المنطقة كما في التيبت. فنسبة الهان في تركستان الشرقية لم تكن تزيد على ستة في المئة من مجموع

السكان في عام ١٩٤٩ . أما نسبتهم اليوم فإنها تتجاوز حسب التقديرات الصينية ، نصف السكان . ففي العاصمة أورومكي وحدها تبلغ نسبة السكان الهان أكثر من ثمانية في المئة . وأصبحت العلاقة بين السكان الأصليين والهان كعلاقة المستوطنين مع الأويغوريين المستعمرين .

وكانت السياسية الاقتصادية والثقافية تُميّز بين السكان بشكل واضح عبر السكان الأصليون عن رفضهم لها مرات عديدة منذ أكثر من عقد .

وقامت الحكومة منذ عام ١٩٦٤ بثلاث وأربعين تجربة نووية في تركستان الشرقية . وأدى بعض هذه التجارب إلى خلق أزمات سياسية بين الأويغوريين والسلطات الصينية كانت في بدايتها احتجاجات أيكولوجية .

لقد أدركت الصين خطر الاستمرار في سياستها تجاه الشعوب المسلمة لا على منطقة تركستان الشرقية فقط ، بل على مصالحها في الدولة الإسلامية أيضاً .

فأخذت تتبع سياسة مختلفة بأمل السيطرة على الوضع المقلق في هذه المنطقة خاصة ، فقررت العودة إلى استعمال الأحرف العربية لكتابة الأويغورية والكازاكية بدلاً من الأحرف السيريليكية أو اللاتينية . وبدأت تفتح المدارس الدينية لتعليم القرآن وزادت من بناء المساجد . وساعدت على ترجمة القرآن إلى اللغة الأويغورية إلا أن المشكلة ليست إلا في بدايتها ، والإسلام بالنسبة للأويغوريون عامل توحيد ومحرك سياسي ، لا نظام سياسي أو أيديولوجية سياسية يبنون عليها مستقبلهم ، فهو يوحدهم في مواجهة العدو الصيني . إنها مسألة قومية بين شعب مضطهد وحكومة تحاول صهره بكل الوسائل .

جريدة " الحياة "

٢٧ فبراير ١٩٩٧م

٢٠ شوال ١٤١٧هـ

حملات القمع الصيني ضد مسلمي تركستان الشرقية

بقلم : توختي آخون آركين

تناقلت وكالات الأنباء العالمية أخبار الأحداث الدامية التي وقعت بين المسلمين والقوات الصينية في مدينة « يينين » في إقليم شينغيانغ في غرب الصين، ونقلت عنها الصحف العربية والعالمية أخبار تلك الأحداث مشوهة مبتورة، حسبما صورتها أجهزة إعلام حكومة الصين الشعبية ، حتى إن اسم المدينة التي وقعت بها الأحداث لم يضبط كما سماها الصينيون ، ولم يعرف اسمها الإسلامي ، واعتبرت بلدة صينية، مما تعذر الاستدلال إليها في المعاجم وكتب الخرائط ، وكذلك أشارت المصادر الصينية إلى أن الأحداث قام بها مجموعة من مثيري الشغب أو دعاة الانفصال غذتها عناصر أجنبية، قيل إنها من قازاقستان أو أفغانستان ، وعالج الصحفيون والصحف الحدث بالإثارة ولم يتطرق إلا قلة منهم إلى التحليل والتوضيح ، مما أدى إلى تكرار الادعاءات الصينية حول حقيقة الوضع في تلك المنطقة ، ولا شك أن الإثارة مطلوبة لجذب الانتباه إلى قضية مجهولة يفرض عليها الإعلام الصيني التعتيم والتشويش ، بيد أن الجمع بين الاثنين يخدم مثل هذه القضية الإسلامية ، وينير الرأي العام بحقائق الأمور وأبعادها ويفوّت على الأجهزة المعادية فرصة خلط الأحداث وتزييف الحقيقة.

فالمدينة التي تردد ذكرها باسم آخر لا يعرفها به أهلها هي « يننيغ» Yining وهو اسم أطلقه الصينيون على مدينة « غولجة» Gulja ، وهي عاصمة ولاية « إيلي » Ili من ولاية تركستان الشرقية ، التي سماها الصينيون « سينكيانغ» Sinkiang وفي العهد الشيوعي المعاصر سميت أو بالأحرى تغير لفظها إلى « شنجانغ» Xinjiang .

وتقع مدينة غولجة في أواسط حوض نهر إيلى شمالاً بنحو ٥٥ كيلومتراً من حدود جمهورية قازاقستان ، وفي عام ١٩٥٤م كان عدد سكان ولاية إيلى ٤٨٩ ألف و ٤٠٠ نسمة، عدد الصينيين منهم ١٢ ألف و ٤٠٠ نسمة أي بنسبة ٢,٥٪ في الولاية كلها، وفي عام ١٩٩٤م بلغ عدد سكان ولاية إيلي مليون و ٩٢٩ ألف و ٢١٤ نسمة ، وصل عدد الصينيين المهجرين إلى ٦٣٠ ألف و ٨٠١ نسمة ، وارتفعت نسبتهم إلى ٣٤٪ وفي الوقت الذي تضاعف عدد سكان ولاية إيلي ثلاث مرات خلال أربعين سنة ، تضاعف عدد الصينيين المهجرين لأكثر من خمسين مرة.

والواقع أن مدينة غولجة عند مراجعتها في المصـادر الإسلامية تذكر أنها إمارة إسلامية عرفت باسم « المالیق» Aimaliq التى تقع خرائبها شمال بلدة قورغاس ، أي بنحو ثلاثين كليومتراً شمال غرب مدينة غولجة الحديثة جنوب بحيرة « سيرام » Sayram ممر «تالكي» Talki وكانت موطن قبائل القارلوق التركية التي حالفها المأمون والي خراسان حينذاك في عهد خلافة والده هارون الرشيد ، وسبق أن دخل منطـقتها الجيش العربي بقيادة زيادة بن صالح الخزاعي الذي اشترك مع الترك في معركة طالاس (طراز) في عام ٧٥١م ، وبعد انهيار دولة قرة خان الإسلامية على إثر غزوات قرة خيتاي الوثنية لشمال تركستان في عام ١١٢٤م تمكن اوزار خان أن يصد هجمات قرة خيتاي ، وأسـس مملكة إسلامية عاصمتها المالیق ، وتلقب باسم طغول أوزار خان ، واحتفظ أنجاله بمراكزهم في عهد جنكيز خان، وتزوج ولده سغناق تكين بحفيدة جنكيز خان من ابنه جوجي، وبعد وفاته عام ٦٥١هـ - ١٢٥٣م خلفه في الحكم نجله دانشمند تكين، ولا يُعرف الكثير عن الأمراء الذين استمرت سلطتهم في عـهد جغتاي خـان الذي اتخذ مقراً له بالقرب من المالیـق ، وعرفت المنطقة كلها في عهده باسم « إيل أرغو » ، وبقيت المالیق مراكـز لعائلة جغتاي خان، تردد إليها كثير من الأمـراء ،و المبعثون والرحالة ، ويقول المؤرخ والأديب جـمال قرشي الذي ولد فيـها عام ٦٢٨هـ - ١٢٣٠م عن المالیق إنها « قلب الإسلام » وفيـها وضع العالم الجليل ظهير الدين أشرف بن نجيب المتوفي عام ٦٥٩هـ - ١٢٦١م أول ترجمة تركية لمعاني القرآن الكريم في تاريخ الترك عموماً.

وفي العصر الحـديث أقام المسلمون فيهـا سلطنة إسلامية أسـسها السلطان أبو الأعلى خان (لا يزال حفيـده في ألما آتا) في عام ١٨٦٧م ، ولكن روسـيا القيصـرية التي كان جيشها يواصل احـتلال الإمارات الإسلامية في الجزء الغربي من تركـستان ، وقد احتلت خـانية خوقند في ٨ فبراير ١٨٦٧م ، راعها قيام دولة يعـقوب بك وسلطنة إيلي في الجزء الشرقي لتركستان ، استولت على إيلي عام ١٨٧١م ، وأكملت احتلال وادى فرغانة إلى عام ١٨٧٦م ، وهكذا وقعت سلطنة إيلي الإسلامية التي كان عـاصمتها « غولجة» في يد روسيا القيصرية، ولكنها تنازلت عن جزء منها بما فيها غولجة إلى الصين المانشورية مقابل مبلغ من المال بموجب معـاهدة سانت بتروسبورغ عام ١٨٨١م ، وإبان الاحتلال الصيني كانت غولجة عاصمة لجمهورية تركستان الشـرقية التي أعلن الثوار التركستانيون استقلالها عن الصين وتشكيل حكومتـها برئاسة الشيخ الجليل على خان توره سـاغوني (وقد طبع

كتابه المسمى « تاريخ محمـدي » في السيرة النبوية في طاشـقند عام ١٩٩١م) ، في ١٢ نوفمبر ١٩٤٤م ، ولكن التداخلات الروسية السوفيتية تسببت في تفريط التركستانيين في انتصارهم بتوقيع معاهدة سلام مع حكومة ، بتاريخ ٦ يونيو عام ١٩٤٦م.

غولجة تحت الاحتلال الشيوعي الصيني

وفي عهد الحكـم الصيني الشيوعي غـدت مدينة غولجة من أهم المدن الإسـلامية التي قاومت الاستبداد الشيوعي ، وخاصة عندما بدأ الشيوعيون بتطبيق نظام الثورة الثقافية بمسمى الوثبة الكبرى في عام ١٩٦٢م، قاوم التركـستانيون ذلك ، واضطر أكثر من ستين ألف تركستاني إلى اللجوء إلى قازقستان في أبريل عام ١٩٦٢م.

تفاصيل الأحداث الدامية الأخيرة في غولجة

لقد بدأت الاشـتباكـات الدامية لـيلة الأربعاء ٢٧ رمـضان ١٤١٧هـ الموافق ٥ فـبراير ١٩٩٧م ، وهي الليلة التي يلتـمس المسلمون فـيهـا ليلة القدر العظيـمة التي يُجلـها كل المسلمين في أنحاء العالم ، ويـخصونها بالزيادة في العبـادة بالصلاة والدعاء طوال الليل إلى صلاة الفجر ، ويتجه أكثرهم إلى المساجد للاعتكاف والصلاة وقراءة القرآن الكريم ، وقد انتهز المسلمون التركستانيون مثل غيرهم هذه الفرصة في العبادة والتقرب إلى الله عز وجل ، بينما انتهزها الشيوعيون فرصتـهم إلى تطبيق تعليمات السلطات الصينية الشيوعية لمنع فئات ثلاثة من المسلمين من دخول المساجد ، وهي:

١ - الشباب الذين تقل أعمارهم عن ٣٠ عاماً.

٢ - موظفو الدول ومنسوبو الحزب الشيوعي العاملون منهم والمتقاعدون.

٣ - النساء عموماً.

وفي الوقت الذي كان الموظفون يرجعون من أبواب المسجد عند رؤيتهم لرجال المباحث اليشوعيين ، وخاصة بعد أن سبـق تسجيل أسمائهم عند حضورهم لصلوات الجُمع ، ثم تم استـدعاؤهم في مكاتبـهم ومراكز أعـمالهم وهددوهم بالفـصل من أعمـالهم وإيقاف رواتبهم ، حـتى المتقـاعدين منهم إذا مـارس أحدهم شـعيرة دينيـة أو تكرر ذهابهم إلى المساجد بحجة أن عليهم الالتـزام بروح ونظام الدولة الماركسية المادية ، ومن يخالف ذلك عليه أن يترك العمل ويحصل على راتبه من المسجد .

ولكن الشبـاب والنساء بحـرصهم على حضـور صلاة التراويـح وصلاة التجـهد التي

انتشرت في المساجد اقتداءً بما يجري في الحرمين الشريفين ، ورغبتهم بالقيام في ليلة القدر المباركة التي لها مكانة عظيمة عندهم ، رفض الشباب من رجال السلطات الشيوعية دخولهم المساجد ، واشتبك البعض منهم ، وعندما شعر رجال المباحث المسلحون بضعفهم أطلق أفرادهم النار على المسلمين العُزّل ، فقتل منهم ثلاثون شخصاً منهم بضعة نساء ، وجرح خمسة من المسلحين الشيوعيين.

وفي صباح يوم الأربعاء ٢٧ / ٩ / ١٤١٧هـ - ٥ فبراير ١٩٩٧م خرج المسلمون وخاصة أهالي وأقارب الشهداء والمعتقلين بمسيرة قُدّر عددها بنحو خمسة عشر ألف شخص ، يطالبون السلطات الصينية الشيوعية بإطلاق سراح أبنائهم ومعاقبة المسؤولين عن أحداث القتل التي حدثت في المساجد ، بيد أن الحكومة الشيوعية التي وجدت هذه الواقعة فرصتها لقتل وضرب واعتقال المزيد من المسلمين لم تشأ معالجة الحادث بالحكمة والمسؤولية الوطنية أو الإنسانية ، فأطلق رجال الشرطة أو ميليشيات جيش الإنتاج والبناء الرصاص على المسلمين المتظاهرين أمام مبنى الحاكم ومكتب الحزب الشيوعي في غولجة ، وسقط عدد من المسلمين ، ومن خلال التدافع والاشتباك غنم المسلمون بعض الأسلحة الخفيفة من رجال الشرطة والجنود ، واستمرت الاشتباكات متقطعة لإصرار الشيوعيين على استئصال جيوب المقاومة الأهلية التي انتشرت في الأحياء . ومما زاد من تدهور الوضع أن السلطات الشيوعية التي أعلنت حالة الطوارىء ألغت إجازة يوم عيد الفطر ، وهو يوم واحد لكل المسلمين في الصين ، وانتقلت المظاهرات والاحتجاجات إلى مدن كاشغر ، وخوتن وقراقاش ، وكوما ، وقارغيليق ، واقسو ، وكوجار ، وفي بعض أحياء أورومجي عاصمة تركستان الشرقية (شنجانغ).

ومع أن التقديرات الصحفية عن عدد القتلى تتفاوت من عشرة إلى ثمانين إلى مائة قتيل ، من مسلمين وصينيين ، إلا أن التقديرات الأهلية تشير إلى أكثر من ثلاثمائة قتيل وخمسة آلاف معتقل خلال خمسة أيام فقط ، كما لا يعرف عن مدى الأضرار التي لحقت بالمسلمين في المدن الأخرى ، وقد أكدت الأجهزة الصينية أن الاضطرابات قد انتشرت في ثمانية مدن في مقاطعة تركستان الشرقية (شنجانغ).

وقد ادعت السلطات الشيوعية - كما جرت عادتها - أن زمرة من دعاة الانفصال الذين تحركهم عناصر أجنبية ، تنسبها دوماً إلى أمريكا وتركيا ، وإلى الاتحاد السوفيتي في السابق ، وفي الوقت الحاضر إلى قازاقستان وأفغانستان وباكستان ، أنهم وراء هذه

الأحداث ، كما جاء في نشرتها إعلام شنجانغ (شنجاك ته شويقاتي) العدد (٩١) لعام ١٩٩٥م ، التي يصدرها المكتب الإعلامي للحزب الشيوعي لتركستان الشرقية (شنجاك ئويغور تابتونوم رايونلوق بارتكوم - ته شويقات بولومي) في أورمجي .

الأسباب التي أدت إلى أحداث غولجة

وفي سبيل معرفة الأسباب التي أدت إلى أحداث مدينة غولجة ، لابد من مراجعة الأمور التي وقعت قبلها في تركستان خلال عامي ١٩٩٥ - ١٩٩٦م ، حتى تظهر الحقائق وتتوضح خفايا سياسة الحكم الصيني في هذا البلد المسلم وتنقشع ادعاءاتها الكاذبة ، وما ترمي إليه من ممارسات جائرة ضد المسلمين وضد هذا البلد الإسلامي الذي يكاد يكون مجهولاً في العالم المعاصر .

فقد ذكرت النشرة الرسمية المذكورة أعلاه في صفحتيها ٧و٨ : « في السنوات الأخيرة زادت صحوة المسلمين الدينية فزاد عدد المساجد من ١٤ ألف و ١١٤ مسجداً قبل الثورة الثقافية إلى ٢٢ ألف و ٩٤٠ مسجداً ، كما زاد عدد الحجاج لأكثر من أربعة آلاف حاج سنوياً ، وانتشرت المدارس الدينية وحلقات تحفيظ القرآن الكريم التي أقبل عليها الأطفال من ٦ إلى ١٣ عاماً ، كما فتحت مدارس خاصة للبنات ، مما أدى إلى تزايد إقبال الشباب والنساء على المساجد ، حتى إن بعض المساجد في خوتن ، وكاشغر أصبح فيها أماكن خاصة بالنساء ، وأصبح البعض منهن يرتدين الحجاب ، وأصبحت كلمة الإمام والعالم مسموعة نافذة أقوى من أوامر رجال الحزب الشيوعي ، وابتداءً من شهر سبتمبر ١٩٩٤م في مدينة غولجة انتشرت الاجتماعات الشعبية المعرفة باسم (مه شره ب) استغلها المثقفون المسلمون في التوعية والإرشاد الديني ، وانتشر أمثالها في المدن والقرى ، وأقبل عليها المسلمون صغيراً وكبيراً ، حتى استغلت المباني والنوادي الثقافية ، وزاد عدد الحضور في إحدى الاجتماعات على عدة مئات ، وتحمس الدعاة إلى توضيح عقيدة الإسلام وأحكامه لعامة الناس جهاراً » .

القمع الشيوعي للصحوة الإسلامية

ماذا علمت الأجهز الشيوعية لهذه الصحوة الإسلامية ؟ وهي باعترافها أنشطة عادية كما يتضح مما ورد أعلاه ، يمارسها الإنسان في أي مجتمع إنساني ، علاوة على أنها مجازة بحكم الدستور الصيني ، الذي يجيز حرية ممارسة الشعائر الدينية ، وهي توجد بالفعل في مناطق صينية ذات أكثرية مسلمة ، فأبناء المسلمين الصينيين يدرسون بالمئات في

المدارس الإسلامية ، والبنات أيضاً لهن مدارسهن الإسلامية الخاصة ، ويترددن على المساجد أيضاً ، ولعل من زار مسجد نيوجيه في بكين يرى النساء في الجزء الخاص بهن . ولكن الاستبداد الصيني يتجبر في تركستان المسلمة ، ومثال ذلك : في يوم الجمعة بتاريخ الأول من يوليو لعام ١٩٩٥م اعتقل إمام مسجد بيت الله في مدينة خوتن، واشتبك رجال المباحث الشيوعيون مع المسلمين العزل بسبب إصرار الحكم الشيوعي في منع دخول المسلمات إلى المسجد ، ومنع دروس الوعظ والإرشاد فيه ، وقد أجبر أئمة المسلمين المؤتمرين في مدينة خوتن بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٩٥م إلى إصدار فتوى بمنع دخول النساء المساجد، وعدم التعرض لسياسة تحديد النسل وقضايا الأنكحة والميراث والأمور العدلية والتعليم.

وفي شهر أغسطس عام ١٩٩٥م في مدينة غولجة قامت السلطات الشيوعية بالقبض على الأئمة والمثقفين المسلمين ممن ينظمون الدروس الدينية في المساجد والنوادي الثقافية والاجتماعات الشعبية ، مع أنها بدأت وتمت بموافقة الأجهزة الحكومية الرسمية ، وقد نظمت عدة ندوات دينية في معهد المعلمين (غولجة سيفن ، فيداكوكا) واعتقلت آلاف الشبان المسلمين المشاركين في هذه الندوات ، وقد التجأ عدد منهم إلى قازقستان ، وقيرغيزستان ، وتوجد أعداد منهم في تركيا ، وباكستان ، ومصر ، وألمانيا .

وبتاريخ ١٣/ ١٩٩٦/٥ استصدر الحزب الشيوعي الصيني في تركستان قراراً من البرلمان الصيني يعطي الجيش وميليشيات جيش الإنتاج والبناء صلاحيات كاملة لإنفاذ خطة قمعية سميت « اضرب بقوة » لمدة مائة يوم ، اعتقلت خلالها أكثر من عشرة آلاف مسلم ، وكان نصيب غولجة وحدها ٧٠٠ شخص ، ولم تكتف السلطات الشيوعية بالمدة المذكورة بل استمرت في تعسفها بدون حدود ، وما حدث في غولجة مؤخراً هو امتداد للأحداث السابقة ، ولا شك أن هذا الظلم والعنف مع تدهور الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية وتسلط الصينيين المهجرين على مقاليد العمل والإنتاج والإدارة ، واستعمالهم لوسائل البطش والتنكيل بالمواطنين المسلمين أهل البلاد أثارت فيهم كوامن نزعتهم إلى الاستقلال والحرية ، ورغبتهم لإدارة شؤونهم بأنفسهم بما يخدم مصالحهم الإسلامية والوطنية، وهم دعاة حق وصدق ورد فعل طبيعي لما يلاقونه من قسوة وجبروت من المستبد الأجنبي الذي سلبهم حريتهم وحقوقهم وأمانيهم.

ومما يؤكد على ذلك نوعيات الشهداء والمعتقلين في هذه الأحداث، فمثلاً من المعتقلين

عبد الرشيد روزي ، وابنه سيف الدين ، وابنته محبوبة ، فالرجل تاجر ، وقد اعتقل لأنه أخذ ابنيه إلى المسجد لصلاة التهجد ، وكذلك الجبار منصور وأخوه عبد الستار ، اللذين تم اعتقالهما بسبب حضورهما الصلاة وهما شابان ، وأما الشهيد خليل الله محمد (عبد الله خليل) الذي أدعت السلطات الشيوعية أنه رئيس حزب إسلامي ومتسلل من أفغانستان ، فهو خريج المعهد الإسلامي الرسمي الذي تشرف عليه السلطات الصينية نفسها في أورومجي ولم يسبق له أن سافر إلى خارج تركستان ، وقد أدعت الأجهزة الصينية بوجود متسللين من قازاقستان أو باكستان وأفغانستان ، لأنها تهدف إلى تضييق الخناق على الأويغور أي التركستانيين الذين لهم بعض النشاط الثقافي والاجتماعي في قازاقستان ، حيث يعيش نصف مليون منهم، وكانت قد وقّعت الصين مع قازاقستان معاهدة في شهر أبريل ١٩٩٦م ، وهكذا ظهرت نتائجها فعلاً ، ويطول الحديث عنها هنا، وستكشف أيضاً الزيارة التي يقوم بها حالياً الرئيس القازاقي سلطان نظر بايف الذي سافر فجأة على إثر الأحداث الأخيرة إلى بكين في ١٢ فبراير الحالي عن نتائج مثيرة في المستقبل ، كما تريد أن تركز على الطلاب التركستانيين الذين لا يزيد عددهم على مائتي طالب يدرسون في باكستان، ويتخذها التركستانيون محطة في انتقالهم إلى الأراضي المقدسة لأنهم يعبرون إليها من بلادهم براً ، وهي أقرب الطرق إلى الحرمين الشريفين.

موجز القرار السري الخاص بتركستان

ومن أراد أن يعرف المزيد عن أسباب أحداث غولجة وما تخططه حكومة الصين الشيوعية من سياسة محلية وإقليمية ضد المسلمين لابد من مطالعة القرار السري رقم : م ك (١٩٩٦م) الصادر بتاريخ ١٩ مارس ١٩٩٦م من المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني برئاسة الرئيس جيانغ زامين ، وبموافقة الأعضاء الدائمين والذي يبلغ نصه الأويغوري خمس عشرة صفحة وملخصة ما يلي :

١ - شنجانغ جزء لا يتجزأ من الصين ، ولكن الانفصاليين في الداخل والخارج يعملون على فصلها ، ويجمعون قواهم ، حتى إن بعض الموظفين في الحزب والحكومة ينتقدون سياسة الحكومة المركزية بشكل مكشوف ، بينما بعضهم يمارس العنف والإرهاب، وقد حان الوقت لاتخاذ خطوات عاجلة لبذر الشقاق والخلاف بينهم.

٢ - لابد من تطهير جميع أجهزة الدولة والحكومة والحزب من الأشخاص المشبوهين بسرعة فائقة ، وإشغال أماكنهم بالأشخاص الذين يظهرون الولاء للحزب ولا يخشون

الموت في سبيله، ولا بد من إرسال وإعداد الموظفين الصينيين الشباب لإسناد المهام إليهم في شنجانغ.

٣ - يجب أن تسيطر الدولة على النشاط الديني ، وتمنع جميع النشاطات الدينية الخاصة ، ويمنع أعضاء الحزب الشيوعي من ممارسة أي نشاط ديني ، ويطرد كل من يفعل ذلك ، ويجب حماية الناس من الدعوة الدينية.

٤ - يمنع التبادل الثقافي من مدرسين وطلاب وعلماء حالاً ولا يسمح لأي شخص أجنبي أن يلقي درساً أياً كان نوعه في المؤسسات التعليمية ، ويجب اختيار الطلاب المبتعثين من شنجانغ بدقة ، وحسب التزامهم بتعاليم الحزب الشيوعي ، وكذلك تحديد عدد الطلاب الذين يدرسون في الخارج على حسابهم ، ويمنع علاقة المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية بمثيلاتها في الخارج ، والمدارس التي لا تتقيد بهذه التعليمات تغلق حالاً ويُعاقب بشدة مديروها والمسؤولون عنها.

٥ - يطور أداء الأجهزة الأمنية كافة ، ويجب اختيار القضاة والمسؤولين من الموالين للحزب ، وكذلك بث العملاء والجواسيس لجمع المعلومات عن دعاة الانفصال في الداخل والخارج ، إذ هناك علاقة وثيقة بينهم.

٦ - ميلشيات جيش الإنتاج والبناء xpcc تقوم بدور كبير في استقرار الأوضاع في شنجانغ، ولابد من تقويته ، وحل مشاكله المادية ، حتى يتمكن من استيعاب الشباب المهجر ، ولا بد من تركيز أفراده في مواقع السلطة والإرادة في الحزب والدولة والحكومة، ولا يقتصر عمله على البناء والإنتاج ، بل هو جيش كامل الصلاحية في الدفاع عن الحدود والتجاوزات.

٧ - فصائل جيش التحرير الشعبى PLA لابد من تحدثيه وتسليحه بما يمكنه من صد القوى الأجنبية التي تتطلع إلى التدخل في شنجانغ ، ولا بد من تعزيز علاقاته بالحزب والجيش والشعب كي يقوم بدوره في حفظ وحماية المدن والقرى من حركات الانفصاليين في شنجانغ.

٨ - المراكز الرئيسية لدعاة الانفصالين هي تركيا ، قازاقستان ، وقيرغيزستان ، أما الصين فهي دولة قوية ولها دور في الشؤون الدولية ، وفي ذلك لابد من العمل بالطرق الدبلوماسية بممارسة الضغط على هذه الدول لمنع نشاط أولئك في أراضيها ولا بد أن

تكون هذه الدول هي أهدافنا الرئيسية ، ولا بد من تركيز الجواسيس والعملاء ، إذ من خلالهم يمكن بث الفتن والخلافات بينهم وضرب بعضهم ببعض ، ولا بد من تشتيت قوتهم ومنع اتفاقهم حتى لا تتاح لهم فرصة تدويل قضية شنجانغ.

٩ - لابد أن مكاتب وإدارات الحكومة والدولة والحزب والأمن العام وأمن الدولة والجيش ، ووحدات جيش التحرير الشعبي ، وميلشيات جيش الإنتاج والبناء أن تضع خطة مشتركة لإعداد قوة عالية التجهيز والتدريب وسرعة الحركة لقمع أي حركة أو مظاهرة أو أعمال عنف في شنجانغ بقوة ، كما لابد من وضع خطة أخرى للاستفادة من الوحدات الأخرى في المقاطعات المجاورة.

١٠ - منسوبو الحزب والدولة والحكومة مسؤولون عن تنفيذ هذه القرارات التي اتخذها المكتب السياسي بكامل أعضائه للجنة الدائمة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بدون تقصير.

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [سورة الأنفال : ٣٠] ،

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز ﴾ [سورة الحج : ٤٠]

مجلة " المجتمع "

العدد (١٢٣٩) ٢٥ فبراير ١٩٩٧م

١٨ شوال ١٤١٨هـ

جذور الاضطهاد الصيني لمسلمي تركستان الشرقية

بقلم : محمد عوض

جاءت الاضطرابات الدموية الأخيرة - التي وقعت أيام عيد الفطر - في تركستان الشرقية ، وما تبعها من قيام السلطة اليصنية بعمليات قمع واعتقال واسعة للمسلمين هناك، لتعيد للذاكرة التاريخ المرير لهذا الإقليم الذي تقطنه الأغلبية المسلمة تحت الاحتلال الصيني.

وبالرغم من أن هذه المظاهرات والاضطرابات لم تكن إلا تعبيراً عن سخط الشعب التركستاني المسلم من ممارسات النظام الصيني الذي رفض السماح للمسلمين بإقامة شعائرهم الدينية يوم عيدهم ، إلا أن السلطات الصينية - وكعادة كل الأنظمة الاستبدادية- ردت باستخدام القوة وقتلت أكثر من ثلاثمائة من المسلمين - حسب التقديرات المحلية - واعتقلت الألوف منهم ، واقتادتهم إلى أماكن مجهولة ، وقطعت الاتصالات الهاتفية بين تركستان الشرقية والعالم الخارجي ، وضربت حصاراً كاملاً على مدينة بينين ، كما فرضت حظر تجوال على عدة مدن أخرى.

لكن هذه الأحداث - رغم ضرواتها ووحشيتها - جذبت الأنظار إلى ما يحدث في تركستان الشرقية وفتحت ملف صفحات مطوية من نضال مسلمي تركستان من أجل الاستقلال والذي استمر ما يقرب من نصف قرن - منذ اجتياح القوات الصينية الشيوعية تركستان عام ١٩٤٩م حتى الآن - عانى خالها الشعب التركستاني المسلم من الاضطهاد البشع من قبل السلطات الصينية، واستشهد خلالها مئات الألوف من المواطنين واقتلع مثلهم من قراهم ومدنهم بالقوة، ووطنّوا قسراً في معسكرات هي أشبه بمعسكرات اعتقال موزعة على المحافظات الصينية، ولعل ما يؤكد وجود حالة حرب فعلية دائمة في تركستان الشرقية هو أن السلطات الصينية لا تزال تنشر نحو ٤٠٠ ألف جندي في هذا الإقليم.

تركستان الشرقية

والمعروف أن اسم تركستان ظهر إبان دولة « كوك تورك » التي ضمت إليها جميع القبائل التركية، وأطلقت عليها اسم ترك وسميت مواطنهم « تركستان » ولأول مرة في

التاريخ اتحد الأتراك تحت اسم قـومي واحد ، وعرفت بلادهم باسم تركستان في القرن السادس الميلادي ، وكانت حدود هذه الدولة تمتد من الصين شرقاً إلى بحر قزوين غرباً ، وعرفت جغرافياً باسم تركستان.

وقد تعرضت تركستان لغزوات روسيا التي احتلت جزءها الغربي في القرن التاسع عشر الميلادي ، وأبقت على اسم تركستان إلى ما قبل الثورة الشيوعية ، وبعد أن تولى الشيوعيون زمام الحكم فيها قسموها إلى خمس جمهوريات هي : « أوزبكستان - قيرغيزستان - طاجيكستان - تركمانستان - قازاقستان» ، واقتصر استعمالهم لاسم تركستان على مدينة « يسه» في جنوب غرب قازاقستان ، وقد نالت هذه الجمهوريات استقلالها مؤخراً وأصبحت جمهوريات إسلامية مستقلة ، وكانت الصين قد احتلت الجزء الشرقي في القرن الثامن عشر الميلادي ، ولكنها لم تفرض عليه اسم سنكيانغ رسمياً إلا بموجب مرسوم صدر بتحويلها إلى مقاطعة صينية في ١٤ نوفمبر عام ١٨٨٤م.

وتعد تركستان الشرقية أكبر مقاطعات الصين إذ تبلغ مساحتها مليون وسبعمائة ألف كيلومتر مربع تقريباً ، وهي تبلغ ثلاثة أضعاف مساحة فرنسا ، وأكبر من مساحة تركيا بمقدار مرتين ونصف ، وأكبر من مساحة إندونيسيا بمقدار مرتين ، وتبلغ خمس مساحة الصين ومستعمراتها ، يبلغ عدد سكانها نحو ٥٠ مليون ، ٦٠٪ منهم من المسلمين وينتمي معظمهم إلى قبيلة الأويغور ذات الأصل التركي ، وقد أطلق عليها المحتل الصيني اسم « سنكيانغ » بمعنى المستعمرة الجديدة.

وتركستان الشرقية بلد غني بموقعه الجغرافي وثرواته الطبيعية ، فاحتياطي البترول ينافس دول الشرق الأوسط منه ، وأجود أنواع اليورانيوم في العالم يستخرج من ست مناجم في تركستان . ومناجم البلاد هي عصب اقتصاد الصين الشعبية ، وعصب صناعاتها الثقيلة والحربية هذا الغنى الطبيعي جعل التنافس الصيني الشعبي والروسي السوفياتي يبلغ ذروته على احتلال وامتلاك كل من الدولتين لتركستان الشرقية.

دخول الإسلام إلى تركستان

ويذكر أن الإسلام دخل إلى تركستان الشرقية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٨٦هـ - ٧٠٥ م) ، ثم دخل الأتراك في الإسلام فرادى وجماعات في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، ويذكر أن السلطان ستوق بغراخان عندما أعلن إسلامه عام (٣٥٣هـ - ٩٦٤م) أسلم بعده كل الأتراك ، حكومة وشعباً.

ثورات ضد الاحتلال

وقد احتلت الصين تركستان الشرقية عام ١٧٦٠م ، وقتلت القوات الصينية وقتها حوالي مليون مسلم ، ومنذ ذلك التاريخ اتبعت الصين سياسية استيطانية في تركستان الشرقية تعرف بسياسة « تصيين تركستان الشرقية » ، وقامت حروب تحريرية إسلامية عديدة أدت إلى استقلال البلاد عام ١٨٦٥م، وللأسف لم تجد هذه الدولة الوطنية اعترافاً ولا تأييداً دولياً، مما دفع الصين إلى مهاجمتها واحتلالها مرة ثانية عام ١٨٧٥م ، واستمرت الحروب التحريرية حتي أعلن عن استقلال تركستان عام ١٩٣٣م ، لكن سرعان ما أسقطت روسيا هذه الجمهورية الإسلامية بعد عام واحد من قيامها ، واحتلت تركستان عام ١٩٣٤م ، ونتيجة لتقدم الألمان في الأراضي السوفيتية في أثناء الحرب العالمية الثانية تبدل الاحتلال الروسي للبلاد باحتلال صيني مرة أخرى ، ثم قامت ثورة تحرير بقيادة عالم الدين « علي خان » عام ١٩٤٤م ، الذي أعلن استقلال تركستان الشرقية ، فتعاونت - هذه المرة - روسيا والصين على إحباط هذا الاستقلال ، وقام الروس وعملاؤهم باختطاف قائد هذه الثورة الإسلامية ، وأرغمت كل من الصين وروسيا الوطنيين من التركستانيين على قبول صلح مع الصين مقابل الاعتراف بحقوقهم في إقامة حكومة الوطنيين ، وقد لاقت هذه الحكومة من الصين اضطهاداً لا مثيل له.

ثم اجتاحت القوات الصينية الشيوعية تركستان الشرقية عام ١٩٤٩م واحتلتها بعد مذابح رهيبة ، وقد كان قدر مسلمي تركستان الشرقية أنهم وقعوا بين قوتين كبيرتين (روسيا والصين) ، مما أدى إلى معاناة دامت قرنين من الزمان لينتهي الصراع باحتلال أرضه ومحاولة إذابة شخصيته الإسلامية في محيط بشري يحاول ابتلاعه ، مما حدا بمئات الألوف من مسلمي تركستان الشرقية إلى الهجرة لتركيا والسعودية ودول إسلامية أخرى هرباً من الاضطهاد الشيوعي البشع.

تركستان تحت الاحتلال

وقد بدأت الصين عقب احتلالها الأخير لتركستان باستقدام مهاجرين صينيين بأعداد ضخمة وتوطينهم فيها حتى يصبح شعب تركستان الشرقية أقلية وهو صاحب الأرض وسط أكثرية صينية شيوعية غريبة وافدة عليه ، واسترق الصينيون الشعب المسلم، وألغو الملكية الفردية والمؤسسات الدينية وهدموا أبنيتها واتخذوا من المساجد أندية ومقاه لجنود

الاحتلال ، كما استخدموا بعضها دوراً للسينما والمسرح ، وأجبروا المسلمين على تربية الخنازير ، والتزاوج مع الصينيين، وألغوا تدريس اللغة العربية والتاريخ الإسلامي من المدارس والمعاهد العليا ، واستبدلوا بها تاريخ الصين واللغة الصينية بهدف قتل روح الإسلام في النفوس، كما أن الثورة الثقافية في الصين إنما قامت لتحطيم كل ما يخالف الثقافة الشيوعية في النفوس ، وإعلان أن الإسلام خارج على القانون ويعاقب كل متلبس به إنما هو جزء من مخطط إلحادي لفرض الشيوعية فرضاً خبيثاً.

وبالرغم من ذلك فإن الثورات التي قام بها المسلمون في تركستان الشرقية والحرب التي شنها شعب تركستان في الجبال ضد القوات الصينية إنما قامت باسم الإسلام، والشهداء الذين سقطوا برصاص الشيوعية في تركستان الشرقية إنما سقطوا وهم يُكَبرون ، وثورات شعب تركستان كثيرة ومتعددة ، ويذهب ضحيتها ، آلاف الشهداء سنوياً بالرغم من أن الصين تعمل على إخفاء أنباء هذه الثورات عن العالم.

الاضطهاد الديني للمسلمين

ومن أهم مظاهر اضطهاد السلطات الصينية لمسلمي تركستان حظر التعليم الإسلامي في المساجد تماماً ، فقد اتخذت السلطات الشيوعية الصينية تعهدات خطية مشددة من أئمة المساجد بعدم تجميع أطفال المسلمين وتعليمهم علوم الإسلام في المساجد ، كما لا توجد مدرسة إسلامية واحدة لتعليم البنات علوم الإسلام في كل تركستان الشرقية التي يوجد فيها حوالى ٣٠ مليون مسلم ، وتمنع الحكومة الصينية بناء المساجد أو رفع الآذان من مكبرات الصوت ، كما أن طبع الكتب الإسلامية وإدخالها إلى تركستان الشرقية محظور، ونشر المقالات الإسلامية في الصحف أو أذاعتها في الراديو والتليفزيون ممنوع أيضاً ، علاوة على أن المسلمين لا يملكون جريدة أو مجلة إسلامية تصدر في تركستان الشرقية.

وقد اقتحم الجيش الصيني مسجد مدينة شيجي في مايو عام ١٩٩٣م وقتل ما يزيد على عشرين مسلماً ، كما اقتحم المسجد الكبير في مدينة شينغن واعتقل أكثر من عشرة من الأئمة والخطباء في أكتوبر عام ١٩٩٣م وأغلقت مدرسته الإسلامية الخاصة الوحيدة في بكين.

وأوقفت السلطات الصينية بناء ١٥٣ مسجداً بحجة كثرة المساجد ، ولأنها تسبب إزعاجاً للسكان ! وأغلقت ٥٠ مدرسة في ولاية كاشغر فقط ، وتخلصت من ٢٥ ألف من رجال الدين بحجة عدم ولائهم للحزب الشيوعي الصيني ، حسبما نشر في جريدة

(شينجانغ) الرسمية ، (عدد ١٨ نوفمبر ١٩٩١م).

واعتقلت السلطات الشيوعية في مارس عام ١٩٩٢م ٦٤٠ شخصاً أعدمت منهم ٤٩، وأتهمت ١٨٢ بالرجعية ، ووجه إلى الآخرين تهم أخرى ، وذلك حسبما جاء بجريدة (شينجانغ) الرسمية (عدد ١٦ مارس ١٩٩٢م) ،كما زجت الحكومة الصينية الشعبية بالآلاف من العلماء والمفكرين وحفظة القرآن الكريم من أمثال « عالم خان » و « عبد الرحيم مخدوم»، ووقع رئيس الوزراء الصينى لي بينغ في يناير عام ١٩٩٤م قراراً يمنع إنشاء مؤسسات أو هيئات أو مدارس دينية ، إلا إذا حصل على تصريح من السلطات ، وقراراً آخر يقضي بغلق جميع دور العباد غير المصرح بها ، ووقف أي نشاط ديني فيها ، والأمر كما نرى ليس اضطهاداً دينياً فحسب ، بل ممارسات جائرة ضد الإنسان التركستاني المسلم ، وهذه الشواهد تؤكد حجم ما يعانيه مسلمو تركستان من ظلم واضطهاد من قبل السلطات الصينية.

وتستخدم السلطات الصينية جميع الإجراءات الوحشية التي لا مثيل لها في تاريخ الإنسانية لمحاربة تزايد عدد المسلمين مثل وأد الأجنّة وقتل الأمهات ، وتتعرض الأسرة التي لا تلتزم بنظام تحديد النسل للعقوبات التي وقعها الرئيس تيمور - رئيس تركستان الشرقية - في أبريل عام ١٩٩٢م ، وتقضي بدفع غرامة مالية تعادل ما بين (٢٠٠ - ٢٠٠٠دولار) سنوياً ، وفي الوقت نفسه فإن السلطات الصينية تسعى لتوطين مائتي مليون صيني في تركستان الشرقية خلال الأعوام القادمة.

أرض المسلمين للتجارب النووية

وتجري حكومة الصين تجاربها النووية على اختلاف أشكالها ولأكثر من ثلاثة عقود في تركستان الشرقية بالرغم من النداءات التي وجهتها دول ومنظمات عالمية لإيقاف هذه التفجيرات ، فمنذ أكتوبر عام ١٩٦٤م تجري الصين تجاربها النووية في منطقة (لوب نور) التي تبعد بحوالي ٨٠٠ كيلو متر عن أورومجي عاصمة تركستان الشرقية ، وكانت الصين قد بدأت تفجيراتها النووية في الجو ثم توقفت بعد أن بلغ عدد هذه التفجيرات ٢٢ تفجيراً جوياً في أكتوبر عام ١٩٨٠م ، ثم تحولت إلى إجراء التفجيرات النووية تحت الأرض وقامت بما يزيد على ٢٥ تفجيراً حتى الآن ، برغم ما تسببه هذه التفجيرات النووية من نشر التلوث النووي الذي يضر بالإنسان والحيوان والبيئة على نطاق كبير ولزمن طويل.

وقد أدت هذه التفجيرات إلى إصابة شعب تركستان بالأمراض السرطانية مثل سرطان

الكبد والرئة والجلد ، ورغم تعهدات الحكومة الصينية بأنها ستلتزم بالأساليب الوقائية التي تتبعها غيرها من الدول النووية في تجاربها ، فإن تقريراً سرياً قدم إلى رئيس حكومة تركستان الشرقية (تيمور دوامت) عام ١٩٩٨م أكد ولادة عشرين ألف طفل مشوه ، وأن معظم الأمراض هي نتيجة مباشرة لغبار الإشعاع النووي.

كما نسبت منظمة الصحة العالمية في تقريرها عام ١٩٨٨م موت ٣٩٦١ شخصاً إلى مرض مجهول في بعض مدن تركستان الشرقية ، وتفيد التقارير المحلية تفشي مرض غريب بين الأطفال أدى إلى موت مئات منهم عام ١٩٩٣م.

التصيين الثقافي والاجتماعي

ولم يترك الحكم الشيوعي الصيني زاوية من زوايا الفكر والثقافة إلا وعمل على توجيهها لخدمة أهدافه الاستعمارية ومبادئه الشيوعية والإلحادية، فالمقالات والكتب تمدح رموز الحكومة الصينية مهما كانت مواقفها واستبدادها لمسلمي تركستان الشرقية وتركز أجهزة الإعلام على دعوة المسلمين لممارسة التقاليد الصينية البوذية الاجتماعية ، مثل المشاركة في احتساء الخمور ، وتناول لحم الخنزير ، والاختلاط بدعوى صداقة الشعوب واتفاقها واتحادها ، وتشجيع الزواج المختلط بين المسلمين والبوذيات، والمسلمات مع البوذيين ، وتقديم مكافآت مالية ووظيفية لهما ، واعتبار أي انتقاد لمثل هذا الزواج - بالرغم من تحريم الإسلام له - موقف عدائي نحو الصينيين ، ويدعو لإثارة الفتنة و الاضطراب ضد الحكم الصيني ، ومن يقف ضد هذا الزواج فمصيره السجن أياً كان.

انتشار الجهل والبطالة والفقر

وبالرغم من أن عدد المسلمين الصينيين يقل عن عددهم في تركستان الشرقية إلا أن هناك سبعة معاهد إسلامية في مقاطعات الصين في مقابل معهد إسلامى واحد في أورومجي عاصمة تركستان الشرقية ، بالإضافة إلى إمكانية التعليم الإسلامي المتوفر في مساجد الصين والذي لا يتوافر في تركستان الشرقية ، وإذا كان لم يسمح بنشر التعليم الإسلامي بين مسلمي تركستان الشرقية ونساؤهم وفتياتهم يحرمن من اكتسابه بصفة عامة، فإن التعليم الفني لم يكن أفضل منه.

وفي الوقت الذي رفعت حكومة الصين الشعبية شعار تحديث اقتصاد تركستان الشرقية بهدف استغلال ثرواتها الطبيعية لغير مصلحة أبنائها المسلمين فهي تهجر آلاف الشباب

الصينيين تحت مسمى خبراء وفنيين لإحلالهم في كل الأعمال والأشغال ، بل إن الحكومة أخذت تمارس القوة والإكراه لتسريح الشباب المسلم من أعماله ، وهكذا غدت وسائل الإنتاج في أيدي الصينيين.

وهذه السياسة - بالإضافة إلى حرمان المسلمين من العمل والإنتاج - أدت إلى تزايد الفقر بين المسلمين ، حيث لا يتجاوز دخل الفرد المسلم ما يعادل ١٢٨ دولاراً في السنة ، بينما يصل متوسط دخل الفرد الصيني إلى ما يعادل ٤٧٠ دولاراً.

وقد ازداد الوضع سوء بسيطرة الصينين على مراكز الحكم والإدارة في تركستان الشرقية ، وأصبح المواطنون التركستانيون لا يملكون من أمور وشؤون بلادهم ومجتمعهم شيئاً ، فالصيني المهجر إليها أياً كانت صفته هو الذي يتولى تصريف الأمور.

وهكذا فإن مقولة الحكم الذاتي الذي يتمتع به المسلمون الأويغور في تركستان الشرقية هو ادعاء يُجانب الواقع ، والحقيقة أن الصينيين البوذيين المهجرين هم الذين يسيطرون على جميع أنحاء تركستان الشرقية ، وما تخطط له الحكومة الصينية لتهجير مائتي مليون صيني إلى تركستان الشرقية كما جاء على لسان هوياوبانغ - سكرتير الحزب الشيوعي الصيني الأسبق - ليؤكد مدى رغبتها في السيطرة الكاملة على تركستان الشرقية ومحو أي أثر إسلامي فيها.

ولم تتوقف عمليات التضييق على التهجير الصيني البوذي وتزييف التاريخ فحسب ، بل إن السياسة الصينية تستهدف محو وطمس الأسماء التركستانية بالتحريف أو إطلاق أسماء صينية عليها كي تحل هذه الأسماء الصينية بالتدريج محلها، وتختفي الأسماء التركستانية.

وكذلك تغيير أسماء الشوارع والأحياء والميادين إلى أسماء صينية ، وحظر استعمال كلمة تركستان مطلقاً ، ويعاقب كل من يتفوه بها بالسجن ، لأن الحكم الصيني الشيوعي يدعى بأن تركستان الشرقية لم يكن لها اسم سوى (شي) يعني بلاد الغرب ، و(سينكانغ) وتعني البلاد الجديدة ، بينما يعتبره التركستانيون رمزاً وطنياً واسماً قومياً لبلادهم التي تحتلها الصين ، وأن ما تفرضه عليهم هو اسم استعماري صيني.

والغريب أن السلطات الصينية بالرغم من كل هذا الاضطهاد الذي تمارسه ضد مسلمي تركستان الشرقية فإنها تنكر هذا الاضطهاد ، بل وتعلن أنها حريصة على علاقتها الودية

مع دول العالم الإسلامي - لاسيما بعد اتباعها ما يسمى بسياسة الانفتاح الاقتصادي - وإن كانت الصين الشعبية حريصة حقاً على علاقتها مع دول العالم الإسلامي فالواجب يفرض عليها أن تنفذ فعلاً ما تدعيه أجهزة إعلامها من حريات دينية واجتماعية وتحترم حقوق الإنسان.

وإلى أن يتأكد المسلمون - هيئات وشعوباً - من أن مسلمي تركستان يتمتعون حقاً بحرياتهم وحقوقهم ، وأن المواد التي نص عليها الدستور العام وقوانين مقاطعات الحكم الذاتي تترجم عملياً على أرض الواقع.

إلى أن يتأكد ذلك فإننا ندعو الدول الإسلامية والمنظمات الدولية والمدافعين عن حقوق الإنسان أن يتدخلوا لحماية إخوانهم المسلمين في تركستان الشرقية من القمع والاضطهاد الديني والعرقي الذي يتعرضون له ، فالمسلمون جميعاً مطالبون بأن يقفوا مع إخوانهم في العقيدة أينما كانوا ، حتى يصدق فينا قول نبينا صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

مجلة "المجتمع"

العدد (١٢٣٩) ٢٥ فبراير ١٩٩٧م

١٨ شوال ١٤١٨هـ

سينكيانج الإقليم الثائر

ترجمة : عمر ديوب

عن مجلة LE Point الفرنسية

النظام الصيني يعتمد على التعليم كوسيلة لدمج التركستان في المجتمع الصيني على المدى البعيد ، فهل يكتب له النجاح؟

يبدو أن العالم الإسلامي لم يدرك بعدُ حجم مأساة إخوانهم المسلمين في إقليم (تركستان الشرقية) أو سينكيانج الواقع في غرب جمهورية الصين الشعبية ، وبالرغم من أن الإقليم المسلم يزخر بالخيرات الطبيعية وأهمها النفط والغاز والذهب ، فإن سكانه المسلمين يرزحون تحت وطأة المعيشة الضنكة وفي دجى الجهل ومرارة الإهمال من قبل السلطات في بكين.

وتتلخص مأساة مسلمي سينكيانج في كونهم يقطنون هذا الإقليم الشاسع الذي يمثل سدس مساحة الصين حالياً ، وقد قامت الإمبراطورية الصينية بضمه إلى الصين قبل قرن - في عام ١٨٨٤م على وجه التحديد - وقد ظلت « الأراضي الجديدة » كما يطلق الصينيون عليه على خلاف مع السلطات في بكين حيث توجد السلطة المركزية في الصين سواء إبان العهد الإمبراطورى أو في أثناء الحقبة الشيوعية ، ويبعد هذا الإقليم عن بكين بمسافة ٣٠٠٠ كيلومتراً ، يوجد بينهما فارق كبير في التوقيت ، ولكن يتم ضبط التوقيت في أورومشي (عاصمة سينكيانج) بالتوقيت المحلي في بكين ، ولا يهم إذا كان الليل ممتد في فصل الشتاء إلى الساعة العاشرة صباحاً ، حيث إن المركزية تتحكم في كل شيء، وبالطريقة نفسها يتم تعيين أفراد قبيلة « الهان » في معظم المناصب الإدارية القيادية وعلى رأس الشركات من قبل السلطات المركزية في بكين ، أما بقية « الأقليات » العرقية التي تشكل ثلثي سكان الإقليم ممثلة بالأويغور (وهم مسلمون من أصل تركي) والكزاخ (وهم أكثر عدداً) فلا يكون نصيبهم إلا الوظائف الهامشية التي لا علاقة لها بالدورة الاقتصادية.

وتعلق السلطات في بكين آمالاً عريضة على مستقبل سينكيانج بحكم موقعه الاستراتيجي وكونه محاذياً لبلدان آسيا الوسطى التي يتشاطر معها حدوداً تمتد إلى أكثر من ٥٤٠٠ كلم وله حدود مع ثماني دول ، ولذلك فإن هذا الإقليم يضطلع بدور أساسي

في استقرار المنطقة ، ونظراً لأنه يجود أيضاً بالموارد الطبيعية فإن بكين تعول عليه كثيراً ، ويقدر البعض مخزونه من النفط بأنه يضاهي المخزون النفطي للمملكة العربية السعودية.

وتتجلى مأساة سكان إقليم سينكيانج من المسلمين في حرمانهم من التعليم ، حيث إن فرص التعليم متوافرة فقط لأبناء قبيلة « الهان » الذين يسمح لهم بدخول المدارس والجامعات الصينية.

وتعمل السلطات الصينية أيضا على طمس الهوية الإسلامية والثقافات التقليدية لسكان الإقليم، بل لا يكاد يعثر المرء على أي كتاب مكتوب باللغة الكازاخية أو الأويغورية على رفوف المكتبات المحلية باستثناء بعض الروايات عن الحب أو القواميس أو الكتب الموسيقية وبعض المصاحف المحرفة.

ويعتمد ٦٠٪ من الإنتاج الصناعي في إقليم سينكيانج على إنتاج النفط ومشتقاته ولا يسمح للأقليات الأخرى غير قبيلة « الهان» بالعمل في هذا المجال ، كما أن الإنتاج الزراعي ما برح أيضاً في قبضة شركة حكومية واحدة أسسها الجيش الصيني في الخمسينيات وتتبع حالياً للحكومة المركزية (وهى بمثابة وزارة الزراعة) ويمثل أفراد قبيلة «الهان» ٨٠٪ من العاملين فيها ، وأفراد هذه القبيلة يتعاملون بتعالٍ مع المنتمين إلى الأقليات الأخرى حيث يرفضون الزواج معهم.

ويتسم مسلمو سينكيانج بالتسامح الديني ، ويشكل السُنّة ٩٠٪ منهم في حين بدأ المذهب الشيعي في الانتشار في أوساط المناطق القريبة إلى الحدود مع باكستان وأفغانستان خاصة في أوساط الطاجيك وفي مدينة كاشجار ، ويشهد إقليم سينكيانج صحوة إسلامية كبيرة منذ ربيع ١٩٩٦م ، حيث بدأ الشباب والفتيات في العودة إلى اللباس الإسلامي والتمسك بأصول العقيدة الإسلامية.

ويلاحظ تزايد الوجود الصيني في أويغور سواء في الأسواق أو الشوارع وخاصة التجار الصينيين الذين بدأوا يشكون من عدم إقبال « الأقليات » على شراء بضائعهم ، وقد واكب الصحوة الإسلامية تنامي الشعور بالإحباط لدى السكان الذين ذاقوا مرارة الاضطهاد والحرمان طوال العقود الماضية ، ولكنهم ينعمون اليوم بحرية العبادة ولو تحت المراقبة ، ويحث خطباء المساجد في أورومشي على توطيد الاستقرار وتعزيز روح التفاهم بين سكان الإقليم ، كما يوجد في أورومشي تيار إسلامي بدأ في البروز وقد اعترف

حاكم الإقليم عبد الأحد عبد الرزاق للمرة الأولى في شهر مايو المنصرم بقيام حزب إسلامي في سينكيانج في عام ١٩٩٦م يعرف باسم « حزب الله ».

وإلى جانب التيار الإسلامي يشهد هذا الإقليم نزعة قومية قوية ، ويرجع ذلك إلى سبب أساسي ألا وهو أنه بعد أن نالت أربع جمهوريات إسلامية كانت تابعة للاتحاد السوفياتي سابقاً استقلالها في عام ١٩٩٠م (وهي كازاخستان وقيرقيزستان وأوزبكستان وطاجيكستان) إلى جانب افتتاح ١٣ مكتباً حدودياً مع هذه البلدان بعد انقطاع دام ٣٥ سنة ، نتيجة قطع العلاقات بين موسكو وبكين (والتي عادت في عام ١٩٩٢م فضلاً عن استئناف الرحلات الجوية بينهما في عام ١٩٩٤م).

وقد ساهمت كل هذه التطورات في إحياء ذكريات جمهوريات تركستان الشرقية المستقلة التي لم تعمر طويلاً والتي رأت النور في عام ١٩٤٢م بزعامة شخصية كازاخية لكنها اندثرت من الوجود بعد مرور أربع سنوات فقط على ولادتها ومن ثم ضم سينكيانج إلى الصين، وكان المتظاهرون في يينيغ في مطلع شهر فبراير الماضي يرفعون شعارات داعية إلى الاستقلال عن الصين قبل أن يتعرضوا لقمع شديد من السلطات الصينية ، وراح ضحيتها حوالي ١٠٠ شخص و١٦٠ جريحاً ، حسب المصادر المستقلة ، في حين أكد سكان الأويغور في المنفي في كازاخستان بأن عملية القمع هذه قد أسفرت عن اعتقال آلاف الأشخاص وإعدام المئات رمياً بالرصاص من دون محاكمة.

رهان غير مضمون على التعليم

وكما هو الحال في معظم المناطق التي كانت خاضعة للإمبراطورية الصينية ، فإن السكان يشعرون بالضجر إزاء استعمار قبيلة « الهان » وخاصة أن هناك هوة عرقية وثقافية بينهم وبين أفراد هذه القبيلة الصينية المستعمرة ، لكن الوضع في سينكيانج يختلف عن الوضع في التبت حيث تقوم السلطات الصينية بقمع أي حركة احتجاجية قد تظهر من داخل المعابد البوذية وبشدة أيضاً ، كما أنه يختلف عن الوضع داخل منغوليا حيث أصبحت « الأقليات » أقلية بالفعل من الناحية الديموجرافية وتم دمجهم أيضاً في النسيج الاقتصادي ، أما في سينكيانج فإن التحكم في الوضع أكثر صعوبة.

وتنتاب السلطات الصينية مخاوف من انتقال العدوى الشيشانية إلى داخل الحدود الصينية ولذلك أخذت على محل الجد الإنذارات التي انطلقت من سينكيانج في مطلع

فصل الشتاء الماضي والتي ظهرت إرهاصاتها في مطلع السنة المنصرمة ، وقد قامت اللجنة المركزية التابعة للحزب الشيوعي الصيني في أواخر عام ١٩٩٦م بإصدار تعميم إلى جميع وحدات العمل في سينكيانج حيث أمر جميع القياديين من قبيلة الهان بالعمل «على توطيد الاستقرار الاجتماعي ومكافحة جميع الدعوات الانفصالية ».

وإدراكاً منها بخطورة الهوة القائمة بين الهان و « الأقليات » العرقية الأخرى بإصدار تعليمات تقضي بإلزام جميع أفراد قبيلة الهان العاملين في الوظائف الحكومية بـ « تعلّم ٥٠٠ جملة من اللغة الأويغورية ».

وقد راهن حاكم الإقليم وهو من أصل أويغوري ، على التعليم لتحقيق اندماج الأقليات على المدى البعيد في النظام الصيني ، ولن تؤتي هذه الخطوة ثمارها قبل انقضاء جيل إذا كانت سيكتب لها النجاح ، وفي الوقت الراهن ، فإنه على ضوء المنحنى الخطير الذى أخذته الرغبة الجامحة للسلطات في بكين في التنمية الاقتصادية واستمرار الاستعمار « الهاني » الذي ما انفك يحدث تهميشاً لـ « الأقليات » الأخرى ، فإن الوضع الحالي لا يعمل إلا بتعزيز الأصولية الإسلامية والحلم في الاستقلال ، ويخشى أن يبقى منطق العنف والقمع سيد الموقف خلال سنوات قادمة.

مجلة " المجتمع "

العدد (١٢٨٠) ١٦ ديسمبر ١٩٩٧م

١٦ شعبان ١٤١٧هـ.

هذا الكتاب

يعرف القارئ بمأساة وطن من أوطان المسلمين كان له ، فى تأريخ الحضارة الإسلامية إسهام بارز .

ويسلط الضوء على معاناة شعب مظلوم ليس له ذنب سوى أنه متمسك بانتمائه الدينى وهويته القومية .

إنه بمثابة جرس إنذار يقول لنا : لا تنسوا تركستان .. ولا تنسوا أهلها !

د . عبد القادر طاش